مذكرات

سعد زغلول

الجزء السابع

تحقيق

د. عبد العظيم رمضان

مذكرات سعد زغلول

الجزء السابع

قام بقراءة هذه الكراسات:

سامى عزيز

اسـتر غالى

الإخراج الفنى

صبرى عبد الواحد

مذكرات سعد زغلول

الجزء السابع

تحقيق

د . عبدالعظيم رمضان



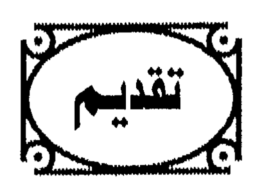
الهيئة المصرية العامة للكتاب
١٩٩٦

" ويل لى من الذين يطالعـون من
بعدى هذه المذكرات "

سعد زغلول

كراس [٢٨] صفحة ١٥٨١

٢٦٨٥



يسرنى أن أقدم للقارئ الكريم الجزء السابع من مذكرات سعد زغلول، وقد تناول الفترة من ٢٥أكتوبر ١٩١٧ إلي يوم ١٥ نوفمبر ١٩١٨ ،وقد تعرضت لهذه الفترة ثلاث كراسات هى: الكراسة الواحدة والثلاثون، الجزء الثالث، التى تناولت الفترة من ٢٥ أكتوبر ١٩١٧ ، إلى يوم ١٤ أكتوبر ١٩١٨ ، والكراسة الثانية والثلاثون، التى تناولت الفترة من يوم ٢٥ مايو ١٩١٨ ، إلى يوم ١٥نوفمبر ١٩١٨ ، والكراسة الرابعة والثلاثون، التى تناولت الفترة من يوم ١٤ ديسمبر ١٩١٨ ، إلى يوم ١٨ فبراير ١٩١٩.

والكراسة الأولى تعد قراءتها معاناة حقيقية كادت تبعث اليأس فى قلبى! فعلى الرغم من سبق قراءتها بواسطة الباحثين، فإنها كانت قراءة أشبه بالتنجيم وحل الألغاز! وقد حفلت بثغرات فى كل صفحة لكلمات وعبارات لم تُقرأ، كان من شأنها التأثير السلبى على متابعة القارئ للأحداث. وكان

علىّ بذل كل الطاقة لحل هذه الألغاز على حساب وقتى وصحتى، والاستعانة بكل أنواع المُجهِرات والمكبرات، والاستعانة بالسياق فى الاجتهاد، حتى أمكن سد معظم هذه الثغرات.

ومع ذلك فإن ما أتمتع به من عناد وروح التحدى، دفعنى إلى متابعة الجهد بعد أن دفعت بالكتاب إلى المطبعة! فكانت كل مراجعة لبروفات الكتاب تحفل بمحاولات جديدة، لقراءة ما تعذرت قراءته فى البروفات السابقة! وكانت قراءة البروفة الأخيرة نعمة وبركة، لأنها كشفت لى عبارات كانت قراءتها ضرباً من المحال، وكل ذلك بتوفيق غريب من الله تعالى.

وفى كل ذلك لم أكن أمنع الأفكار الحزينة من التسلل إلى عقلى! ففى غير قراءة مذكرات سعد زغلول من الأعمال العلمية التى يباشرها العالِم والمحقق، فإن كل جهد يبذله تظهر نتائجه واضحة، وتعود على صاحبها بالتقدير، ولكن فى عمل علمى مثل قراءة مذكرات سعد زغلول، فإن قضاء ثلاث ساعات - مثلاً - فى قراءة عبارة منها، لا تكون له نفس النتيجة! فقد يمر عليها القارئ ببصره فى لمحة خاطفة، وقد يتجاوزها ببصره وهو يقرأ الصفحة، دون أن يشعر إطلاقاً بما بذل فى قراءتها من تفكير ووقت ثمين!

وحتى بالنسبة للنقاد الذين تناولوا الأجزاء الستة السابقة من المذكرات، وهم قليلون نادرون! فإن أحداً منهم لم يقف

أبداً ليفكر فى أن هذا العمل العلمى الذى يقرؤه بسهولة ويسر فى استرخاء، قد سبقه جهد علمى جبار تناول كل كلمة وعبارة فى المذكرات بالكشف والتوضيح!

ناهيك عن الحاقدين الموتورين من الكتّاب الذين كادت كتابة أحدهم تدفعنى إلى التخلى نهائياً عن تحقيق هذه المذكرات! عندما كتب باستهانة بالغة يستبطئ صدور بقية أجزاء المذكرات، ويقترح ـ فى استخفاف ـ مضاعفة عدد الباحثين، حتى يتيسر الانتهاء منها فى أقرب وقت!

لقد صدمنى ذلك الكاتب، الذى تصور أن هذا التحقيق يقوم به مجموعة من الفعلة الجهلة، المجلوبين من قارعة الطريق لبناء منشأة من المنشآت! ولم يعلم أن قراءة بعض كلمات هذه المذكرات، تتطلب رصيداً علمياً وثقافياً هائلاً يملكه المحقق فى كافة مناحى العلم والثقافة، يكون بمثابة الضوء الذى يسلطه على الكلمة الغامضة لإضاءتها وكشف غموضها، فضلاً عن إدراكه لطبيعة العلاقات بين الشخصيات التى تناولها سعد زغلول فى مذكراته.

وعلى سبيل المثال، فحين يصف سعد زغلول، عباس حلمى بوصف يحتمل أنه رجل «دنئ» أو رجل «دينى». فإن الذى يحسم قراءة هذا الوصف وتحديده ليس اجتهادا من

الاجتهادات، وإنما إدراك المحقق لطبيعة العلاقة بين الرجلين، وما إذا كانت تحتمل أن يصف سعد زغلول الخديوى السابق بأنه رجل دنىء أو أنه رجل دينى. علماً بأن قراءة الكلمة تحتمل المعنيين من الناحية الشكلية.

كذلك فإن قراءة كلمة مثل كلمة «دسونس» لا يمكن تفرقتها فى مذكرات سعد زغلول من كلمة «دسوق»! إذا لم تقد أبحاث المحقق إلى وجود بلدة باسم «دسونس»، وهى أقل شهرة بكثير من بلدة «دسوق»!

وفى اسم مثل اسم حسن أبوالنضر (بالضاد)، فلا يمكن التفرقة بين اسم أبوالنصر المعروف، واسم أبوالنضر غير المعروف، إلا إذا قادت أبحاث المحقق إلى وجود عائلة باسم عائلة أبوالنضر، هى التى تناولها سعد زغلول فى مذكراته!

والأمثلة لا حصر لها، ولكنها توضح استهانة بعض الكتاب بهذا العمل العلمى المبذول فى تحقيق هذه المذكرات، وهى الاستهانة التى كادت تدفعنى - كما ذكرت - إلى التخلى عن هذا العمل العلمى المهلك، لولا ما أملك من عناد وروح تحد!

بل ولولا - أيضاً - عشقى لهذه الشخصية الوطنية الفريدة فى تاريخ مصر، وهى شخصية الزعيم سعد زغلول. فهو لا يكتب سرداً للأحداث التى وقعت له، أو شاهدها بعينيه، أو

سمعها بأذنيه، وإنما هو يكتب - إلى جانب ذلك، وفوق ذلك - مشاعر وأحاسيس إنسانية تبلغ الذروة فى التعبير والتحليل، وهو يكشف ويعرى نفسه بجرأة وشجاعة نادرة، لا يملكها فرد عبر التاريخ كله، لأنها تعرية مكتوبة تدينه وتتيح لخصومه من ضعاف النفوس النيل منه وضربه فى مقتل. كما أنه يحاسب نفسه بقسوة بالغة لا تأتى من عدو مبين!

ففى هذه المذكرات - على سبيل المثال - يكتب سعد زغلول قائلاً:

«الحقيقة أن أمرى غريب! أشتغل بدراسة العلوم الرياضية بعد أن بلغت من العمر عتياً، وبعد أن لم يكن فى الحياة متسع لاستثمارها!

«ولكنى استفدت منها العلم بمقدار جهلى بالأمور الضرورية فى الحياة، واستغرابى من المراتب التى نزلت فيها وأنا على هذا الجهل من الضروريات!

«والله إننى كلما وجدت نفسى عاجزاً عن إدراك ما يدرسه صبيان المكاتب الآن، كلما دهشت أنى كنت وزيراً للمعارف فى هذه البلاد! وكلما تضاءلتُ أمام نفسى وتملكنى الحياء!

«وجـــدير بى الآن أن أتوارى عن الأنظار، وألا آنف من مباشرة كل ما يفيدنى علماً بمقدارى من التأخر، ومبلغى من

الجهل، فإن هذا يكسر من أنفى، ويخفف من غلواء كبريائى، ويحملنى على أن أغمض النظر عمن يستخف بشأنى، وأن أنصف من نفسى كل من احتقرنى بسبب ما أنا فيه من الجهل! ولو كنت فى بلد راق لتقطعت بى الأسباب، وغلقت فى وجهى الأبواب.

«اللهم أعنى على نفسى، ونجّنى من غوائل جهلى، وساعدنى على تخفيفه بقدر الإمكان!».

ومن هنا فأغلب الظن أننى سوف أستمر فى تحقيق هذه المذكرات، وكشف غموضها، وفك رموزها، حتى أموت!

على كل حال فقد كان علىّ أن أكتفى فى هذا الجزء بتقديم الكراسات السالفة الذكر، دون انتظار لتحقيق كراسة رابعة، حتى أتيح للقارئ متابعة هذه المذكرات دون فترة انقطاع طويل.

ومن الطبيعى أننى اتبعت فى تحقيق هذا الجزء ما اتبعته فى الأجزاء السابقة من منهج. فقد حرصت على توضيح النصوص بعلامات الترقيم التى تخلو منها تماماً مذكرات سعد زغلول، وتقسيم النصوص إلى فقرات، لإبراز الأحداث المدفونة فى سياق غيرها من الأحداث، التى يسوقها سعد زغلول بدون ترتيب.

وفى الوقت نفسه اتبعت نفس منهج ترقيم صفحات الكراسات السابق، بوضع الأرقام وسط كلمات السطور ببنط أسود أكبر من بنط الكتاب، مادام أن السياق لا يتطلب وضع الأرقام فى سطر مستقل.

كذلك قمت بالترجمة لعدد من الشخصيات التى ورد ذكرها فى المذكرات، وقمت بالتعليق على الأحداث تعليقا تاريخيا وفقاً لما تتطلبه الأحوال.

كذلك يحمل هذا الجزء - مثل سابقيه من الأجزاء - ترقيمين: أحدهما خاص بالجزء، وهو فى أسفل الصفحة، والآخر يبدأ بما انتهى إليه الجزء السادس، وهو فى أعلى الصفحة.

وقد صدّرت كل كراسة فى هذا الجزء بأهم محتوياتها، واختتمت الكتاب بكشاف تفصيلى، للأعلام والهيئات والبلاد والأماكن والحوادث والدوريات، فضلاً عن فهرس تفصيلى بكل ما احتوته المذكرات، التى ضمها هذا الجزء.

وفى النهاية لا أملك إلا أن أوجه شكرى للأستاذة سميرة عرابى، وكيل الوزارة ورئيس الإدارة المركزية لشئون المطابع بهيئة الكتاب، لما قدمته من رعاية ومساندة وإمكانات فنية فى طبع الكتاب، وأشكر الباحثين الذين قرءوا الكراسات القراءة

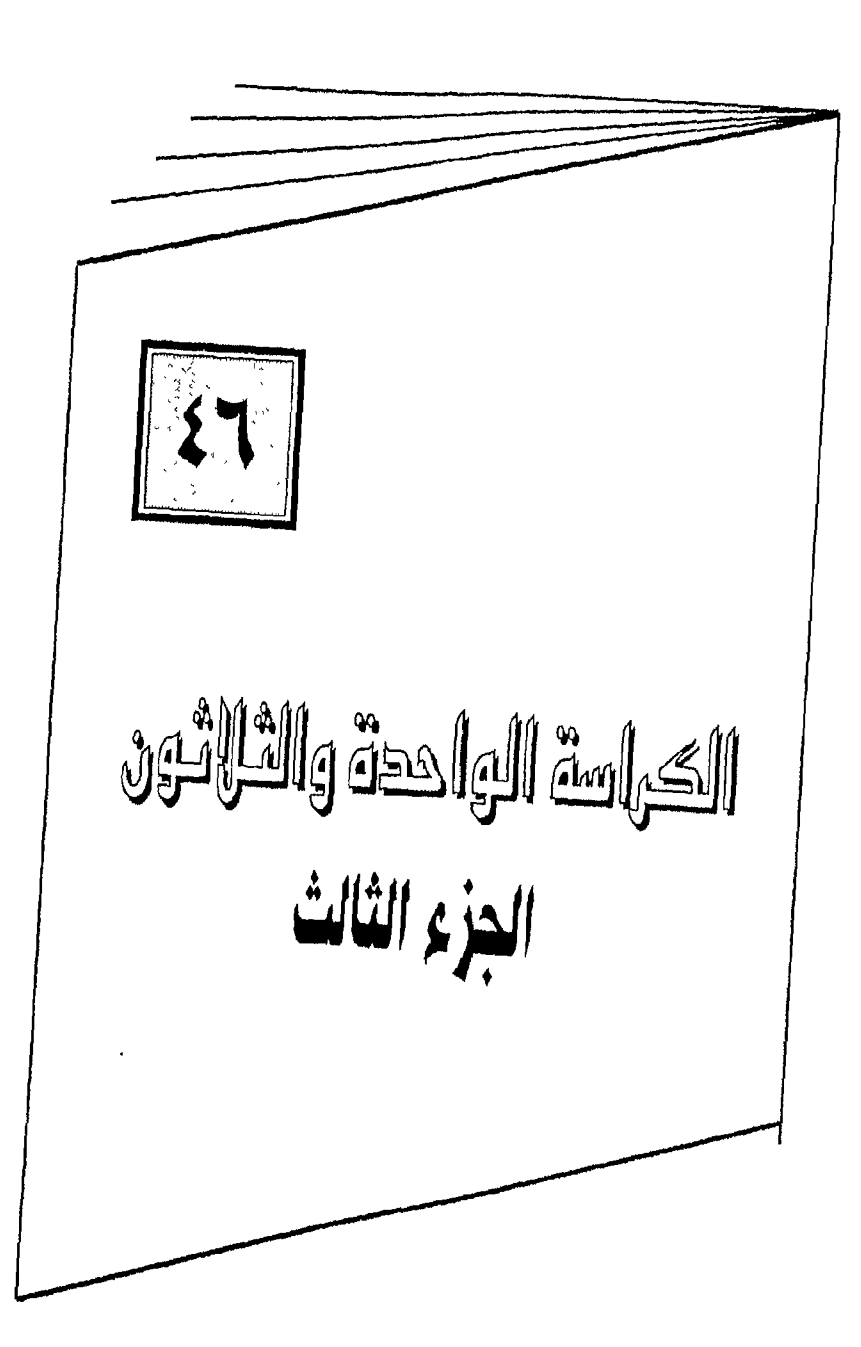
الأولى، أو الذين عملوا الكشافات، وأشكر الأستاذ صالح محمد صالح مدير إدارة الجمع التصويرى كما أشكر السيد/ محمد مقبل الذى قام بجمع هذا الكتاب بدقة وعناية تشهد بكفاءته.

وأدعو الله أن ينفع بهذا الجهد العلمى أمتنا العربية.

والله الموفق..

أ. د. عبد العظيم رمضان

الهرم فى أول يناير ١٩٩٦


٤٦
الكراسة الواحدة والثلاثون
الجزء الثالث



الكراسة الواحدة والثلاثون

الجزء الثالث

من ص ١٧٨٠ - ص ١٨٣٤

من يوم ٢٥ أكتوبر ١٩١٧

إلى يوم ١٤ أكتوبر ١٩١٨

محتويات الجزء الثالث من الكراسة ٣١

- محمود صدقى باشا، عديل سعد زغلول، يشترى لحرمه العقد الخاص بحرم يوسف قطاوى باشا، وسعد يؤنب نفسه لعجزه عن فعل المثل بسبب خسارته أمواله فى لعب الورق.
- إقبال سعد زغلول على دراسة علم الحساب.
- نقد سعد زغلول لشخصية سعيد زغلول.
- سعد يعرض أرض دمنهور للبيع.
- خطاب عبدالعزيز فهمى إلى المستر برونييت. وباسم نقابة المحامين رداً على امتناع النقابة عن انتداب عضو عنها فى لجنة إلغاء الامتيازات.
- سعد يحاسب نفسه لعجزه عن إدراك ما يدرسه صبيان المكاتب ويتهم نفسه بالجهل.
- سعد زغلول ينقد كتاب «أسرار البلاغة» لعبدالقاهر الجرجانى.
- مقابلة يوسف نحاس لسعد زغلول.
- سعد زغلول يتحدث عن الموت.
- سعد زغلول يتحدث عن هزيمة الألمان فى الميدان الغربى.
- سعد يعدل عن بيع أرض دمنهور.
- حسين رشدى باشا يعرض على سعد زغلول رئاسة الهلال الأحمر، وسعد يرفض لخضوعها للسلطة البريطانية.
- صدور أمر حكمدار القاهرة بمنع لعب الورق فى نوادى القمار.
- سعد زغلول ينزل فى بيت محمد محمود باشا بالإسكندرية.
- قضية الشيخ عبدالرحيم الدمرداش.
- السلطان فؤاد يعرض على سعد رئاسة الهلال الأحمر، وسعد يعتذر.
- حديث عبدالعزيز فهمى عن لجنة إلغاء الامتيازات.
- محاولة معاون الإدارة وعمدة دسونس الإستيلاء بالقوة على تبن من أرض سعد زغلول.
- سعد يعلن ارتياحه لأن العام خال من الديون، ويأسف لتهاونه فى حفظ إيرادات الأعوام السابقة.
- متابعة سعد زغلول لقضية وزير داخلية فرنسا ما لقى أمام مجلس الشيوخ بتهمة التخابر مع العدو فى جريدة «الطان».
- أمر قائد الجيوش البريطانية بإضافة جهة أبى قير إلى ملك جلالة ملك إنجلترا، رداً على معارضة الأمير عمر طوسون استعمال أراضيه بها لحاجة الجيش الإنجليزى.
- سعد يرفض ختان أولاد شقيقته رتيبة فى بيته.
- ضبط زوجة إسماعيل صدقى باشا زوجها متلبساً بالخيانة فى غرفتها مع نزيلة فى بيتها.
- سعد زغلول يفكر فى وقف أملاكه على العاجزين عن الكسب من أهل قرابته، وعلى تعليم الفقراء من أبنائهم.
- سعد يشترى عجل بقر بعشرة جنيهات ونصف!
- سعد ينقد الأحوال الجارية أمام المستر سدنى ويلز.
- مصر يعلق صلاح الأمة على صلاح الأم المصرية.
- دسائس أمين يحيى ضد عدلى باشا.
- حديث سعد زغلول مع لطفى السيد ومحمد محمود باشا عن دور أبناء مصر عند انبثاق فجر النصر فى الحرب العالمية الأولى، ويشترط توافر الثقة بينهم.

[ص ١٧٨٠]

فى ٢٠ أكطوبر سنة ١٩١٧ و ٢٥ أكطوبر

حضرت اليوم من مصر فى قطار الصباح، ووجدتهم يشتغلون ببذر البرسيم وخدمة الزراعة الشتوية. وأخبرنى الناظر بأنه زار أطيان سندبسط، وأخذ معلومات عنها. وهى فى عزبتين: إحداهما لمن يدعى محمد طلعت بك، ومقدارها ١١٨فداناً تقريباً، على خمسة (. . .)[١] والثانية لمن يدعي هيس، وهو رجل ألمانى التبعية، على جملة (. . .)[٢].

ورأيت الذرة المخطط[٣] أقل جودة من العادى المزروع محل البرسيم. والجنينة مهملة، والجناينى جاهل مهمل.

وزارنى العمدة والحاج أحمد البدرى، ورافقه سيداروس وقريبه. وفهمت من ناظرى أن هذا الأخير حقق مسئلة وقاحة المراكبى ورفته.

فى ٢٦ منه

نمت البارحة نوماً هادئاً، واستيقظت باكراً، وتأهبت للعودة صباحاً. وقد نبهت أن يكون جانب من القمح بطريق

(١) كلمة غير مقروءة، ويفهم منها: أجزاء أو مساحات.

(٢) كلمة غير مقروءة، لها شكل الكلمة السابقة، ولها نفس المعنى الاجتهادى.

(٣) قراءة تقريبية.

التلقيط، وجانب عـفير والباقى محل الذرة كـالعادة، فالأول له ثلاث كيلات ونصف، والثانى ٤، والثـالث ستة. وحينئذ يتوفـر لدينا قمـح. وأن يرسل إلى البحـيرة ٢٦ أردب، وأن يزرع سبعة أفدنة شعير بتقاوى، [ص ١٧٨١] و٢٦فدان فول. وأن يعـرض جوز الخيل الأسود فى سـوق طنطا للبيع يوم الأثنين القـادم، وأن لا تعامـل الأقسـام الأخرى بالبـيع والشراء وغيرها، بمعنى أن لا نقترح عليها شيئاً من ذلك.

ولكن إذا اقترح واحد منهما شـيئاً علينا نقبله إذا كان فى قبوله فضل لنا، ودعوة له.

وقد زدت يقينا بصدق التوبة، وأحضرت جميع الأسباب التى تقـوى هذا الاعتقـاد. وما من شىء يرجـع إلى مال أو شرف أو صحة إلا ويكسبه قوة ورسوخاً.

ويلوح لى أنه إذا أمكن اقتناء جـانب من الطين بما يفضل لدينا من النقـود، كان ذلك أفـضل وأدخل فى نفى مـا علق بالأوضاع[٤] من تضعضع الحال وتأخره مالياً.

وبناء عليه يلزم العدول عن بيع أطيان البحيرة إلا إذا بلغ الثمن مـائتين[٥] جنيه فما فـوق - يعنى ثمناً يستهوى النفس

(٤) قراءة تقريبية.

(٥) هكذا فى الأصل، وصحتها: مائتى.

ويسهل عليها الخروج من ملك يكاد يكون عديم النظير فى جودة التربة، وحسن الموقع، من توفر لوازم الزراعة من ماء وسباخ واعتزال عن الجوار.

فى ٢ نوفمبر سنة ١٩١٧

حضرت مع حتاته بيك أمس أول نوفمبر، وعاينا فيه أطيان المرحوم محمد عزت بيك ١٧٠ فدان. وقد أعجبتنى، ورأيت أنها إذا أخذت بسعر الفدان ١٣٠ج كان ذلك من الصفقات الرابحة.

وبت أمس وقد أفضيت إلى حتاته بكثير من الوقائع التى سببت فتور العلائق بيننا وبين عائلة بركات، وانتهيت بأنها إذا استمرت فى رذالتها، قطعت حبل الاتصال بها، وتنكرت أفرادها.

واشترينا عند العودة من المعاينة عجلة بقر بمبلغ ٨جنيهات. وفى النية العودة اليوم صباحاً. وقد رأيناهم يبذرون القمح تلقيط، بواقع الفدان ثلاث كيلات وخمسة أقداح، فأمرت ـ بناء على رأى حتاته بيك ـ بأن يزرعوا قذفاً[٦] نظراً لأن الأرض تقتضى أن يبدأ الحرث فيها.

(٦) قراءة اجتهادية

٢٧٠٠

في ٢٨ منه

قدمت اليوم في الساعة الثانية من مصر، وكان الهواء شديداً، ووجدت المناظر جميلة. ولولا الوحدة كانت الإقامة هنا أحب الأشياء إليّ.

ويجمل بي أن أبقى هنا عدة أيام لطيب الهواء والمعيشة[٧]

[ص ١٧٨٢]

في ٢٩ منه

نمت أمس في الساعة السادسة مساءً، واستيقظت في الساعة ٨، ثم في الساعة ١٢، ولبثت أرقاً لغاية الساعة ١,-، ثم نمت لغاية الساعة السادسة. وقد استيقظت مرتاحاً منشرح الصدر.

وخرجت في الساعة ثمانية إلى الغيط، فمررت به، وسررت من الحالة على العموم. ولكن الريح اشتد بعد ذلك، وغامت السماء، واحتجبت الشمس، وبرد الهواء.

ولقد راجعت مذكراتي، فرأيتني أرتاب دائماً في إخلاص رشدي، وألوم نفسي على تطلعها للوزارة! ولازلت ألومها إلى الآن، وأعنفها أن تأسف لترقي غيري، لأن هذا نوع من

(٧) قرأت كلمة «المعيشة» قراءة اجتهادية

الحسد لا يليق بكرام النفوس.

فـــاللهم ـ أبـعــد هــذا الأسف عنى، وحُل بينـى وبين ماأشتهى، وحببنى فى حالتى، وكرِّهنى فيما لاترضى لعبادك الصادقين.

فى ٣٠ منه

نمت البارحة نوماً متقطعاً، ولازمنى الأرق عدة ساعات، واستيقظت الساعة ٦,٤٠ غير منشرح.

وأغلب فكرى كان فى الوزارة والوصول إليها.

وقد خطر ببالى أن أفاتح فيها برونيت[٨]، لأن صلتى به حسنة، وقد اشتغلت معه فى أكثر المسائل التى سببت غضب الخديوى، وكان غير مستحسن لخطة كتشنر معى، ويقول إنها مخالفة للتـقاليد الإنكليزية، وكان أول إنكليـزى موافقاً على ترشـيحى للوزارة فـيمـا سبق، ولما أخـفق فى المرة الأخيـرة ذهبت إليـه، وشكرت له حـسن ظنه، وألقـيت إليه كل مـا حصل فيها.

فزيارتى له ربما كانت نافعـة فى هذا الموضوع. على أنها إن لم تنفع فلا يأتى منها ضرر.

وكــذلك فكرت فى اللـعب، وتركـه، لأنه قـد يمنع من

(٨) Sir William Bruryate المستشار القضائى والمستشار المالى بالنيابة.

النجاح، ويضر بالصحة، ويفسد علىّ أهلى[٩] ويعرض ثروتى للضياع. نعم إنى كسبت هذه الأيام بعض الشئ، ولكن لا ضمان لاستمرار الكسب، فإذا أتت الخسارة أثر فىّ ذلك تأثيراً سيئًا. فالعقل يقضى بالفوز بما كسبت، وترك العوض على الله فيما خسرت، والرجوع إليه تعالى فى العصمة من هذه الوصمة، إنه على كل شئ قدير.

هذا خطاب العقل. ولكنى أشعر بأنه ـ على بلاغة حجته ومتانة برهانه ـ لم يستمل النفس إلى ترك هذه المفسدة، لأنى لازلت أجد منها ميلاً إليها! فلم يبق إلا عناية الله، فهى التى تنقذنى من هذه الهلكة، وتنجينى من شرورها.

[ص ١٧٨٣]

١ ديسمبر سنة ١٩١٧

أرقت البارحة كثيراً، ورأيت رؤيا أتشاءم منها عادة! لاحقق الله لها أثراً.

وفكرت طويلاً، فوجدتنى مهزول النفس، ضعيف الإرادة، أميل إلى مايضرنى، وأشتهى ما لابد من إيذائه لى! أميل إلى لعب الورق، وقد خسرت فيه مالاً طائلاً، وصحة عزيزة، وصيتاً بعيداً، وراحة منزلية، وفوت علىّ كثيراً من

(٩) يقصد : زوجته.

الواجبات لأهل بيتى وذوى قربتى وأصدقائى.

وأميل إلى أكل النشويات والسكريات، رغم ما ألاقى من سوء تأثيرها فى صحتى وأفكارى، ورغم ما ينذر به الأطباء والعارفون. وقد كنت - أول الأمر - شديد التحرز من هذه الأشياء، لكنى الآن منهمك فى تعاطيها كأن لم يمسنى منها ضرا!

وأميل إلى الوزارة، مع شدة ما عانيت فيها من المتاعب والمصاعب، ومع قيام أسباب التعب بل كثرتها وقوتها.

فلم تكن حماية بل كان احتلال[١٠]، ولم يكن الحاكم موظفاً بريطانيا بل كان أميراً وراثيا[١١] ولم تكن الصحافة مقيدة تقييدها اليوم، ولا الشورى[١٢] عاطلة عن العمل، بل كانت الصحافة مطلقة إطلاقاً يخشى بأسه الباطل من باطله، ويتقوى به الحق فى حقه. وكانت الشورى سلاحاً يهدد به من يحمل على مشروع مقر بحقه، أو عمل غير نافع يأتيه.

أميل إلى هذا المسند[١٣]! وكلما خَلِى[١٤] طرت شوقاً إليه!

---

(١٠) هكذا فى الأصل، وصحتها: «احتلالا». يقصد سعد وضع مصر عندما كان وزيراً.

(١١) يقصد به الخديوى عباس حلمى.

(١٢) يقصد: مجلس الشورى، الذى تحول مع الجمعية العمومية إلى «الجمعية التشريعية التى تعطلت أثناء الحرب العظمى.

(١٣) فى الأصل: «به».

(١٤) أى: كلما خلى المنصب من شاغله.

وكلما سعى بى ساع نحوه تبعته! وكلما خطر ببالى الحصول عليه إمتلأ قلبى فرحاً! وكلما تصورت الخيبة فيه ذبت كمداً!

يحصل كل ذلك، ولا يمنع منه أنى أكون فيه معذب الفكر، قلق الضمير، مروع القلب، لا أذوق للراحة طعماً، ولا للجاه معنى، لأنى سوف أُحمل فيه على معانقة من أكره، ومصادقة من أعادى، وعلى فعل ما أعتقد ضرره لأمتى وبلادى، وعلى الدفاع عما أعتقد بطلانه، وعلى الإشتراك فى المسئولية أمام الناس عن أمور لارأى لى فيها ولاعمل!

إن الميل إلى كل تلك الأشياء - مع مافيها من كل هذه الأضرار - لايتأتى أن ينشأ إلا من ضعف فى النفس وهزال فيها. ولو ساغ للعقل أن يتساهل فى الميل إلى الشيئين الأولين،[15] لعدم تعدى ضررهما إلى الغير، وإنحصاره فيما يختص بالإنسان وحده، فلا يسوغ له أن يتساهل معها فى الميل إلى الشيء الثالث[16]، لأن ضرره يتعدى إلى الكافة، ويعم الأمة جميعاً. ولاينخدع بكون الوزير يمكنه أن ينفع نفعاً سلبياً إذا كان قديراً وكفاً، إذ لايقترح الضرر، ولايرضى به إلا مكرهاً، فيتخذ من هذا وسيلة لمجاراة النفس فى

(١٥) أى الميل إلى لعب الورق وأكل النشويات والسكريات.
(١٦) أى الميل إلى الوزارة.

ميلها، وقعوده عن صدها، لأن مالايقترحه من الأضرار ليس بشىء فى جانب مايُقترح عليه! نتيجته[١٧] والضرر لاتختلف صيغته ولاأثره فيمن يقع عليه إذا حصل باختيار الفاعل أو بالكره منه، ولكن وقوع الضرر من الإنسان، ولو بالكره منه، يربى فيه ملكة الإيذاء، ويقوى فيه الميل إلى الإساءة، ويعوده على عدم المبالاة بتأوه المظلومين، وتألم المضرورين، ويجعله يستخف بما كان يستثقله من قبل على ضميره، ويرتاح شيئاً فشيئاً إلى ماكان ينفر منه.

على أنه إن لم يوطد نفسه على ذلك من قبل، لم يكن هناك معنى لذلك الميل، إذ لايمكنه أن يستقر فى مركز الوزارة دقيقة واحدة.

[١٧٨٤]

ومن الخديعة للعقل أن يتوهم أن الإنسان الذى يميل هذا الميل يسهل عليه ترك الوزارة إذا عجز عن فعل الخير، أو إذا حمل على فعل الشر، لأنه متأكد من ذلك[١٨] من قبل، ومع ذلك يقوم به هذا الميل!

وبناء عليه، ألوم نفسى لوماً عنيفاً على الميل المذكور،

---

(١٧) قراءة اجتهادية من السياق.

(١٨) قراءة إجتهادية.

٢٧٠٦

واستنجد عليه[١٩] بالعقل، وأستعين بقوته على إزالته، وإلا ختمت أيامى بخاتم الشقاء، وحقت علىّ اللعنة إلى يوم الدين.

ليست هذه بأول مرة جاشت تلك الأفكار بصدرى، ولا بأول لعنة استنزلتها على نفسى، ولكنها أفكار طالما ترددت، ولعنات كثر ما دعوت بها، ومع ذلك فلم يكن إلا ريثما أكتبها وأقولها حتى أنساها ويعود إلى النفس ذلك الهزال! فهل من دواء لهذا المرض المزمن، والداء الدفين؟

خُبِّرت أن هلباوى قال إنى أسعى للوزارة! فغضبت أشد الغضب، وأظهرت غضبى لمحمد محمود. وراح هذا فأخبر هلباوى بيك. فحضر معتذراً منكراً ما نُسب إليه ـ على نحو ما فصلت فى مكان آخر.

فبأى حق تغضبُ لمنع هذه القالة؟ مع أنها أقل ما تشعر به من نفسك؟ وبأى وجه تلوم صاحبك وهو لم يَفْتَرِ عليك ولكنه وقف[٢٠] على بعض ما خفى من سرك؟ إنك إذن لظالم! أتريد ألاّ يفهمك الناس، وأن يستروا منك ما لم تستره عن نفسك؟ إنك لجاهل أحمق!

---

(١٩) فى الأصل: «عليها».

(٢٠) قراءة ترجيحة.

٢٧٠٧

ليس لك أن تغضب من قول السـوء فيك، بل من السوء نفسه أن تفعله!

ولو أنك تظاهرت بالغضب أمام الناس من غير أن تكون فى الحـقـيـقـة غـضـبان، لـفهـمتُ أنـك تريد غش الناس وخديعتـهم! ولكنك غضبت حقيـقة، وتألمت، فعلمتُ أنك تناقض حقيقتك، جاهل بقدر نفسك!

ألم يأن لك أن تنهـض من هذا الهـزال؟ وأن تتـشـجع فتخلع عـنك هذه الأميال[٢١]؟ وتعيش سليم الجـسم والعقل، طاهر القلب سعيداً فى الآخرة؟

اعلم إنك لا تكسب من اللـعب إلا الخسـارة، ولا تجنى من أكل الممنوعات إلا الضعف، ولا تستفيد من المسند[٢٢] إلا تعب القلب، وقلق الضـمير، وقلة الثقـة فيك، وأن يـقول الناس فيك مـا تقول أنت اليوم فى الوزراء: ضعـيف، لئيم، خائف، رقيق، وضيع، خائن.

سأعود اليوم إلى مـصر فى القطار الذى يقوم من محطة صهرجت الساعة ١٢,٢٠

[ص ١٧٨٥]

---

(٢١) يقصد: الميول

(٢٢) يقصد الوزارة.

٢٧٠٨

فى ٤ فبراير سنة ١٩١٨

قدمت من مصر فى ٢ منه بقطار الساعة ١,٥٠، وكان الهواء عاصفاً، والجو صحواً.

وريثما تغدّيت، زرت الغيط، وسررت من حالة المزروعات وجودتها، ووجدت الأرض قد تم إعدادها لزراعة القطن ولم يبق إلا وضع البذرة فيها.

ولكن هذه[٢٣] لم تصل، فبعثت إلى حتاتة تلغرافاً أستعجله فيه إرسالها. وقد شحنت ووردت البوليصة، ولكنها لم تصل لحد الآن.

وقد كان الهواء أمس جميلاً جداً. وقد تعاطيت فى نحو الساعة ١٢ من أول أمس أربعة فصوص ثوم مقطعاً كل منها ثلاث قطع. وتناولت أمس فى الساعة ٤ بعد الظهر مثلها، وفى الساعة ١٢ أربعة على الطريقة المذكورة. ونتيجة التحليل[٢٤] أمس واليوم جميلة، والصحة بحمد الله جيدة، والنوم هادئ، والقلب مستريح، والخاطر ساكن.

واليوم آنس من نفسى قوة، فقد أضحت[٢٥] زاهدة فى المنصب، نافرة من اللعب، راغبة فى المعيشة البريئة من

(٢٣) فى الأصل: هذا، ويقصد البذرة.

(٢٤) يقصد تحليل السكر فى البول.

(٢٥) أى: نفس سعد زغلول. ونلاحظ أن سعد زغلول يخاطب نفسه ويحاسبها كما لو كانت شخصاً آخر يعيش داخل جسده وفى نزاع معه!

العيوب، النقية من الشـوائب. فاللهمّ أدم عليها هذه الحالة، وإلا فقصر من الأجل لأن الموت خير من حياة المهزولين.

ينفخ الهواء من الصبـاح، وتغيب الشمس حيـنا فحينا، فينتشر البرد. وقد مشيت ساعة، وركبت الفرس ثلث ساعة، ثـم تمشـيت قبل الغـدا مقـدار نصف ساعـة، وأشعر بنـشاط عظيم.

وقد عثـرت فى كتيب طبى على وصفـة لنوع من العيش الذى يبـاع للـمـريض بالسكر أن يأكل منـه، وهى أن يغلى مقداراً[٢٦] من نخالة القمح فى إناء ثلاث مرات ثم يصفى كل مرة، ثم يصب عليـه ماء بارد إلى أن يسـيل منه جانب، ثم يجفف، ويخبز بعد عجنه باللبن[٢٧] وخفقه بالبيض.

فى ٥ منــــه

صنع ذلك العـيش، وأكلت أمس منه، وأظهر التـحليل اليوم تغـيراً حيث يميل إلى الصـفرة، مما يدل على أن للسكر أثراً فيه. والمقدار الذى أكلته كان متوسطاً.

وقد فكرت البارحة فى رئاسـة الجمعية[٢٨]، وترشيـحى

---

(٢٦) فى الأصل: مقدار

(٢٧) قراءة ترجيحية.

٢٧١٠

لها. ولكننى أرى الفكر فيها الآن سابقاً لوقته. ومن هنا، إلى أن يثون أوانها، زمان لا يعلم غير الله ماذا يحدث فيه من الانقلابات والتغيرات، سواء فى العالم كله أو فى الإنسان نفسه. فلا محل للاشتغال بهذا الموضوع ولا بما يماثله.

وضع حافظ بيك إبراهيم(٢٩) قصيدة فى سيرة عمر بن الخطاب ووقائعه، وأجاد فيها كل الإجادة، وسيقام لإنشادها احتفال حاشد فى (. . .)(٣٠) بسراى وزارة المعارف بدرب الجماميز يوم الجمعة القادم. وألح علىّ محمد باشا محمود

---

(٢٨) يقصد: الجمعية التشريعية.

(٢٩) حافظ ابراهيم (١٨٧١ ــ ١٩٣٢) لقب شاعر النيل، ولد بالقرب من ديروط بصعيد مصر، ومات فى القاهرة. كان أبوه مهندساً، وأمه سيدة تركية. مات أبوه وهو فى الرابعة، فقضى حياة مضطربة فى كفالة خاله، ولم يتلق تعليماً منظماً دخل المدرسة الحربية فى القاهرة، وعين ضابطاً فى السودان، فاشترك مع بعض زملائه فى حركة تمرد على القواد الانجليز، واحيل إلى الاستيداع، وعاد إلى القاهرة ليبقى بها فترة طويلة دون عمل،واتصل بكثير من الزعماء فى ميادين السياسة والفكر والاجتماع، وخصوصاً الشيخ محمد عبده. وشارك مشاركة قوية فى الأحداث السياسية معبراً عن مشاعر الطبقات الشعبية، ثم عين مديراً لدار الكتب المصرية. وقد غلب الطابع السياسى على شعر حافظ ابراهيم، وكان له طريقة مؤثرة فى إلقاء شعره فى المحافل. طبع ديوانه فى حياته فى ثلاثة أجزاء صغيرة (١٩٠١ ــ ١٩٢٢) ثم طبع بعد وفاته شاملاً لكثير من شعره الذى لم ينشر فى الطبعة الأولى. وله كتاب نثرى: «ليالى سطيح» على أسلوب المقامات، وقام بترجمة رواية البؤساء المرنسية، ولكنها ترجمة غير دقيقة. (الموسوعة العربية الميسرة).

(٣٠) كلمة غير مقروءة.

فى حضور هذا الاحتفال.

وكان رجانى الشاعر المذكور أن أفتتحه بخطاب، فترددت فى الأمريـن، ولكن ـ على فرض الإجـابة ـ فماذا يـكون ما أقول فى ذلك الخطاب؟

يكون ما يأتى:

[ص ١٧٨٦]

أيها السادة:

اجتمـعنا اليوم فى هذا المكان لأن نسمع أفـخم شعر فى أعظم رجل، أعز الله به الإسـلام، وأظهره على الدين كله. فقد عنى الشاعر العظيم حضرة حافظ بك إبراهيم. . . .[٣١].

[ص ١٧٨٧]

فى ٦ منه

حضرت البذرة، وعزمنا بعناية الله على البدء فى زراعتها غداً الخميس. بارك الله فيها!

أمطرت الـسـمـاء أمس مطراً غـزيـراً، بلل الأرض ووحلهـا. وفضلت أن اسـتحـم، فتم لى ذلك، وبقـيت فى الغرفة حتى اليوم. وقد نمت نوماً مستغرقاً، واستيقظت نشطاً منشرح الصدر، وكتـبت خطابى اليومى إلى الحرم، وحاولت

---

(٣١) الكلام مقطوع فى الأصل.

أن أكتب شيئاً في الإحتفال الســالف ذكره فلم أوفق إلى ما أرغب، فأرجأت الأمر إلى فرصة أخرى.

في ٧ منه

كان الهـواء شديداً، والمطر تساقط قليـلاً، وقد بدأنا في إلقاء البذرة في الأرض التي لم يـنزل بها ماء. والاتكال على الله!

في يوم ٨ منه

عـزمنا على العـودة الآن. ولـم أنم الليلة البـارحـة إلا قليـلاً. والتحليل كـان رديئاً، ولكنه تحـسن بعـد محـصول الليل[٣٢]. والله المبرئ من العلل، والواقي من الخطل.

في ١٦ مارث سنة ١٩١٨

بعد أن سافرنا في اليوم الســالف ذكره إلى مصر، وأقمنا بها عدة أيام، عدت إلى هنا يوم تاريخه، أي يوم ١٦ منه في الساعـة ٢٫٠ بعد الظهـر. وكان الهواء عـاصفاً عـصفـاً شديداً وبارداً.

وقد وجدت القطن تم تعبئته وينتظرون القباني. ووجدت الجنية قد رصت[٣٣] في شكل مقبول، وزراعة الشتوى نامية، وبالفول نوع من التلف في أعـلاه من ندوة أصابته فـأسقطت

(٣٢) كلمة محصول قراءة ترجيحية. وفي حـالة صحتها يكون المقصود: محصول الليل من البول الذي كان سعد زغلول يـقوم بتحليله. وكان الأطباء في ذلك الوقت ينصحون بتجميع البول لتحليله.

(٣٣) هكذا تقرأ، وقد تقرأ: «وضعت».

زهره. أما القطن فأغلبه حسن، ولكن أرضه وسخه إذ فيها كثير من جذور الذرة والحشائش. ونبات القطن ذابل يضرب لونه إلى الصفرة، وفيه انكماش. وقد علمت أن زراعة البرك التى أشار بها محمود باشا لم تفلح، لأن البذرة كانت قليلة ووضعت والأرض رطوبة. ورأيت المواشى جيدة، والبرسيم عظيماً، والأحوال على الإجمال راضية.

ولكنى لم أجد من نفسى ذلك الإعجاب الذى كنت أشعر به من قبل عندما أوجد فى هذا المكان! ولم هذا التغيير؟ سأبحث عن الأسباب!

[ص ١٧٨٨]

فى ١٧ مارث ١٩١٨

مضيت ليلة هادئة، حيث نمت الساعة التاسعة، وفارقت السرير الساعة السادسة بعدما نمت نوماً مستغرقاً لم أستيقظ أثناءه إلا مرة واحدة. وقد أمطرت[٣٤] السماء ليلاً رذاذاً، وأصبح الجو لطيفاً، والهواء منعشاً.

وزرت زراعات القطن والقمح والبرسيم، وانشرح صدرى منها. وأُخذ فى وزن القطن، وهم لا يزالون فى وزنه، والمنظور الانتهاء منه فى الظهر. وفى العزم أن أعود اليوم لأسافر غداً إلى دمنهور، لأحضر وزن القطن فيها أيضاً. والله الموفق!

(٣٤) فى الأصل : «مطرت».

٢٧١٤

والأفكار التى كانت تتردد علىّ هادئة عندما أكون فى عزلة مثل هذه العزلة، لم ترد إلا قليلاً، وكذلك الأحلام.

بمناسبة تحديد أسعار القطن، وسخط الناس من هذا القرار، قد قالت لى حرمى أول أمس: أحمد الله على أنك لم تكن اليوم فى الحكومة، وإلا كنت فى هم وغم وحيرة، فإما أن توافق على هذا القرار فتجلب سخط الأمة، وتستنزل لعناتها عليك، وإما أن تعارض فيه فتعرض نفسك لغضب الأقوياء وانتقامهم منك! فالحمد لله على الانزواء، وعلى أن نكون مظلومين لا ظالمين!

قبل أن أسافر من مصر، زارنى الشيخ رشيد رضا[٣٥]، وأظهر أنه ساخط على السياسة التى ترمى إلى[٣٦] فصل سوريا عن تركيا من غير أن تنال هذه استقلالها الحقيقى. واستحضرت[٣٧] بيتا تممته، لأنه عبر عن معنى طالما تردد فى

(٣٥) محمد رشيد رضا (١٨٦٥ ــ ١٩٣٥) من رجال الاصلاح الإسلامى، ولد ونشأ فى القلمون بطرابلس، وتعلم فيها، ورحل إلى مصر سنة ١٨٩٧، واتصل بالإمام الشيخ محمد عبده، وتتلمذ له. أصدر مجلة المنار (٣٤ مجلدا)، و«تفسير القرآن» (١٢ مجلدا) ولم يكمله، و«تاريخ الاستاذ الإمام الشيخ محمد عبده». رجع إلى دمشق فى أعقاب إعلان الدستور العثمانى سنة ١٩٠٨، واضطر إلى العودة إلى مصر لينشىء مدرسة الدعوة والإرشاد. وفى أيام الملك فيصل قصد سوريا، وانتخب رئيسا للمؤتمر السورى، ثم غادرها على أثر دخول الفرنسيين إليها عام ١٩٢٠، وأقام فى مصر. ثم رحل إلى الهند والحجاز وأوروبا، وعاد إلى القاهرة ليستقر فيها. وقد توفى أثر حادث، ودفن بالقاهرة (الموسوعة العربية الميسرة).

(٣٦) كلمة «إلى» أضيفت.

(٣٧) قراءة تقريبية.

خاطرى، وعبرت عنه فى مذكراتى بعبارات مختلفة، ولكنى وجدت عبارة هذا الشعر أملح وأصلح. وفرحت بتوافق خاطرى مع خاطر الشاعر، قال:

ولم أر ظلما[٣٨] مثل ظلم ينالنا .. يساء إلينا ثم نؤمر بالشكر!

وقد أنشدته إلى صدقى بيك على الأثر، فاستملحه واستملاه، وكتبه وتلاه!

فى ٢٧ مايو سنة ٩١٨

حضرنا اليوم للمصيف هنا، فوصلت الحرم فى الساعة ١٠ صباحاً، ووصلتُ فى الساعة٢ بعد الظهر بعد أن ودعت الجناب العالى فى سفره إلى إسكندرية. وقد كان المودعون كثيراً، وكان لابساً بدلة عسكرية من الكاكى، وصافح الكثير من المودعين.

وبعد أن أكلت واسترحت، طفت الغيط، فأعجبنى القطن على الإجمال.

قرأت فى جريدة المقطم أمس كتاباً من لطفى بيك السيد إلى عبد الحليم المصرى، يقرظ فيه قصيدته التى أنشأها فى سيدنا أبى بكر الصديق، ويطريها بأنها بلغت غاية الحسن.

ولا أظن أنه قال ما يعتقد فيها! [ص ١٧٨٩] لأن كثيرا من الذين سمعوها وتلوها، يرونها من الشعر الوضيع

(٣٨) قراءة اجتهادية وقد تقرأ «هضما»، وهى بمعنى الظلم.

الركيك. ورغم كونى أعطف على الشاعر من قبل، لم أستحسن هذه القصيدة عند سماعها، واستهجنت الكثير من أبياتها عند تلاوتها! ومهما كانت الأسباب التى حملت كاتبنا الكبير على التقريظ، فإنه بالغ فى قوله إنها بلغت غاية الإحسان.

ضج الناس من وسائل الجمع والإكراه التى استعملها رجال الإدارة فى حمل الشبان على التطوع للخدمة فى الجيش البريطانى. فهم يختطفون الناس من الأسواق والشوارع والطرقات، ومن المساجد والمحاكم، ويدعونهم للختم على طلب التطوع! ومن أبى الختم منهم ضربوه حتى يختم! وفى أغلب المراكز ختام يصنع الأختام لمن يكرهون على التطوع! ولقد حدثت حوادث كثيرة بين الأهالى والحكام بسبب هذا الخطف، قتل وجرح فيها الكثيرون.

وأوشك الأمر أن يضطرب، فأخذت الحكومة تتنصل من تبعة ذلك، وتلقى بواسطة الصحف المسئولية على العمد والمشايخ. على أن هؤلاء لم يكونوا وحدهم المجرمين، بل هم آخر الآثمين، وأولهم مستشار الداخلية* ووزيرها**، ثم المديرون ومن يليهم.

وكيف يتأتى للحكومة أن تتنصل من تبعة هذه المعاملة،

* جيمس هينز.

** حسين رشدى باشا.

وهى الآمـرة بهـا؟ لأنهـا، مع علـمـهـا بنفـور الأهالى من التطوع، أكـدت على الحكام أن يبـذلوا منتـهى جهـدهم فى حـمل الناس عليه. ومـا هو[٣٩] جهـد الحاكم فى استـمالة مصـرى فى معـاونة الغاصب لـبلاده على مـحاربة جـيوش خليفـته، الذى يدعـون له فى كل جمعـة بالنصر والتـأييد، فضلاً عن كونهم إخوانهم فى الدين!

ولقـد أقامت الحكـومة القـيـامة على رجـال الإدارة فى مديرية البـحيرة، لأنهم أساءوا مـعاملة بعض الأشقيـاء لغاية تأمين الأمن، وقالت: إنى لا أسمح بمخالفة القانون ولو كان فى ذلك تأمين للأمن وحـفظ النظام! فـما بالهـا اليوم تأمـر بمصادرة الناس فى حرياتهم، وتبيح استعمال القهر والتعذيب فى هذه المصادرة؟ اللهم إن هذا الظلم لعظيم!

فى ٢٨ منه

نمت الليلة نوماً أقـل قلقاً من النوم فى مصـر، ونهضت منتعشاً. وكان الهواء طيباً، ورائحته زكية.

نشر المقطـم اليوم خبـر الاحتفـال أول أمس بزواج بهى الـديـن[٤٠] بعبارة مـختصرة. وصفت العـروسة بكونها بنت عفيفى[٤١] باشا وحفيدة محمود باشا خليل.

---

(٣٩) قد تقرأ: وما هو.

(٤٠) بهى الدين بركات.

(٤١) هكذا تقرأ.

[ص ١٧٩٠]

ولست راضياً عـن نفسى لاشتغالهـا بهولاء الناس[٤٢] وزواج بعضـهم، بعد أن أعلنت كـبيرهم بـأنه لاشأن لى فى هذا الزواج، وأنه يخص والديهمـا، لأن انفصال هؤلاء عنى أمر كان متوقعاً من بضعة أشهر، إن لم يكن من بضع سنين، لأنى كنت أشعـر أنهم يعملون على منافـستى، ويسـرهم ما يحزننى ويحـزنهم ما يسـرنى، وكأنهم[٤٣] فى داخلْ مـبنى مقارب يلتقون[٤٤] كلما سنحت الفرصة، وكانت عيونهم تجول فى جوانبـه جولان من يفتش علـى عيب ترتاح نفسـه إليه، ومكروه يشـمت به! وكـانـوا يتـعـمـدون فى مـجـالسـتى الاستخفـاف وقلة الاحترام، فيسكتـون حينما يجب الكلام، ويتكلمـون حـيث يلزم الإصـغـاء! وإذا ذكـرت محـصـولاً جنيت[٤٥]، قالوا: جنيناً مثله أو أزيد منه! أو عملاً باشرت، قالوا: باشـرنا أتقن منه! أو متاعـاً اشتريت، قالوا: اشـترينا أنفس منه! وإذا مُدح صديق لى ذموه، أوعدو امتدحوه! إلى غيـر ذلك مما أخذت منه[٤٦] أن فيهم ميـلاً للمنافسة والظهور علىّ.

---

(٤٢) أى أسرة بركات.

(٤٣) فى الأصل: وكانوا

(٤٤) قراءة تقريبيه

(٤٥) فى الأصل : «أجنيت»

(٤٦) قراءة اجتهادية.

٢٧١٩

ولقد جروا على مبدأ الاستقلال في كل ما يتعلق بشئونهم، فلم يطلعوني على مشروع يخصهم، ولا سر بينهم، وتظاهروا بذلك - خصوصاً فيما يختص بالزواج - حيث عاملوني في كل ما يتعلق به معاملة الأجنبي عنهم.

فلا حق لي بعد ذلك أن أنتظر منهم غير هذه النهاية، ولاوجه في أن أشغل فكري بشأنهم. وما أريد أن يتصلوا بي بعد هذا الانفصال، لأني مقتنع كل الاقتناع الآن بلؤم طباعهم، وخبث نياتهم، وأنهم إذا اتصلوا فلا يغير الاتصال شيئاً من طباعهم، ولا يفيدني أقل فائدة (. . .)[٤٧] الفكر فيهم. وإني، وإن لم أتعود الإيذاء، ولاتعمد الإساءة، فواجب على نفسي أن أنساهم أصلاً.

ولست راضياً عن نفسي، لأنها لا تفكر في إصابتي من الخسارة في القمار، ولا تتألم التألم الكافي لتزهيدها من هذه العادة الذميمة، والرذيلة الشنيعة، مع أن مصيبتي بها أشد من مصيبتي بعقوق تلك العائلة، لأن هذا العقوق لا ينقص من قدري، ولا يقلل من مالي، ولا يضر بصحتي - بخلاف القمار، فإنه يحط من شأني، ويضيع مالي، ويفسد على صحتي، ويقلق راحتي، ويكدر زوجتي، ويسيء ذوي رحمي، ويشمت بي الأعداء.

أفلا يلزم أن أحصر في اجتنابه فكري؟ وأملأ نفسي ندماً

(٤٧) كلمة غير مقروءة

على ما أنفقته فيه من مال وصحة وزمان؟ والله إنه لا يحل لى أن أشتغل بشئ قبل أن أجتث من نفسى أصول تلك الرذيلة، ولا يصح أن يهدأ لى بال حتى أتخلى عنها بالكلية.

[ص ١٧٩١]

ويخيل لى، وأنا هنا بعيد عن الملعب، أنى تركت اللعب! ولكن هذا وهم باطل، لأن هذا الترك ناتج عن استحالة مباشرة اللعب لفقدان شروطه! والشعور الصحيح إنما يكون إذا توفرت الأسباب، وارتفعت الموانع، ولم يوجد - مع ذلك - الميل إلى هذه الرذيلة. هناك أهنئ نفسى بعدم وجوده إذا لم يوجد.

إذا أردت أن تسر أصدقاءك[٤٨]، وأن تكمد أعداءك، وتحفظ مالك وصحتك، وتستبقى منزلتك، فلا تلعب ولاتلهو، واجتمع بالصالحين الطاهرين من هذا العيب، البريئين من تلك الرذيلة. وهذه أحسن وسيلة تبلغ بها الغاية من البرؤ من هذه العلة القتالة للفضيلة، المميتة للكرامة، والداعية[٤٩] للمهانة، أعاذنا الله من بقائها، ووقانا شر الاستمرار فيها.

وعدنى إسماعيل صدقى باشا أن يتعشى عندى هذه الليلة وكادت تكون الساعة ثمانية، وما حضر، وما اعتذر!

---

(٤٨) فى الأصل: «أصدقائك» و«أعدائك».
(٤٩) فى الأصل: داعية.

٢٧٢١

إذا استخف بك من يعرفك، فاعلم أنه شعر بضعفك!

إذا استخف صديق بودك من غير أن تعرف سبب استخفافه . . .[٥٠].

حضر صدقى باشا فى الساعة ثمانية وعشرين دقيقة، وفهمت منه أن رشدى قال له إنه سمع أنه وانا نسعى لقلب وزارته! وإنه لم يصدق ذلك. فقال له: كيف أسعى؟ وبأية كيفية؟ فقال: لهذا لم يصدق ذلك الخبر!

قلت: لعل هذا سبب ما شاهدته منه، ومن وهبه، وعدلى، من عدم القيام لى عند قدومى عليهم فى كُتَّب كتاب كريمة محمد أباظة!

وفهمت منه كذلك أن برونيت حكى لهم ما وقع بينى وبينه عقب القرار الصادر فى مسئلة القطن. وصدّر عبارته لهم بأنه لا يزال يوجد أناس فى هذا لا يعرفون وظيفة الحكومة الإنكليزية، فإن فلاناً حضر إلىّ وجاء فى كلامه إن الجمعية التشريعية لو كانت دعيت لحلف الطاعة للسلطان، لامتنعت، فقال: كيف صح لك وأنت أحد أعضاء هذه الجمعية، أن تطلب أن تكون وزيراً؟ فقلت: إن هذه مسألة أخرى!

وأيدت رواية صدقى ما رواه محمد صدقى باشا من كونه سمع مثل ذلك عن شكرى باشا.

(٥٠) العبارة مقطوعة فى الأصل.

[ص ١٧٩٢]

ويتبين من هذا وذاك أن برونيت معجب بهذا الجواب، وأن الوزراء مستاءون منى، وظهر استياؤهم[٥١] من تثاقلهم عن القيام[٥٢]. والأحسن اجتنابهم واجتناب هذا المستشار.

فى ٢٩ منه

نمت أمس فى نحو الساعة ١١، بعد انصراف إسماعيل صدقى، نوماً هادئاً، وأصبحت مستريحاً.

وكان أغلب فكرى فيما جرى بينى وبين برونيت من الأحاديث، وتاريخ آخرها، ويغلب على ظنى أنه كان قبل التاريخ الذى تقرر فيه إهداء النيشان إلىّ (*).

وأشعر اليوم أنه يجب علىّ أن أرضى ضميرى فقط دون سواه، لأنى غريب عن الوسط الذى أنا فيه، ولا يرضى عنى ضميرى إلا إذا أقلعت إقلاعاً تاماً عن اللعب، واستبدلته بغيره مما هو أنفع للناس وأبعد عن الإضرار بى. وإذا خصصت خُمس ما كنت تضيع فى القمار بالإنفاق على ذوى الحاجات، ومساعدة البائسين، لفزت بقسط وافر من السعادة ورضا الناس عنك. فعجل بذلك ولا تضيع وقتك!

يجهل الإنسان فى الغالب حقيقة ميله، , يعرفه الغير أكثر منه!

---

(٥١) فى الأصل استياءهم

(٥٢) يقصد : القيام له عند قدومه عليهم.

* يقصد «نيشان النيل». وقد أنعم به السلطان فؤاد على سعد زغلول فى ١٩١٨/٣/٢٥

٢٧٢٣

إن الإنسان لا يعبر فى الأغلب عن الشعور الذى يجده من نفسه، ولكن عن الشعور الذى يستحسنه!

فى ٣٠ مايو سنة ١٩١٨

نمت أمس نوماً خفيفاً، قلقت فى أثنائه بعض القلق. وأكثر ما كنت أفتكر فيه علاقتى مع رشدى ومع برونيت. وانتهيت أن لا أقيم لها وزناً، لأنى لا أريد أن أكون موظفاً ولا مقرباً.

يشتغل الأنفار بنقاوة اللطع، وقد ظهر بعض الفقس فى بعض النقط، فشددت الأوامر بدقة الالتفات.

وأغلب ما أطالع، فى كتب الجغرافية والأطالس والفلسفة.

حضر محمود صدقى باشا اليوم، فتركت له خبراً بأن يحضر للعشاء، فكتب يعتذر بأنه وصل تعباً ومعه سباعى بك، وأنه يتعشى عندى غداً. فذهبت إليه،ولم أر عليه تعباً! ودعوته للعشاء هو وسباعى، فأجابا.

ثم رأيت القمح فوجدته نظيفاً.

قال بأن العلف، وكذلك الشعير والفول، فى المخازن. وأخبرنى بأن الغلة ستكون باعتبار الفدان ثمانية أرادب وكسور [ص ١٧٩٣] ولكنه يقول ذلك باعتبار وزن الأردب ١٥٠ كيلو!

ولما دعوته على المائدة للغداء غداً، قال سباعى: إن الأيام بيننا، وسنحضر كثيراً.

لا محل لاستغراب ما وقع من عائلة بركات! أما عميدها[٥٣] فلحداثة عهده بالنعمة، وشدة تشوقه للظهور، وتوهمه أن اتصاله بمثلى الآن يمنع من ظهوره بالمظهر الذى يحبه لنفسه، وربما عاق بعض مصالحه لشعوره بأن أصحاب النفوذ من الإنجليز غير راضين عن سياستى. وقد سبق أن هرب من الجمعية التشريعية عند نظرها فى قانون النقابات الزراعية[٥٤] خوفاً أن ينضم إلى رأيى، وغرر أنه مصاحب

---

(٥٣) فتح الله بركات.

(٥٤) قانون النقابات الزراعية، ويسمى أيضاً بـ«قانون شركات التعاون الزراعية»، هو أحد القوانين التى نظرتها «الجمعية التشريعية»، التى ورثت مجلس شورى القوانين والجمعية العمومية، بمقتضى القانون النظامى الذى صدر فى أول يوليو ١٩١٣، وخاض سعد زغلول انتخاباتها عن دائرتين من دوائر العاصمة ونجح فيهما معاً، وانتخب وكيلاً للجمعية. وانعقدت الجمعية التشريعية خمسة أشهر فقط من ٢٢يناير إلى ١٧ يونية١٩١٤.

وكانت الحكومة، بإيعاز اللورد كتشنر، قد أصدرت ما عرف باسم قانون «الخمسة أفدنة» الذى حظرت فيه جواز نزع ملكية الزراع الذين لا تزيد ملكياتهم على خمسة أفدنة، بقصد حماية الفلاحين الفقراء من الدائنين، ولكنه أباح نزع ملكية من تزيد ملكياتهم على خمسة أفدنة، فأوجد مفارقة غريبة، حيث أصبحت زيادة الملكية عقوبة تجرد صاحبها من كل شئ، إذ تبيح نزع ملكته بالكامل، فيصير أسوأ حالاً من المالك الصغير! وفى الوقت نفسه لم يوجد القانون مصدراً للتسليف الزراعى لمن يملكون خمسة أفدنة فقط، بعد أن أحجمت البنوك عن تسليفهم لتمتعهم بحماية قانون الخمسة أفدنة، الأمر الذى اضطر الكثيرين منهم إلى بيع أراضيهم لسداد ديونهم! وبمعنى آخر أن هذا القانون ــ الذى تفاخر به اللورد كتشنر ــ أضر الملاك الصغار والكبار على السواء! =

لعلى بيك ابراهيم، صديق جعفر والى وكيل الداخلية، وأن أخاه ناظر مدرسة القضاء، ونجله أستاذ فى مدرسة الحقوق!

وأما عاطف[٥٥]، فإنه شخص يحب ذاته كثيراً، فخور جداً بعمله، طماع فى العلو، قليل الذوق. حقود، سيئ التربية، محتقر للغير، وقح للغاية، وخائن[٥٦] لا يرعى للذمم[٥٧] عهداً، ويستبيح كل شئ.

ولقد عرفت ذلك فيه عقب عودته من أوروبا. وكلما طال اختبارى له ظهرت لى فيه هذه الصفات وتأكدت منها.

= لذلك ارتفعت الأصوات مطالبة الحكومة بإصدار تشريع للنقابات الزراعية يجعل منها أداة صالحة للتسليف الزراعى. وهو مااستجابت له الحكومة بتقديم مشروع قانون النقابات الزراعية، أو «قانون شركات التعاون الزراعية».

على أن المشروع الذى قدمته الحكومة تعرض لنقد شديد من سعد زغلول، لأن الحكومة جعلت من نفسها سلطة كبيرة فى تكوين هذه النقابات وحلها، خوفاً من تحولها إلى مراكز سياسية تناهض الحكومة. وبسطت هيمنتها عليها بالتفتيش والمراقبة الشديدة.

وقد كان سعد زغلول يتوقع أن تؤيده الغالبية العظمى من النواب لأنه يعبر عن مصالحهم ومصالح الفلاحين، ولكنه فوجئ بتهربهم خشية الاصطدام بالحكومة! فلم يصدر القانون.

ومن هنا لم يغفر سعد زغلول لفتح الله بركات تهربه من الانضمام إلى رأيه بالذرائع التى تذرع بها، وتذكر ذلك فى سياق تسجيله لمثالب أسرة بركات بعد بضعة سنوات!

ونظراً لأهمية النقد الذى وجهه سعد زغلول فى الجمعية التشريعية لمشروع قانون النقابات الزراعية، ولطول هذا النقد، فقد ألحقناه بهذا الجزء، نقلاً عن كتاب: «سعد زغلول فى حياته النيابية» للأستاذ أحمد فهمى حافظ.

(٥٥) عاطف بركات: أخو فتح الله بركات وهما ابنا «ستهم» شقيقة سعد زغلول.

(٥٦) كلمة «خائن» هنا لا تعنى الخيانة الوطنية، وإنما تعنى عدم الوفاء.

(٥٧) فى الأصل: «للذمام»

وهو من الذين يرون أن الوقاحة حرية! وأن احترام الصغير للكبير ضعف! وأن التأدب مع الغير حِطَّة وضِعَة، وأن المقاصد تبرر الوسائل!

وأما نجله بهى الدين، ففتى مفتون بنفسه، مملوء من الإعجاب بها، سريع الإنفعال للغاية، تربى على الإستخفاف بكرامات الناس، والتهجم على حرماتهم، وقد ورث عن أبيه التملق والطمع والخداع، وأخذ عن عمه قلة الأدب، وخلْط الكِبْر بعزة النفس، والوقاحة بالحرية، والذلة بالتواضع والخوف بالاحترام! وما شككت، بعد ما وقفت عليه من أحواله، فى أن يصل فى سلوكه معى إلى هذه الغاية. فقد كان يسلم على بتقبيل اليدين سراً وعلانية، ثم اكتفى فى العلانية بالشروع فى التقبيل! ثم بعدم المصافحة، والسلام من بعد! وكان يتجه إلى أقرب مكان لى نجلس فيه، ولا يجلس إلا علىّ كرسى كبير fauteuil[٥٨]، ثم إذا جلس، يعبث بسلسلة ساعتة الذهبية! وإذا تحدثتُ تشاغل عنى ولم يحسن الإصغاء، وإذا أتيت بدليل على شئ، سألنى أقوى من هذا[٥٩]! وفى أغلب الأحيان يناقش رأيى مناقشة من يرغب الظهور، ثم لا يقتنع بحق ظهر على غير رأيه! وإذا لم يجد حجة وأُفحم القول، كان يسكت ـ لا سكوت المقتنع أو العاجز، بل سكوت المستخف المستهين! وإذا[٦٠] صادفته فى

(٥٨) كتبها سعد زغلول futille حسب النطق، والكرسى الفوتيه هو الكرسى الكبير الوثير ذى المساند فى الصالونات.

(٥٩) قراءة اجتهادية.

(٦٠) فى الأصل: «إذا».

مجلس وانصرفت عنه، تخلف عن مصاحبتى. ولا يحضر عندى إلا قليلاً.

هذه الوقائع - وإن كانت صغيرة - إلا أنها فى رأيى كبيرة الدلالة، ولا أصدق منها فى الدلالة على أخلاق الفتيان.

[ص ١٧٩٤]

وإنى كلما فكرت فى شأن هذه العائلة، كلما زدت اقتناعاً بصواب القرار الذى اتخذته من أول الأمر فى شأنهم، ومسألة تركهم لشأنهم، وعدم الفكر فيهم فى جميع الأحوال.

زرت اليوم عبدالله شريف، ورأيته مستغرباً لنسب هذه العائلة بعفيفى باشا. وطعن فيه وفى بيته طعناً وضيعاً، ورأيته عارفاً[٦١] بعدم استحسانى لهذه المصاهرة.

فى ٣١ مايو سنة ١٩١٨

لم أنم أمس إلا قليلاً، وقلقت كثيراً، وربما كان سبب ذلك سوء الهضم! ونتيجة التحليل اليوم راضية، والصحة العمومية جيدة والحمد لله. وقد اشتد الحر أمس واليوم وكثر الذباب، وعصفت الرياح، وثار الغبار، واقتم الجو، واستمر الحال على هذا المنوال إلى الغروب، حيث خفت الحرارة ثم سكن الهواء نوعاً من الساعة ١٠.

(٦١) فى الأصل: «عارف».

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٢٧٢٨

فى أول يونيو سنة ١٩١٨

تعشى محمود باشا(٦٢) عندنا أمس وكان العشاء غير جيد. وكان هو منشرح الصدر مغتبطاً. وقد رجانى فى أن أذهب إلى عزبته وأشجع أنفاره خصوصاً على العمل فى الدراس. وحررت إقرارا فى توكيل من الكريمات إلى السباعى بيك فى خصوص وابور البحر، وأمضته الست. وسلمته إليه لكى يمضيه من حرمه وحرم إسماعيل باشا.

أرقت أمس أرقاً طويلاً بعد أن نمت قليلاً، وأغلب فكرى كان فيما خسرت فى اللعب من النقود الخاصة بى وبغيرى. وتألمت كثيراً من كونى لم أبق على الأخيرة(٦٣)، فأشبهت قوماً كنت أذمهم بالخيانة واللؤم.

ولقد أثار فىّ هذه الآلام ما قاله محمود باشا(٦٤) من أنه ذاهب إلى مصر لشراء عقد من اللؤلؤ لحرمه(٦٥)، وهو العقد الخاص بحرم يوسف باشا قطاوى، والذى ثمنوه بمبلغ أربعة آلاف جنيه، وهو يطمع أن يأخذه بمبلغ ثلاثة آلاف جنيه. وقد رأيت حرمى وقد امتقع لونها عند سماع هذا الخبر، وتغير صوتها، وكنت أقرأ على وجهها علامات الاستياء القاتل من مقارنة حالها بحال أختها، وشعورها بقصورها عنها فى ميدان الثروة واليسار. وكان الكلام فى هذا الموضوع

---

(٦٢) يقصد: محمود باشا صدقى، عديل سعد.

(٦٣) يقصد النقود الخاصة بالغير.

(٦٤) أى : محمود باشا صدقى.

(٦٥) فى الأصل: إلى حرمه.

كنبال تنغرس فى فؤادى، فحركت علىّ تلك الآلام، ومنعتنى طيب المنام!

ولما انصرف محمود باشا، وجرى ذكر العُقْد المذكور، قلت: غريب أمر أختك! هي تبحث الآن عن اللآلئ تتحلى بها، وكانت بالأمس تقول، وتكرر، بأنها نوت أن تبيع كل ما عندها من حلى ومصاغ، ولا تترك شيئاً وراءها، ثم دائماً [illegible] ذهب ما كان فيها من [illegible] وإنها تحلت بأفخر الحلى وأثمن أصناف [illegible] الجواهر، فلا تعيد شيئاً من جمالها، ولا تستلفت الأنظار إلا المستخفين بعقلها، والمسوئين لفعلها!

فقالت ـ بعد أن سمعت بعض ذلك أو كله ـ: دعها تتمتع وتقر بالحياة عيناً!

فـأيد لى هذا القـول مـا قرأته علـى وجـهـهـا من آيات الأسف، وكان أشد إيلاماً لى مما سبق، فخرجت من الأودة، وأخذت أرعى النجـوم، وأبحث عن النجمة القطبيـة والدب الأكبر فى السماء! ثم صعدت إلى النوم، وبعد أن نمت قليلاً قلقت كثـيراً، وساورتنى تلك الآلام، وحق لهـا أن تساورنى وأن لا تفارقنى طول الحياة!

وهل يصح أن يهنأ لى عيش بعد أن قبضت مال قرينتى ولعبت به حتى أضعته؟ وجعلتها أقل من إخوتها مالاً وأكثرهن حزناً؟

تعساً لى وسحقاً! وتبّت يدى ثم تبّت[٦٦] إذا هى بعد الآن امتدت إلى مالها، وويلا لى[٦٧] من الحياة وسقماً إذا أنا لم أعوضها ما فقدَت، ولم أرد عليها ما أخذْت. وما هو إلا أن أترك اللعب فلا يمضى عام حتى يتجمع فى يدى المال الكثير، فإن لم يف أكملته من أملاكى. والله المعين!

وكان طلب منى محمود باشا أن أشرف على أعمال زراعته، فطفت ببعضها أمس، وذهبت إلى العزبة فى الساعة٩. ولم تكن مكنة الدراس ابتدأت فى العمل، ورأيت قطنه من النوع الجيد مثل قطننا، ولكن بعضه أشد منه وأطول. وكان اليوم كله غير حار.

فى ٢ يونيو سنة ٩١٨

نمت أمس أحسن، لأنى لم آكل إلا قليلاً من لحم الخراف والخضراوات واللبن الحامض[٦٨]. وأظن أن هذه

(٦٦) تبت أى هلكت.

(٦٧) قراءة اجتهادية.

(٦٨) أى : الرائب.

أحسن طريقة وأنسب بالصحة! وقد أصبح الهواء معتدلاً، واستمر فى الاعتدال.

أشتغل الآن بالقراءة فى كتب الجغرافية والفلسفة والاجتماع، وخصَّصت لكل زماناً. وأرى فى هذا التخصيص بعداً عن الملل ولذةً للعقل، فأتريض ساعتين: فى الصباح ساعة وفى المساء أخرى، وأنام ساعتين فى النهار وثمانية بالليل، والباقى للمطالعة والأكل والسمر.

فى ٣ منيه

كان التحليل اليوم رديئاً، ولعله من كثرة المشى أمس، لأنى بلغت به الساعة وأزيد. وزرت زراعة صدقى وعزبته ونبهت على ناظره بزيادة الأنفار لنقاوة اللطع، كما نبهت عندنا.

أسافر اليوم إلى دمنهور لأن أحوال زراعتها مختلة، ثم إلى مصر.

[ص ١٧٩٦]

٧ يونيو سنة ١٩١٨

سافرت إلى دمنهور - كما قلت - ووجدت أحوالها مختلة، فرفت ناظرها!

ثم ذهبت إلى مصر، ولبثت بها ليومين، ولم اقابل أحداً
مسروراً قليلاً ولم [illegible]
ورأيتهم يلعبون، ومكثت بجوارهم، وكاد الميل إلى اللعب يغلبني فتغلبت عليه بقوة الفكر في مضاره. وعدت في يوم ٥ منه. ولم يحدث شئ يستحق الإثبات سوى إني أحضرت معى كتباً من العلوم الرياضية. وأخذت في قراءة بعضها للاستفادة، وأراني مائلاً بكليتي للدرس والمطالعة، وهي[٦٩] تساعدني مساعدة ثمينة.

في ٨ يونيو ١٩١٨

زارني مأمور مركز زفتى، وقاضيها الشرعي، وحكيم مركزها أمس، ولم نعلم منهم شيئاً جديداً.

---

(٦٩) قراءة اجتهادية لأن الكلمة مطموسة بالحبر.

أخذت وطأ الدودة تشتد، وقانا الله شرها.

أوالى المطالعة فى كتب الحساب، واستفدت منها بعض الفائدة.

١٦ يونيو

مضّيت الأيام الماضية كلها فى الدرس، خصوصا درس الحساب. فقد استغرق كل أوقاتى، وأجد فى درسه لذاذة. ولكن قوة الحافظة ضعفت عندى، فأجد فى درسه شيئاً من الصعوبة. ولكنى سأتغلب بعون الله عليها.

وقل تأسفى على ما جرى من عائلة بركات، وتذكرى لها. ولايمضى إلاقليل حتى تكون مثل عائلة زغلول (. . .)[٧٠] فأحمد الله تعالى كثيراً.

سأقوم اليوم إلى مصر لمفاوضة الراغبين فى شراء أطيان دمنهور فى ثمن الشراء[٧١]، وربما ـ تغيبت عن هنا يومين. وقد سافرت الست أمس مع سعيد بيك[٧٢].

---

(٧٠) كلمة غير مقروءة.

(٧١) عبارة: «فى الشراء» هنا مجهّلة، وقد أضفنا كلمة «ثمن» لاستقامة المعنى.

(٧٢) يقصد: سعيد زغلول.

وعلى ذكر هذا الشاب، فإنى أرى ـ مع الأسف ـ أنه لاعناية له بشىء مما يتعلق بنا! فقد كتبت إليه أن يحضر كتب الحساب جميعها، فلم يحضر منها إلا واحداً! واحتج بأن الوقت كان ضيقاً عليه! مع أنه استلم خطابى قبل أن يحضر بيوم. ثم إنه لم يحضر إلا بعد أن اعتذر بكثرة أشغاله، وكتب بعد ذلك يقول إنه كان عازماً على الحضور يوم الخميس الماضى لولا أن رئيسه كلفه فيه بعمل هام! ثم حضر وماتوجهت نفسه أن يرى [ص ١٧٩٧] شيئاً فى الزراعة، ولا أن يسأل على شىء من متعلقاتها.

وكان يحكى لى ملخص بعض القضايا التى ترافع فيها، وكان لايحسن الجواب عما أسأله عنه! وحدث أن سرد حكاية سرقة وقعت للشيخ عليش، فسألته عن واقعة من وقائعها هل تحققت؟ فلم يجب عن هذا السؤال إلا بعد جهد جهيد وشرح منى لمعناه طويل. ورأيته يقلد محمود (. .)[٧٣] فى لهجة كلامه (. . .)[٧٤] وهو لايعرف خطأً، ولايعترف به إن عرفه، ويلجأ إلى معاذير فارغة هى أفظع من الخطأ!

---

(٧٣) كلمة غير مقروءة، وقد تكون: «محرز».

(٧٤) كلمة غير مقروءة، ونقرأ: «وتوقيعه».

في ١٧ يونيو سنة ١٩١٨.

عدت اليوم من مصر صباحاً، فلم أمكث بها غير ليلة واحدة. ولم أتفق مع غزال بيك الذى كان عرض شراء أرض دمنهور، لأنى وجدته طامعاً وجافاً، وأعلنته بأنى ليس عندى أطيان تباع. وانصرف على ذلك.

وتقابلت مع كل من محمد محمود، وصدقى[٧٥]، ولطفى السيد، وعبدالعزيز فهمى، وعبدالستار الباسل، ومحمد حتاته ونجله.

وليس فى الأمر شيء يستحق الإثبات سوى أن عبدالعزيز بيك تلا علينا خطاباً وضعته النقابة*، رداً على جواب ورد إليها من مستر برونيت فى شأن امتناعها عن انتداب عضو ينوب عنها فى اللجنة الفرعية للجنة إلغاء الامتيازات. وهو جواب سديد فيه روح وشجاعة وأدب وكرامة. فامتدحته عليه، وناقشته فى بعض نقط منه مناقشة بسيطة، انتهت باقتناعى بما كان يبديه من الإيضاحات.

ولم آكل طول هذه المدة إلا البيض والفول والجبن.

وقد علمت قبل عودتى أن خطبة بنت صدقى باشا عقدت إلى نجل محمود باشا فهمى، باشمهندس الأوقاف سابقاً.

---

(٧٥) إسماعيل صدقى.

* يقصد «نقابة المحامين»

وقد أعطيت محمد تحويلاً على البنك الأهلى بمبلغ مائة جنيه للصرف منه، وكلفته أن يعطيه ـ بعد سحبه ـ إلى الست تحمله معها غداً. ولم أجد فى مصر الراحة التى تدعونى لإطالة الإقامة بها، فعجلت العودة منها.

فى ٢٨ منــــه

شغلنى الحساب(٧٦) عن الاشتغال بغيره. وما وجدت من الوقت سعة لأقيد ما اعتدت تقييده فى هذه المذكرة. ومع ذلك فلم تقع فى المدة الماضية حوادث تستحق الإثبات إلا ما أثبت.

[ص ١٧٩٨]

فى ٤ يوليو

أخذت وطأة الدودة تخف هنا، ولا زالت على شدتها فى البحيرة. وقد بعت القمح جميعه ما نجز ومالم ينجز، بسعر الأردب الواحد زنة ١٥٠كيلو ٢٨٦ قرشاً، وتم تسليم جزء والباقى موقوف على انتهاء تذريته. وبلغ ما جمع من الفدان الواحد، باعتبار الأردب الحكومى، تسعة أرادب وسبع(٧٧) كيلات. ولكنى أشك فى ذلك، لأن الجرن الذى انتهى كان خاص(٧٨) لأن يكون فيه محصول ١٨ فدن، ولكن

---

(٧٦) يقصد: القراء فى كتاب الحساب.

(٧٧) فى الأصل: وسبعة.

(٧٨) قراءة تقريبية.

الناظر يزعم أنه أضيف من هذا المخصص على بعض الأجران الأخرى محصول فدانين وثلثان. والله أعلم عن النتيجة بعد انتهاء الأجران الباقية. والله محقق الآمال.

زارنى أول أمس أمين أبو يوسف[٧٩]، ثم عاد يوم حضوره. وزارنى قبله بيوم عبدالله زغلول، وبات ليلة ثم انصرف. ولم تعجبنى حالة تداخله فيما نفعل، وسؤاله عن داخلية أمورنا.

وضايقنى من أمين أبى يوسف أنه كان يسألنى عن أشياء كثيرة، ومنها أشياء داخلية لا تعنيه. وقد سألنى عما إذا لم يسبق لى دراسة العلوم التى اشتغل بالمطالعة فيها؟ فلم أجبه بجواب صريح.

والحقيقة أن أمرى غريب! أشتغل بدراسة العلوم الرياضية بعد أن بلغت من العمر عتياً، وبعد أن لم يكن فى الحياة متسع لاستثمارها! ولكنى استفدت منها العلم بمبلغ جهلى بالأمور الضرورية فى هذه الحياة، واستغرابى من المراتب التى نزلت فيها وأنا على هذا الجهل من الضروريات!

والله إننى كلما وجدت نفسى عاجزاً عن إدراك ما يدرسه صبيان المكاتب الآن، كلما دهشت أنى كنت وزيراً

---

(٧٩) أمين يوسف، والد مصطفى وعلى أمين.

٢٧٣٨
للمعارف فى هذه البلاد، وكلما تضاءلت أمام نفسى وتملكنى الحياء!

وجدير بى الآن أن أتوارى عن الأنظار، وأن لا آنف من مباشرة كل ما يفيدنى علماً بمقدارى من التأخر، ومبلغى من الجهل، فإن هذا يكسر من أنفى، ويخفف من غلواء كبريائى، ويحملنى على أن أغض النظر عمن يستخف بشأنى، وأن أنصف من نفسى كل من احتقرنى بسبب ما أنا فيه من الجهل! ولو كنت فى بلد راق لتقطعت بى الأسباب، وغلقت فى وجهى الأبواب! اللهم أعنى على نفسى، ونجنى من غوائل جهلى، وساعدنى على تخفيفه بقدر الإمكان![٨٠]

[ص ١٧٩٩]

والظاهر أن انهماكى فى درس الحساب، واشتغالى به آناء الليل وأطراف النهار - حتى على المائدة وحتى فى السرير - قد أورثنى شيئاً من الكلال والملل، وأخشى أن أقف دون الغاية! ولكنى سأواصل الجهد حتى أصل إلى درجة راضية، وإن لم تكن راقية!

أرى حرمى مسرورة من حالتى، وإن كنت لا أوفى حقها من المؤانسة والمجالسة، فلا أجلس معها إلا على المائدة مرة

---

(٨٠) هذا الحوار بين سعد زغلول ونفسه، يعتبر أشد ما حاسب به سعد زغلول نفسه. وهو قمة فى الشجاعة لم يسبقه إليها أحد، ولم يلحقه فيها أحد.

٢٧٣٩
فى كل أربع وعشرين ساعة، لأنها صائمة رمضان، ولا تدوم المرة أكثر من عشرين دقيقة. ومع ذلك أراها مسرورة، لا لأنها تحب البعد عنى، بل لأنها ترى فى هذا الاشتغال لذة لى، وبعداً عن الميل إلى اللعب.

وما أنا فى هذا بمنصف، لأن من واجبى أن أقابل هذا الشعور منها بما يناسبه من رعاية جانبها ومؤانستها، ولو بعض الأحيان، لأنها إن كانت وحدها كانت مؤانستها ضرورية لازمة لإزالة الوحشة من نفسها، وإن كان معها غيرها كان ذلك على الأقل دفعاً لما[٨١] يتوهمه الأجنبى من وجود شئ من الجفاء بيننا.

إذا كنت أظلم نفسى باللعب، وأظلم من يحبنى بالإعراض عنه، فمن لا أظلم؟ ومن أخدم؟

اتق الله فى نفسك وأهلك، وقسم وقتك بين الأنس والعمل.

٨ يوليو

سافرت اليوم الحرم صباحاً إلى مصر، لزيارة قبر والديها بمناسبة العيد. وهى عازمة أن تعود غداً إن ثبت أنه العيد، وإلا فبعد غد.

(٨١) أضيفت كلمة: «لما» لسلاسة العبارة وقد تقرأ: «دفعا لتوهم الأجنبى».

٢٧٤٠
عادت أمينة خانم الأزميرلية إلى مصر بعد أن أقامت هنا مدة تقارب العشرين يوماً، ومعها بنت بنتها. وقد اعتراها أول الأمر إنحراف فى صحتها، فأتعبنا نوعاً، ثم صحت. وحفيدتها تلك بنت فى الثامنة من عمرها، وظاهر حالها الهدوء والدعة، ولكن تحت هذا السكون حركة دون راحة.

فى ١٠ يوليو سنة ٩١٨

اليوم الأربعاء هو أول عيد الفطر، وكان يلزم أن يكون أمس، على حسب توقيعات الفلكيين، ولكنه لم يثبت عند الشرعيين كونه أمس، فجعلوه اليوم.

وقد حضر سعيد بيك أمس مساء على غير انتظار، بعد أن كان كتب إلىّ أنه سيحضر يوم العيد. وأكبر ظنى أن الذى حمله على المجىء هى الست، لأنى كنت كلفتها أن تبلغه بأنه لا لزوم أن [ص ١٨٠٠] يحمل نفسه مشقة الحضور إن لم يكن يجد فى ذلك راحة نفسية له، لأن التكلف فى الوداد ثقيل على نفس المتكلف، وعلى نفسى أيضاً.

وما أجد فى نفسى اليوم شيئاً من الجديد أثبته، ولاكذلك فيمن حولى، وما أشاهد. وقد اكتفيت بتلغراف أرسلته إلى السلطان بالتهنئة، وأعلم أن ذلك لايقع منه موقع حضورى، ولكن صعب علىّ منه أن لايسأل بكلمة عنى، بعد أن اعتذرت له عن عدم حضورى للتهنئة برمضان بانحراف

صحتى. فأجابنى على هذا التلغراف بآخر محرر بالعبارة التى ألفتها المعية من عهد أخيه لتكون جواباً لكل مهنئ!

أظهر التحليل الذى أحضر سعيد بيك نتيجته معه، أن عندى من السكر ٢٤٠ و٠ وأن ذلك ناشئ عن احتباس البول. وأن ما أشعر به - من زمن - في اليدين من تعسر الحركة والخدَر ناتج أيضاً من هذا الاحتباس - فيما يؤكد الحكيم على رمزى - وأن هذا الاحتباس على كونه يسبب إنحرافاً [illegible] المعالجة بأدوية [illegible] البعض الآخر. وما وصفه هو أن تُغلى سواشى الذرة [illegible] الماء. ففعلت ذلك من فورى، وتناولت الدواء.

قرأت من كتاب «أسرار البلاغة» لعبد القاهر الجرجانى[٨٢] بعض [illegible]، فرأيته أخفى أسرار البلاغة بدل أن يظهرها، [illegible] قواعدها عوض أن يسهلها، وأضاع بتنميق العبارة [illegible] إفادته بها من المعانى، ووقع فى كثير (. . .)[٨٣] ما عاب عليه. وماعجبت من مؤلفه، لأنه ربما كان له من حال الكتابة فى زمانه، وأسلوب القول فى عصره، مايشفع له أو يرفع منزلته فوق منازل أمثاله، ولكنى عجبت من أستاذى الشيخ محمد عبده، الذى كان إماماً فى البيان،

(٨٢) عبد القادر الجرجانى (ت ١٠٧٨) لغوى من الأئمة. من كتبه: «العوامل المئة» و«أسرار البلاغة» و«دلائل الاعجاز».

(٨٣) كلمة مطموسة بالحبر.

وكاتباً من أعظم الكتاب، كيف تصدى لتدريس هذا الكتاب؟ مع أن الكتب لو صلحت لأن تكون موضوع درس يلقيه أستاذ على تلامذته، للزم استثناء هذا الكتاب منها! وإنى شغوف بمعرفة ما استفاده الذين حضروا هذا الدرس من تلقيه! ولعلى أفوز بالاجتماع مع بعضهم، فأفهم ما أردت!

وقرأت مع سعيد بيك بعض الشيء منه، فاتفقنا فى الحكم عليه، ولكنه اعتذر عن الأستاذ الإمام بأن فن الكتابة لم يكن متقدماً فى زمن تدريس هذا الكتاب تقدمه فى هذا الزمان.

[ص ١٨٠١]

١٢ يوليو سنة ٩١٨

هذا آخر أيام العيد الصغير، وآخر رى القطن كان فجره. وقد زارنى فيه بعض أهل البحيرة. ويعود سعيد اليوم.

وحضر محمود باشا صدقى أول أيام العيد، وتعشى معنا من غير أن ندعوه للعشاء! هذه أول مرة أظهر فيها عدم التكليف، فدعوته للغداء فى اليوم التالى، فأجاب، بعد قليل من التردد. وكان أهدانا جانباً من الفسيخ، وشفعه بجانب من التين والخوخ.

وجرى ذكـر الغلال أمـامه، فقلت: إن الفـدان أنتج منه تسعة أرادب وسبعة كيـلات. فقال: العبرة بالآخر(٨٤) قلت: لاآخـــر ولا أول، لأن هذا حـســـاب الأرض التى كـــانت سباخا(٨٥) مثل أرض سعادتك. قال: إن عندى تضاف المساقى والسكك على الزمام المزروع. قلت: كذلك الحال هنا، وكان الحساب فى ذلك غاية فى الدقة. قال: يمكن!

ولما جرى ذكر الفواكـه، وسئل عن التين الذى أرسله إن كان من حديقته؟ فقال: لا! ولكنى اشتريته من بنها، وأكلت منه، واستحسنت أن أرسل الباقى إليكم. وكرر ذلك مرتين!

ولما قُدّم إليه طبق فـيه ديك قال: إننا شبـعانين من أكل الديوك! قلت كنا نظنكم كذلك من أكل الخرفان!

وصادف أن ورد تلغراف بالتهنئة من ونجت، فسلمته إلى أحد الحاضـرين العارفين باللغة الإنجليزية ليـقرأه، فلما علم بمضمونه، نقل الحديث إلى سياق آخر!

خفّت مطالعتى للحساب، وشعرت بشئ من الملال.

أخذ مـا كنت أشعر به من الخـدَر وعسر حركـة اليد فى الزوال، بعد تعاطى الأدوية الموصوفة.

---

(٨٤) فى الأصل: «بالأوخر».

(٨٥) قراءة اجتهادية.

أفكارى الآن أهدأ من قبل، وبالى أخلى، وأطالع فى بعض الكتب الأدبية العربية ترويحاً للخاطر، ولكنى أنسى ما قرأت! فما أحوجنى - كما قال بعضهم - إلى من يستمع منى ما أقرأه ليحفظه. ولكن القراءة - مع ذلك - أروح للفكر، وأفيد من مجالسة الحمقى، ومن خلت قلوبهم من المودة، ورؤوسهم من العقل. وهم - فى الأغلب - كثير!

[ص ١٨٠٢]

فى ١٧ يناير

سافرت يوم الأحد ١٤ منه إلى دمنهور، ورأيت الحالة على العموم راضية، وأن الدودة خفت [illegible]. ونرى الملاحظ إبطال النقاوة بعد يوم أو يومين. ودراس القمح انتهى إلا قليلاً يحتاج ليوم. وزراعة القطن فى تحسن[86] والفتح جيد للغاية، وأطفى[87] بعض الشراقى، وتأخر البعض.

وقابلنى حنا السمسار، وعرض علىّ أن أبيع بسعر مائتين جنيه إنجليزى الفدان، فرفضت قطعياً.

ثم ذهبت إلى مصر، وبت بها ليلة، وعدت مساء ١٥ منه.

---

(٨٦) قراءة اجتهادية.

(٨٧) قراءة اجتهادية.

٢٧٤٥
انتهى دراس الجرن الثانى ودراوته، واستلم التاجر، وبلغ ما فيه من غلال نحو المائة وثمانين أردباً. وكان فيه محصول ثلاثة وعشرين فداناً.

وردَّت إلى البنك الأهلى أمانة من ثمن القمح مبلغ ٣٨٥جنيهاً، وسأسافر غداً بثمن الجرن الثانى، وأودعه مع الأول.

فى ١٨ منه

سأسافر اليوم إلى مصر لأجل حكيم الأسنان، الذى وعدته بذلك منذ كنت بمصر أخيراً.

وقد استلم التاجر من الغلال الجرن الثانى، وبلغ مقداره ١٨٣ أردباً، أضيف عليه ما كان باقياً بالمخزن، وقدره ١٠أرادب وبعض كيلات. ودفع ثمن الكل مع الحلبة والشعير الذى اشتراه. وأحمل معى إلى البنك من هذه الأثمان مبلغ ٦٠٠جنيه ستمائة، ويبقى ٢٨جنيهاً تقريباً للصرف منه حتى ينتهى الجرن الثالث، وهو الأخير. والبركة من الله الذى نحمده على كل حال.

لم يزل الخَدر فى يدى اليسرى خصوصاً باقياً، وإن كان خف نوعاً. ولا زلت مستمراً على تعاطى الأدوية المدرة للبول والمقوية للمثانة.

٢٧٤٦

فى ٢١ منه

عدت أمس مساء من مصر بعد أن انتهيت من حكيم الأسنان. وما عالجه[٨٨] مكننى من الأكل، ولكنى أجد عندى ألماً ومضايقة. والحكيم يقول إن ذلك يزول كلما تقادم العهد، وكثر الاستعمال.

ورأيت المزروعات جيدة، غيرأن زراعة الأذرة تحتاج إلى الترقيع. وأخبرنى ناظر الزراعة بأنه وجد فى المائة اثنين من زراعة الغنمى[٨٩] مصاباً بالدودة، وفى الباقى واحد من القطن السيكلاريدس. ورأيت اليوم لوزة متفتحة، ولكنها ـ فيما يظهر ـ من اللوز الضعيف الذى نضب معين تغذيته، ووقف ماء التغذية لعارض ما فى العود دون أن يصل إلى اللوزة.

[ص ١٨٠٣]

وقابلنى أمس يوسف بيك نحاس فى القطار، وأخبرنى بأن الزراعة عنده جيدة.

أشعر كأن لا صديق لى فى هذه الحياة، ولا أجد فى نفسى ميلاً لمن أرانى ملزما برعايتهم، وتحمل أثقالهم. وتأتى الرياح ـ فى أغلب الأمور ـ على خلاف ما أشتهى!

---

(٨٨) قراءة اجتهادية.

(٨٩) هكذا تقرأ.

فهل هذا عارض يزول؟ أو نحس ينقضى؟ أو أنه من الأمور التى تسبق الموت لتسهل على النفس أمره، وتجعلها ترحل عن هذه الدار غير باكية على أحد فيها؟

اشتد الحر فى هذا اليوم، وبلغ فى الساعة ثمانية ونصف ـ وهى التى أكتب فيها هذه السطور ـ ٢٩ْ.

أن تترك نفسك تتألم من أحوال أعدائك، فقد حملت على نفسك الشقاء ـ وأشمتّ بك الأعداء! وخير وسيلة تجلب الراحة بها لنفسك أن لا تشتغل بهم، بعد أن تأخذ الحيطة منهم، وأن تفرض أن لا علاقة بينك وبينهم.

النزيه من ينزه نفسه عن النقائص، لا من يدعى أنه منزه عنها!

ويل لقوم تولى الأجنبى أمورهم! إن الفضيلة تضيع فيهم، وتمرض قلوبهم، ولا ينبغ منهم أحد، وإذا قضت الصدفة بوجود فاضل فيم فلا يكون نصيبه غير الشقاء، لأنهم لا يفهمونه، ولا يفهمهم، ويسيئون إليه وهو ينفعهم وليس آذى للحُر من أن يخذله قومه، ولا آلم لنفسه من تخلى أهله عنه.★

★ بعد هذه الفقرة توجد ثلاثة أسطر كتبها سعد زغلول باللغة الألمانية للتدريب.

(٢١ يولية ١٩١٨)

وضعت اليوم كاسات خمس على موضع(...)[٩٠] ولكنها لم تلبث إلا قليلاً خشية أن يفضى اجتماع الدم إلى ما لاتحمد عقباه. وقد كان الحكيم أشار بذلك من بضعة أيام، تقوية للمثانة التى ضعفت عن دفع البول حتى صار متقطعاً ويتخلف بعضه فيها، ونشأ عن ذلك الأعراض التى أشكو فى اليدين منها، ولا تزال هذه الأعراض باقية فى اليد اليمنى، وإن كانت أخف من قبل.

إذا عجزت عن شيء فلا تفتكر فيه وجاوزه إلى ماتستطيع!

[ص ١٨٠٤]

فى ٢٣ يوليو

وردت بالأمس مياه الراحة، فأطلقوها على القطن، ورووا منها إلى صباح اليوم ٣٠فدن.

عاد أمس من دمنهور أحمد صالح، وأكد أن الأحوال

(٩٠) كلمة غير مقروءة، وقد تقرأ «التليف»

٢٧٤٩

هناك على ما يرام.

يظهر أن الدائرة أخذت تدور على الألمان فى الميدان الغربى، فقد انهزموا على المارن[٩١] شر هزيمة، وأسر الفرنساويون منهم زهاء ١٩ ألف نفس. والقوة بيد الله وما النصر إلا من عنده.

أطيل القراءة فى كتب الأدب العربية، وفيها كثير من المعانى الجيدة، ولاتخلو من القبيح، ولكن لايستقر فى الخاطر من جميلها إلا القليل الذى أردده كثيراً، وأكرره آنا بعد آن.

أريد أن أنسى من استَخَفُّوا بشأنى ولفظونى بعد أن امتصونى، وأن لايخطر لهم خيال ببال. ولكنهم لايزالون يمر بى خيالهم، ويؤلمنى تذكارهم. ولا زلت أخفف على نفسى التألم من ذكرهم بيقينى فى لؤمهم[٩٢]، وبيأسى من صلاح نفوسهم، وتعويلى على تنكر أمرهم، وتجاهل حالهم، ولايفيد الحقد عليهم إلا زيادة الألم منهم، ولايؤثر الفكر فيهم إلا الغيظ منهم.

(٩١) نهر المارن Marne فى فرنسا.

(٩٢) قراءة ترجيحية.

٢٧٥٠

أُفتش اليـوم على إنسان أمنحـه صداقـتى، واستـخلصه لمودتى، فـلا أرى أهلاً لذلك! فـتنكمـد نفـسى، وينقـبض صدرى. وفى ظنى أن الصديق لا يفتش عليه، ولكن ترد[٩٣] به الصدفة ويحفظه الزمان.

ولقـد ذهب من العـمر أكـثـر مما يأتى، فـلا مَطمع فى العثور عليه، ولامـتسع فى الزمان لحفظه[٩٤]. وخير مـايفعل الإنسان فى هذه الحال أن يمـتنع عن التفكير، وأن يتنازل عن التـدبير، ويسلم أمـره للمـقادير، فـذاك أريح لقلبـه، وأهنأ لعيشه.

والوسيلة إلى ذلك أن يفـهم جيداً أن هذا العـالم يخضع لقـوانين ليس لنا دخل فى وضعـها، ولانقـوى[٩٥] عـلـى تعديلهـا، وليس فى استطاعـة مخلوق منا أن يقاوم فـعلها. وأحسن مايفعل، أن يرضخ لسلطانها، ويرضى بحكمها.

فى ٢٥ منه

انتهى من صباح أمس رى القطن، وقد رووه رياً مشبعاً،

---

(٩٣) قراءة اجتهادية.

(٩٤) لم يدر سعد زغلول أنه بعد مرور أقل من تسعـة أشهر من هذا الكلام سيجد الشعب المصـرى بأسره صديقاً يفـديه بأغلى ما يملك وهى الروح! فيـثور من أجله، ويعرض صدره لرصاص الإنجليز فداء حريته.

(٩٥) فى الأصل: «نقو».

ثم أطلقوا المياه على موضع البرسيم لتطيينه[٩٦] وتعده لزراعة القمح. وزراعة القطن تبشر بالخير[٩٧] عند أغلب المزارعين.

حضر أمس محمود باشا صدقى، وأرسل أمامه جانباً من العنب وشيئاً من الورد والبطارخ، وتعشى معنا.

وقد دار الحديث على مواضع شتى، فأفهمته أنى عدلت عن بيع أرض دمنهور، وقد كان أشاربه. وعلى النقود الذهبية، فأفهمته أن عندى الكثير منها. وعلى نفقات البيوت، فأقنعته أنى أتحمل الكثير منها. وزعم أنه يصرف فى الشهر من ٢٠٠ إلى ٢٥٠ جنيهاً. وأوهم أنى أقيم هنا رغبة فى الاقتصاد! فدفعت هذا بلطف. ورغبت الست إليه أن يحمل معه شيئاً من الخوخ إلى حرمه وأختها. فقبل ذلك على الفور.

[ص ١٨٠٥]

فى ٢٩ منه

أرسل طاهر بيك بطيخاً ١٨ واحدة، ومعه خطاب إلى الست! فاستنكرت أن يكاتب الست، ورددت أنا عليه لأشعره بخطئه[٩٨]. والبطيخ مما لايهدى نوعه.

---

(٩٦) قراءة اجتهادية.

(٩٧) وقد تقرأ: تبشر بالنمو.

(٩٨) فى الأصل: بخطاه.

٢٧٥٢

ورد علىّ أمس خطاب من رشدى باشا بالفرنساوية، يترجم مايأتى: هل يمكنك أن تأتى إلى إسكندرية لمحادثتك فى رئاسة الهلال الأحمر؟ وكلمة لم أعرف لفظها (ويمكن أن تقرأ: (. . .)[99] .أريد أن أعرف إن كنت تقبلها؟ ولك مودتى.

فأخذنى شىء من الغرابة، لأنى أشعر بشىء من التوريط[100]، ولأن عرض تلك المأمورية على هذه الكيفية يشعر بشىء من التلكك!

ومع ذلك فقد أجبت عليه بالعربية بأنى: «سأتشرف بمقابلة دولتكم يوم ٣١ الجارى، فأحييكم على مسئلة رئاسة الهلال الأحمر التى تفضلتم بعرضها علىّ، وأشكركم خالص الشكر على أنى خطرت ببالكم». وأرسلته موصى عليه كما كان خطابه.

وفى الوقت ذاته استلمت تذكرة من كبير الأمناء، موصى عليها أيضاً، يدعونى فيها لحضور ليلة ساهرة فى سراى رأس التين يوم ٣٠ منه. فعقدت النية على إجابة هذه الدعوة. ولهذا قلت لرشدى باشا إنى سأقابله فى اليوم المذكور.

(٩٩) كلمة غير مقروءة.

(١٠٠) فى الأصل: «التوريت» ـ والقراءة اجتهادية.

وقد أرسلت إلى الكازينو تلغرافاً أرجوه أن يحجز لى أودة لليوم المذكور. وقد وصلنى منه اليوم الرد بأنه لم يجد عنده محل.

وكنت كتبت إلى محمد باشا محمود خطاباً أرجوه فيه أن يمر بهذا «الأوتيل» ليتحقق من كونه حجز محل الغرفة[١٠١]. وبعد أن وصل ذلك الرد كتبت إليه تلغرافاً بأن يبحث فى أى أوتيل معتبر، ويفيدنى تلغرافياً. ولما يصل الرد إلى الساعة العاشرة مساء اليوم.

ولم تأخذنى هزة من الفرح عند قراءة ماعرضه رشدى باشا ولابعد ذلك، وما اهتممت بإثبات وروده إلى ماقبل الآن بيسير، ولا افتكرت فيه إلا قليلاً جداً.

فهل هذا الفتور الذى أجده من نفسى ناشئ من استخفافى بتلك المأمورية؟ أو من عدم ثقتى برشدى؟ أو من زهادة فى العالم الرسمى ومافيه من التكلف الذى[١٠٢] تعودت على التخلص منه؟ أو من إيلافى العزلة، ونفورى من الاجتماع؟ أو من غير ذلك؟

وغاية ما افتكرت أن أسأل عن مورد هذه الجمعية،

(١٠١) العبارة مطموسة بالحبر، والقراءة اجتهادية.

(١٠٢) فى الأصل: التى.

وثروتها، وطبيعة عـملها، والذين لهم شأن فى إدارتها. فإذا وجدت حالتها رابحة، ومواردها ثابت، والذين لهم دخل فى إدارتها ممن يعوَّل عليهم، فلا بأس من قبولها.

ويدخل فـيمـا يلزم البـحث فيـه: من افـتكر فىّ؟ وهل عرضت على أحد غيرى؟

[ص ١٨٠٦]

ولايبعـد أن يكون السلطان افتكر فيـها! كما لايبـعد أن يكون عرضـها علىّ إبعاداً لها عن حـشمت[١٠٣] كـمـا يريد الإنكليـز، أو عن صـدقى كـما يريد الـسلطان! وربما يكون برونيـيت صاحب الفكرة! لأنى لاأظن أن رشـدى يعرضـها وهو الذى أعـرض عنى غـاية الإعراض عـقب خـيـبتـه فى ترشيحى لـلوزارة! وأسلوب خطاب رشدى يؤذن بأنه مكلف بالعرض، لامقتـرح له، ومتوخى لأن يكون الجواب بالرفض لا بالقبول، إذ لاشىء فيه يستميل إلى موضوعه.

وربما أكـون مـخطئـاً فى كل هذه الأوهـام، ويكون

(١٠٣) أحمد حشـمت باشا، كان وكيلاً لحزب الإصلاح عـلى المبادئ الدستورية، وتقلب فى وظائف النيابة، وعين مديراً لجرجـا، ثم أسيوط، ثم الدقهلية، ثم ناظراً للمالية فى ١٢/١١/١٩٠٨، وللمعارف فى فـبراير ١٩١٠ عقب اغتيال بطرس غـالى. أنظر أيضـاً الجـزء السـادس من المذكـرات ص ١٧٥، ٢٩٧، ٣١٣، ٣٢٥.

منشـؤها[١٠٤] البعد عن ماجـريات الأحوال، وطول مناجاة الوهم والخيـال! وأرجو أن تظهر الحـقيقة، وأوفق للتـصرف بالحكمة.

عرض للوهم أن فى قـبول هذه المأمورية كبـتاً للأعداء، وكيداً للحاقدين، وإيلاماً لنفوسهم. ولكن رُد هذا الوهـم بأنه لاينبغى للإنسان أن يفعل الشيء لا لغرض سوى إيذاء أعدائه ومنافسـيه، لأن مقـصد الإيذاء رذيلة يجب أن تتـرفع نفوس الكرام عنها. ولـو كان موضـوع الإيذاء عدواً لها. والتـمتع بإيلام الغـيـر شهـوة باطلة لاينبـغى للعـاقل أن يبـحث عن إرضائها، بل يجب عليه أن يجتهد فى إطفائها وإضعافها.

ولا أظن أنى أفلح فى عمل يكون للهيـئة الحاضرة دخل فيه، لأن حـسن الظن ليس سائداً بيننا، والوجهة مـختلفة، ولايتـرتب على اشتـراك المختلـفين فى عـمل إلا خلل ذلك العمل وضياع الأضعف منهما.

وربما يرى قومى فى هذا العـمل موالاة[١٠٥] لأعـدائهم، ومسـاعدة لأحكامـهم، فأخـسر عطفـهم، وأضيع مـيلهم، وأختم حياتى فيهم بخاتمة الشقاء ـ أعوذ بالله منها.

---

(١٠٤) فى الأصل: منشاوها.

(١٠٥) فى الأصل: مولاة.

قرأت فى المقطـم، من بضعة أيام، أن حكمـدار بوليس القاهرة أرسل منشوراً لرؤساء جميع النوادى يحرم عليها لعب الورق بجـميع أنواعـه. فارتاحت حـرمى لهـذا المنع غـاية الإرتياح، ورأيت فيـه إفساداً لما تعمدت من الاشـتهار به عند الناس بالعدول عـن رذيلة اللعب، زهداً فيهـا وترفعـاً عنها، وتعصباً للفضيلة.

ولكنى قـرأت اليـوم أن هذا المنـع خـاص بالنوادى التى تأسـست على اللعـب وللعب، لا التى تأسـست لأغـراض أخرى. فارتحت. ولكن لم يسر ذلك حرمى. ولكنى لاأبرئ نفـسى فى هذا الإرتيـاح من المـيل إلى اللعب، وأخـشى أن يكون سرورى به لما فـيه من تسهـيل أمر اللعب علىَّ. والله عليم.

[ص ١٨٠٧]

فى ٢٧ منه

نمت أمس نوماً عميقاً، وأصبحت منشرحاً، ولله شاكراً. ووضعت الكاسات[١٠٦] للمرة الثانية.

وأصـبح الجو طرياً، وقـد انتـشرت الميـاة حـولنا لتطفئ شراقى البرسيم و(. . .)[١٠٧].

(١٠٦) المقصود : الكاسات لامتصاص الرطوبة من موضع الألم فى الجسم.
(١٠٧) كلمة غير مقروءة.

إذا لاقيتَ رشدى أو عدلى، فتحفظ جداً فى خطابك، وتلطف فى سؤالك، ولا تجعل لهما، أو لغيرهما، وجها فى النفور منك، بل اجتهد أن يكون الأغلب راضياً عنك.

ولا تحاول أن تسير الناس على فكرك، وتجريهم على خطتك، لأنك لا يمكنك أن تتأكد من كون خطتك هى المثلى، ولو أمكنك هذا التأكد فلا يمكنك أن تقنع الغير به.

ولأن الناس مختلفون فى الآراء والأفكار، فلا يمكنك أن تجمعهم على رأى واحد. وقد أخفق فى ذلك من قبلك من هم أكبر منك همة، وأعلى كلمة، وأوسع سلطاناً.

فلا تستقل بالعبء، وما أنت رسول من قبل الله حتى تبلغهم رسالة، وتعرض نفسك لإيذائهم، بل عليك أن تتركهم لحالتهم يتصرفون فى شئونهم كما يشاءون. وإذا قدرت على معروف تسديه، أو طيب توليه فلا تتأخر أن تأتيه، ولا تلتمس منه نفعاً غير سرورك بأنك فعلت الطيب. هذا إذا أردت أن تعيش مرتاح القلب قليل الهم!

ما أقل عقل من يزعمون أنهم مصلحون فى العالم! وما أسْفه رأيهم، وأوسع أطماعهم، وأجهلهم بطبائع البشر! إنهم لا يُصلحون إلا إذا صادفت مقالتهم صدى فى نفوس الناس، ووجدت لها مكاناً فى شعورهم، ورأى فى اتباعها

٢٧٥٨

من اتصلت به خيراً لنفسه وفائدة لشخصه، وإلا صدوا عنها، وانقلبوا على صاحبها، فأوسعوه تعنيفاً ولوماً، وربما ألحقوا به غير ذلك من الأذى. والتواريخ مملوءة بكثير من الشواهد على ذلك، والله عليم.

ما أحمق من يفرح بالمنصب يرقاه وليس فى يده شئ من عمله، ولا يزيد عليه إلا قرب المنافقين منه، والتفاف المتملقين من حوله، وقد كان فى عزلته بعيداً عن زيفهم وسماع أكاذيبهم.

ما أخدع الإنسان لنفسه وأضله لذاته! إنه يعرف الكذب ويرتاح لسماعه! ويرى التملق ويميل إلى أهله! وتعرض أحوال له تريه الخبيث والطيب، فلا يستفيد منها، ولا يزيده اختلافها عليه إلا عمىً عن نتائجها!

إن الإنسان ـ والله أعلم ـ مركب من أمور متناقضة، وعناصر متنافرة. وجهِل من أسند إليه طبيعة واحدة ومبدأ ثابتاً!

وأجهل من هذا من يبنى معاملته مع الغير على استحالة أن ينقض هذا الغير عهده، وأن يخلف عهده! ولكن الذى ينبغى أن يأخذ العاقل به نفسه أن يحتاط كل الاحتياط.

[ص ١٨٠٨]

٢٨ يوليو ١٩١٨

إلى الآن الساعة ٩ صباحاً، لم يُرد على خطابى من محمد محمود، وأجدنى فى حيرة من أمرى: أأذهب إلى إسكندرية قبل أن أتأكد من وجود محل يأوينى، ثم أبحث عنه؟ أو أعتذر للسراى ولرشدى؟

إنى منتظر إلى غد، وإذا اعتذرت للسراى يكون ردّى هكذا:

«منعتنى أسباب صحية من التشرف بحضور الليلة العامة، فأرجو رفع عذرى للأعتاب السنية، وعرض إثبات إخلاصى وشكرى. أدام الله لعظمته الهناء والصفاء، ومتع رعيته على الدوام بحسن التفاته وجميل تعطفاته»[١٠٨].

وإلى رشدى هكذا:

«بعد أن عزمت على التوجه إلى إسكندرية يوم ٣٠ الجارى، اعتلت صحتى، فالتزمت بتأجيل السفر حتى تمام الشفاء الذى أرجو أن يكون قريباً»[١٠٩].

---

(١٠٨) واضح أن ما سبق هو صورة برقية اعتذار كتبها سعد زغلول للسراى.

(١٠٩) وهذه أيضاً صورة برقية اعتذار لحسين رشدى باشا.

٢٧٦٠

فى ٢٩ منه

وردنى خطاب أمس من محمد باشا محمود بأنه لم يجد محلا إلا فى منزله، وأنه يكون سعيدا إذا نزلت عنده. فترددت بين القبول والإعتذار، وأرسلت تلغرافا إلى «سفواى أوتيل»، فأجابنى بعدم وجود محل. فانتهيت أخيرا بأن أجيب محمد محمود بالقبول مع السرور، ورأيت أن الإعتذار ـ بعد عرض تلك الكرامة علينا ـ لا تليق بنا.

لمَّا يختمر لى رأى فى مسئلة رئاسة الهلال الأحمر، ولكن يغلب على الميل إلى الرفض، لأنها سوف تشغلنى، وتقلق راحتى، ولافائدة منها فى العاجل، والآجل مجهول، وليس فى العمر متسع، ولا فى الصدر رحابة، ولا فى الصحة قوة لمعالجة الأحوال، ومسايرة الأمور، والجرى على مقتضى الظروف خصوصاً.

وماذا أبتغيه من مركز لا ينجح فيه إلا من عَرُض جاهه، واتسع نفوذه، وعلت كلمته، وقوى سلطانه؟ وليس فى يدى شىء من ذلك!

[ص ١٨٠٩]

فى ٣١ يوليو

سافرت أمس إلى الإسكندرية، فوصلت محطة سيدى جابر بعد الظهر، وأخذت الترام إلى منزل محمد باشا محمود[١١٠] أما المتاع فذهب به محمد (. . .)[١١١] إلى هذا المنزل فى عربة.

ولما لم أجد أحداً فى انتظارى[١١٢] ظننت أن تلغرافى لم يصل إلى محمد، وتوهمت كذلك - فيما توهمت - أنه ربما فاجأه عارض! ومازلت فى أوهام حتى وصلت المنزل، فوجدته يداعب نجله! فاستقبلنى استقبالاً حسناً كعادته، وقلت: أرجو أن لا أكون قد ضايقتك! قال: لا، ولكنك سررتنى.

ورأيته قد أعد غرفة فى الدور الثانى(. . .)[١١٣]، ولكن أمتعتها عادية، وسرير النوم ليس مستوفياً لشروط الراحة، ولا غطاء للتدفئة! وقد فهمت منه أن زوجته مريضة، فاستأت لذلك.

---

(١١٠) يلاحظ أن سعد زغلول، وهو وزير سابق، ووكيل الجمعية التشريعية المنتخب، لم يستقل تاكسياً، وإنما ركب الترام!

(١١١) كلمة غير مقروءة لنضوب الحبر من القلم.

(١١٢) يقصد سعد زغلول انتظاره بمحطة سيدى جابر.

(١١٣) عبارة غير مقروءة.

وقد حضر للغداء معنا يوسف بيك نحاس، وعبدالعزيز بيك فهمى. وأخذ هذا الأخير يقص علينا مقابلته للمستشار برونييت ويقرأ لنا جوابه(. . .)[١١٤]صفة كونه رئيساً لنقابة المحامين. وهو جواب شديد فرغ فى قالب أدبى[١١٥]،ومملوء من الشهامة والحكمة. فامتدحته عليه كثيراً.

ثم بعد أن انتهى من ذلك، أخذ يشرح قضية الدمرداش التى تتهمه النيابة العمومية فيها بأنه زور فى مسئلة استبدال أراض موقوفة. واستغرق شرحها نحو الساعة! وأشار ـ فى أثناء ذلك ـ إلى ما قيل من أنى أبديت رأياً بإجرامه! فصرحت بعدم صحة ذلك. وقلت إنه فى أثناء إنعقاد الجمعية التشريعية، لما أحس عبدالحميد السيد بالخلاف، أراد أن يستعين به على الشيخ عبدالرحيم[١١٦]،وعرض علىّ القضية فقلت له ـ بعد بحثها ـ إنها غير مكسوبة.

ثم انصرف نحاس بيك وعبدالعزيز بيك، فذكرت إلى محمد محمود ما عرضه رشدى علىّ من رئاسة الهلال الأحمر، فلم يستحسن القبول وأبدى رأيه بالرفض.

ثم زرت عدلى باشا، فأخبرنى بأن عظمته أراد أن يجدد الهلال الأحمر على أسلوب لا يكون للسلطة العسكرية دخل

---

(١١٤) عبارة غير مقروءة بسبب نضوب الحبر.
(١١٥) عبارة عير مقروءة بسبب نضوب الحبر
(١١٦) الشيخ عبدالرحيم الدمرداش.

فيـه، وعرض على[١١٧] أولا رئاسته، فوجـدتها لا تتفق مع وظيفتى.

قال: [١١٨] لو كنت حراً مثلك لم أجد مانعاً من القبول. قلت: ولكن ما هو مـوضوعها؟ وما إيرادهـا؟ فقال: إنه لم يعد لها شيء، وعندها عـشرون ألف جنيه، ويريد أن يعطى لها من المبلغ الذى جمعه على أنه نذور، وكتشنر نفسه قال: ويراد تعميم موضوعاتها.

قلت: إذن يلزم تغـيير اسـمهـا، وإلا فهى بحكم صـفة موضوعها تحت السلطة العسكرية. وإذا كان الأمر كذلك فلا يمكن لمثلى أن ينجح فيها، لأنه لا يوجد ميل بينى وبين[١١٩] رجـال هذه السلطة ورجـال الإنكليـز على وجـه العمـوم، فأعمالى سـتكون على الدوام موضوعاً للتأويلات الخـسيسة، وهذا يضـمن فساد العمل. وبناء على ذلك لا أريد أن أقبل.

وتكلم خـادمه بالتليـفون مع رشـدى باشا أن أقـابله فى منزله، فأجـاب بنفسه إنـه الآن مشغـول، ويمكننى أن أقابل دولته فى سراى رأس التين مساء اليوم.

---

(١١٧) أى على عدلى باشا.

(١١٨) أى: عدلى. وهى غير موجودة فى الأصل، وقد اقتضاها السياق.

(١١٩) عبارة: بينى وبين» مكررة فى الأصل.

[ص ١٨١٠]

ولما تقابلنا فى رأس التين، وقد كنت تضايقت نوعاً من كونه لم يقابلنى فى منزله، فوجدته قابلنى بالهشاشة، وقال: ماذا افتكرت؟ قلت: إن الأحسن معافاتى من هذه المأمورية، لعدم تبادل الثقة. قال: إنك تقبل لأجل أن يكون هذا وسيلة للتقرب! قلت. وما الغاية من التقرب؟ وأضفت بأن هذا العمل لا موضوع له ولا إيراد. فقال: إن الإيراد مضمون، وأما العمل فأنت توجده. والذى يلزم أن تعمله هو إيجاد الأعضاء الذين يتألف منهم مجلس الإدارة. والأحسن أن تقبل!

ثم انقطع الكلام لوفود الزائرين واشتغاله بمقابلتهم.

وبعد الإنتهاء من البوفيه قابلنى السلطان، وأمرنى باتباعه، ففعلت. ثم قال: ماذا رأيت؟ قلت: والله إذا كان مولانا يعفينى أدعو له بخير. قال: ما دمت لا تريدها من صميم الفؤاد فلا لزوم. قلت: أخشى أن لا أحقق فيها مقاصد مولانا. قال: ومتى وُجدت فى عمل لم ينجح؟ قلت: أستغفر الله، وإنى أخاف أن يقال خلافه بعد ذلك: إنك عينت رجلاً لم يحقق مقاصدك! هذا ما يحملنى على التردد. قال: مادام الأمر كذلك فلا لزوم! وسلم، وانصرف متغيراً.

ثم عدت على عدلى، وحكيت له ما حصل، وتبادلنا الحديث، فقال: هذا حقك. ورجوته أن يفهم عظمته مرادى، فأجاب ووعد.

وفهمت منه أن كيتنج[١٢٠] كان يتداخل فى أمور الهلال الأحمر، ويأمر وينهى . قلت: الحمد لله على ما وفقت إليه من الرفض.

وفهمت منه أن عظمته كان وعد بعضهم بأن يلح فى إبقاء السباق وعدم إلغائه، واتفق مع ونجت بواسطة رشدى على ذلك، ولكن ألنبى قائد الجيوش لم يقبل. ووقع السلطان فى الخزى أمام من وعدهم بتداخله، وتحدثوا بوعده فى الملأ!

قلت: والله إنى لممنون من حالى الأخذ به، التى أشاهد منها الحوادث وأنا بعيد[١٢١] عنها، فأحكم عليها حكماً خالياً من الشوائب. وقد زهدت فى المظاهر الرسمية، وإنى أرثى لحال بعض من هم فى مراكز رسمية من ذوى الذمم الراقية والضمائر الحية. وكان هذا آخر الحديث.

---

(١٢٠) الدكتور كيتينج كان ناظر مدرسة الطب.

(١٢١) قراءة اجتهادية من السياق.

٢٧٦٦

وقلقت ليلى أشـد القلق، لأن الفـرش لم يكن وطيئـاً، ولأن صوت البحر كان مزعجاً، ولأن الهواء كان رطباً.

ونحن على مائدة الإفطار وإذا بعبد العزيز بيك فهمى قد أقبل يجلس معنا، وقـال: إنه بات فى أشد القلق، لأنه جاء فيـما سمعـه عن اختصاص المجلس الأعلى، عـبارة ربما لم تكن مطابقة تمام المطابقة للحقيقة، وهى قوله إن وزير الحقانية يصدر قراراته فى الأمور التى يكون للتـشريع دخل فيها، بناء على مـا يراه المجلس الأعلى. ووجـه الشـبـهـة أن هذا الاختصاص لم يكن منصوصاً عنه، ولكن أورده المستشار[١٢٢] فى أثناء مناقشـته على أنه استقاه من روح الـتشريع. قلت: لامـحل للتـبـين، لأنك لم تكن بصـدد بيـان مـآخـذ تلك الإخـتـصـاصـات حـتى بعـد إغـفـالك لمآخـذ هذا الإختصاص(. . .)[١٢٣] ثم إن المستشار لا يمكنه أن ينازع فيه، لأنه هو الذى [ص ١٨١١] أبداه استنتاجاً من المبادئ التى تأسس التـشـريع عليهـا، وهو أعلم بهـا، لأنه واضـعهـا، ولايمكنه أن يلومك علـى أنك أخذت بقـوله فـيمـا حكيت عنه. ومع ذلك فإنك لم تعلق علـى هذا الإختصاص نتـيجة ملزمة. قال: إذن أستريح؟ ثم كرر ذلك مرات.

---

(١٢٢) يقصد: المستشار المالى بالنيابة برونييت.

(١٢٣) كلمة غير مقروءة.

وصحبنى إلى محطة سيدى جابر وفهمت منه أنه لم يصله تلغرافى بالتعزية على وفاة حميه(١٢٤).

وقد نزل معى هلباوى بك من دمنهور، وفهمت على قصد منه(١٢٥) أنه غير راضٍ قلباً عن قرار النقابة، لأنه يرى أن الأفضل كان السكوت إكتفاء بالجواب الأول. فلم أوافق. ولم يتسع فى البيان.

ثم فاتحنى فى مسئلة فتح الله، واستغرب من خطته نحوى، وروى لى أن محمد يوسف يقول ما يؤيد هذه الخطة. فأيد لى ذلك ما ردده لى محمد يوسف عنه من قبل. وقد كنت شككت فيه لِما بين هذا ومحمد يوسف من عدم الصفا.

ثم وصلت العزبة ظهراً(١٢٦) وريثما تغديت نمت، ولكن قليلاً.

فى أول أوغسطس

ذهبت الست اليوم صباحاً إلى مصر، وشرع التاجر فى استلام باقى القمح، وجلست أكتب هذه السطور.

---

(١٢٧) يقصد رئاسة الهلال الأحمر.

(١٢٥) قراءة تقريبية.

(١٢٦) قراءة تقريبية.

٢٧٦٨

وأرانى مســروراً من كونى لم أقبـل تلك المأمورية[١٢٧] ولكن الأحسن أن لا يستمر عظمتـه فى عدم استحسانه، وأن استرضاه بمقـابله خاصة. كما يلزم استرضاء مـحمود صدقى باستحقاقه عنده.

ويسهل علىّ أن أنسى الخلاف مع هذا[١٢٨]، ولكن ليس من الســهل أن أنسى مثلـه مع فتح الله بركـات، لأن للأول منشأ مفهوماً قـابلاً فى العادة لمثل التفاهم، ولكن الحال ليس كـذلك فى الثـــانى، فـإنه ناشئ عن لؤم فى الطـبع يحـمل صاحـبه على استثـقال[١٢٩] من أحسن إليـه بعد الإنتـفاع من إحسانه إليه وبعد الإستغناء عـن الاستزادة منه! ومهما عملت معه الآن فـلا يكون مثل ما عملته معـه فى السالف! وما دام لم يتأثر بالمجـاملة السالفة فـلا تستميله الآتيـة، ولذلك كان صرف النظر عن تلك العائلة أجدر بى الآن.

---

(١٢٧) يقصد رئاسة الهلال الأحمر.

(١٢٨) أى مع محمود صدقى، وهو عديل سعد زغلول.

(١٢٩) قراءة تقريبية.

فى ٢ منــه

نمت أمس نومـاً مـتـقطعـاً، ولكنه مع تقطعــه كـان فى الأغلب عميقاً. وتبـولت كثيراً، ذلك بأنى أكلت من العنب والعيش والموز كثيراً[١٣٠].

حـاولت أن أكتب خطاب شكر لمحـمد مـحمـود، فلم يرقنى ما كتـبت، ولا قدرت أن أكتب ما يرضـينى، فتركت الكتابة حتى يفتح الله علىّ بما أستحسن:

«يسرنى أن أشكرك على ما وفرت لى من أسباب الراحة والهناء».

كان اليـوم إتمام وزن القمـح وتسليمـه، وبلغ محـصوله ٥٥٠أردب و١١كيله من ثلاثة وستين فدناً[١٣١] يخص الفدان ٦قدح و٨ كيلة و٨ أردب. ويبلغ ثمن مجموعه ٦ مليمات. و١٥٧٥٥٢قرشاً صافياً بالتمام[١٣٢].

[ص ١٨١٢]

ولكن يُستـنزل من هذا ثمن ما أخذه المـزارعون عن كل

(١٣٠) هذا يعنى ارتفـاع السكر فـى دم سعـد زغلول بعـد إكـثـاره من أكل هذه السكريات.

(١٣١) فى الأصل: فدان

(١٣٢) قراءة تقريبية.

٢٧٧٠

فدان خمس كيلات، وما أخذه الذراويون أجرة لهم، وما تخزن على ذمة الأكل. ويبلغ مجموع ذلك خمسة وأربعين أردباً تقريباً.

والتاجر الذى اشترى قمح عزبة مسجد وصيف إشترى أيضاً قمح دمنهور، وسيستلمه بعد غد ـ أى يوم الاثنين ٥ منه.

فى ٣ أوغسطس

كتبت لمحمود باشا صدقى خطاباً أستعطفه فيه وأعتذر إليه عن عدم نزولى عنده فى إسكندرية يوم ٣٠ الفائت. ومما قلت له فيه:

«يسرنى أن ذلك التأثر ناتج عن قوة العشم فى هذه القلوب، وأنك تعمل على ما يفيد الألفة، وسقوط الكلفة، وأن هذا عشم أفرح به وأشرف، وأشكرك عليه، وأعدك بتحقيقه والجرى على مقتضاه».

ورد تلغراف من زراعة دمنهور بأن معاون الإدارة يريد إحضار ستمائة كيس ليملأها تبن ـ فنبهت على ناظر زراعة قسم ثانى بأن يتوجه إلى تلك الزراعة ويسلم كل التبن بعد حجز مائة حمل على ذمة أكل المواشى.

٢٧٧١

كلما طالت إقامتى هنا، زهدت فى المظاهر الرسمية وأربابها!

فى ٥ منه

انتهت دراوة رية البرسيم، وتحصل منها ١٤ أردب وكسور، ولكنه لم يكن نظيفاً تمام النظافة.

تكلمت مع حرمى أمس، وصرحت لها بما فهمت منه أن فى ذمتى لها بعض الشىء من نقودها. واتفقنا على أن تشترى عقاراً بمبلغ لغاية ٤ أربعة آلاف جنيه، ليكون لرتيبة وسعيد، وأن تخصص مبلغ ألف جنيه لزواج سعيد.

[ص ١٨١٣]

ورد علىّ اليوم محضر من ملاحظ الزراعة وبقية المستخدمين بدمنهور، بأن من يدعى على صالح، معاون الإدارة، حضر ومعه عمدة دسونس وبعض الخفراء وأكياس على عربة، وأراد أن يأخذ بالقوة تبناً، فتُوقفوا[١٣٣] حتى يحصل كتابة بذلك، فلم يقبل. فامتنعوا عن التسليم، فانصرف وترك العمدة والأكياس.

---

(١٣٣) هكذا فى الأصل، والمعنى: فأوقفوا

(١٣٤) هكذا تقرأ، ولم يسبق كلام عن هذا المنزل.

(١٣٥) يقصد: محمود باشا صدقى عديل سعد زغلول.

فاستغربت هذا الأمر، وكتبت للمدير خطاباً حكيت له فيه القصة، وقلت: إنى استغربت هذه المعاملة الجارحة، خصوصاً ولم يخابرنى أحد فى شأن التبن، ولو حصلت مخابرتى ما تأخرت، وإنما أرجو أن يفهم هذا العامل التافه أن تنفيذ أوامر السلطة العسكرية يتفق مع الذوق وحسن المعاملة وإقرار القانون.

لغاية تاريخه أخذ محمد جميع حسابه وبقى عنده ٥١قرشاً و٢٠مليماً، وفضلاً عن ذلك قد دفع إليه ٥ جنيهات لأجل دفعها إلى المبلط، و٣ جنيهات لأجل دفعها قسط عوائد منزل الجزيرة.(١٣٤)

فى ٧ أوغسطس

ورد على اليوم جواب محمود باشا(١٣٥) رداً على خطابى، ويتلخص فى أنه يكون كما أكون ! وفيه جفاف وسخافة بشىء تشمئز منه النفس منذ قرأته، ولا يدل عليه أفصح من تلاوته، والأفضل أن يهمل ولا يلتفت إليه. وقد كتبت إليه أعده بأن سأحضر لديه مع الحرم.

وإنى منتظر خبرا عن منزل أوصينا بشرائه لغاية أربعة آلاف جنيه. وإن محصول القمح بلغ تسعة أرادب إلا ربع فى قلب بعضه بما فيه، محل القطن الغير مسبخ محل الذرة. أما فى البحيرة فسبعة أرادب محل القطن بلا سباخ.

فى ٩ منه

حضر سعيد أمس مساء، ويحضر طاهر بيك اللوزى مع حرمه اليوم بعد الظهر عن طريق زفتى.

يكبر تفتيح لوز القطن من يوم ليوم، ولكنه لم يكن تفتيحا مفتوحاً، بل فى الأغلب مقفولا، وأغلب اللوز المفتح هو الذى جفت سوقه وضعفت تغذيته، وأغلب القطن عنده ضعف قصير، وعلى الله حسن العافية.

فى ١١ منه

حضرا[١٣٦] بعد الظهر من اليوم المذكور، ولا يزالان عندنا. انتهت محاسبة[١٣٧] الذرة، وتم تسليم قمح دمنهور أمس، وبلغ ما نقل منه عدد ٢٨٩ أردب. وقد حضر ناظر قسم ثانى بالنقود، وسأحملها غدا مع بقية ثمن غلال مسجد وصيف إلى البنك، ومقدار جميع ذلك ١٢٠٠جنيه. وأسافر إن شاء الله فى قطار الصباح.

[ص ١٨١٤]

حضر سباعى بيك اليوم وفهمت منه أنه يروى القطن

(١٣٦) يقصد سعيد زغلول وطاهر اللوزى.
(١٣٧) وتقرأ «محاباة» وليس لها معنى.

الآن بدمنهور[١٣٨]. ولكن رأيت قسم أول ممتنعا عن الرى، ورأيت الأوفق التوقف حتى نرى نتيجة ما روى.

ورد خطاب من محمود باشا[١٣٩] يهنئ فيه بمحصول القمح من صميم الفؤاد، ويبدى سروره من عزمنا على النزول عنده، ويخبر بأنه أوصى المحامى للبحث عن بيت.

يشغلنى فى كثير من الأوقات الفكر فى الحال، وأرتاح للشعور بأنى فى هذا العام خالى من الديون، ميسور الحال، ويسؤنى أنى تهاونت فى حفظ ايرادى فى السنوات الفائتة. ولعل الله يعيننى على عدم الوقوع فيما وقعت فيه فى الماضى[١٤٠].

الحكومة تثير الأشجان، وتحرك الأحزان. والعزلة تكثر الهموم!

فى ١٣ منه

سافرت أمس صباحاً إلى مصر، فلم أجد حكيم الأسنان حاضرا، بل وجدته مسافرا. وأودعت فى البنك ١٠ آلاف و٥٠ جنيها. وتكلمت بالتلفون مع مدير البحيرة بشأن

---

(١٣٨) قراءة اجتهادية.

(١٣٩) محمود باشا صدقى.

(١٤٠) يقصد لعب القمار.

٢٧٧٥
التبن، فأبدى غاية اللطف، وقال إنه ضامن له؛ ومع مدير الغربية بشأن نقل أنفار مسجد وصيف إلى (. . . .)[١٤١] ووعد بأنه سينظر فى المسألة. ولكن يرى من كلامه عدم العزم على العمل!

ورأيت محمد صدقى باشا وسعيد بيك، ثم عدت مع طاهر بيك فى المساء.

ورأيت رجلا فى القطار ذا لحية وخطها الشيب، وقامته معتدلة، ووجهه باش، وعيونه واسعة، حلو العبارة، لطيف الإشارة، فتجاذبنا أطراف الحديث فى موضوعات شتى، ومنها النساء، فقال[١٤٢]: صدّق القول بأن منعة النساء فى بعد الرجال عنهن[١٤٣] وقال إنه يعرف صديقاً كان له قريب سفيه، رباه فى حجره، ووجده . . إلخ[١٤٤].

فى ١٦ منه

ذهب أمس طاهر بيك اللوزى مع قرينته إلى دمياط عن طريق زفتى، بعد أن أقاما هنا سبعة أيام. وهو شاب مليح الوجه أسمره، واسع العينين، قصير القامة، أسود الشعر [ص١٨١٥] فى الثامنة والعشرين من عمره، فيه ذكاء وحسن التفات ودقة نظر ورزانة، ويتأنق فى ملبسه وهيئته ومأكله، وله خبرة بالجناين والأزهار، وألوان المآكل

(١٤١) كلمة غير واضحة لنفاد الحبر من القلم.

(١٤٢) فى الأصل: فقالا.

(١٤٣) فى الأصل: «عنها». والقصد من ذلك التحذير من الاختلاط.

(١٤٤) قطع سعد زغلول الكلام تاركاً السياق يؤدى إلى معنى خيانة الزوجة مع القريب.

٢٧٧٦

وتركيبها، وفيه شئ من حب الفخر والمباهاة، ويحب زوجته ويكرمها، وما رأينا شيئاً مدة إقامتهما مما يؤخذ على مثلهما. وهو لا يشرب الخمر، ولا يعرف الألعاب[١٤٥]، ولا يميل إلى الملاهى. وبالجملة فهو شاب لا بأس به، وزوجته من الشابات الطيبات، فيها شيء من الجمال، ولكن السمنة تهدد جمالها!

إذا تجرد الإنسان من الأصدقاء، وخلى قلبه من الحب، ولم يكن له ولد، ولا غاية فى الدنيا يسعى لبلوغها، ولاإعتقاد فى الآخرة، فإما أن يكون أسعد السعداء، وإما أن يكون أشقى الأشقياء. يكون سعيداً إذا تساوت عنده الأمور، وعرف كيف يستغلها، ويكون شقياً إذا تفاوتت لديه، ولم يعرف كيف يصرفها. على أن الموضوع دقيق، ويحتاج لكثير من التأمل.

فى ١٧ منـــه

وردنى خطاب مجهول الاسم، عليه طابع بوستة أدفينا، بقلم عارف بالكتابة، متعمد تحريف الكلم فى بعض مواضع، مضمونه أن عبدالله زغلول[١٤٦] جمع خلقاً كثيراً فى بيته، وخطب فيهم شقيقه بالطعن على زوجته وشقيقته وزوجة أخيه، وأن الخطبة ختمت بالدعاء بسب كبير العائلة!

(١٤٥) يقصد: لعب القمار.

(١٤٦) عبدالله زغلول ابن الشناوى أفندى شقيق سعد زغلول، ووالدته عائشة بركات أخت والدة سعد زغلول (الجزيرى ص ٢٤٨ ــ ٢٤٩).

والشائع أن هذا نتيجة محادثة جرت بين عبدالله وعمه صاحب المعالى، حصل الطعن فيها على أخيه وامرأته.

وهذا الخطاب ينم فحواه أنه بإيعاز فتح الله وقلم إبنه، وهو يقطر بذاءة. وقد هممت أن أستفهم عنه من عبدالله بكتاب، وشرعت على الفور فى كتابته، ولكنى عدلت بعد ذلك، لأنى رأيت الأوفق أن أتبرأ من هذه العائلة سراً وعلانية، وألا[١٤٧] أفرض لهم وجوداً، وإنما أتركهم لأقربائهم يفعل كلٌ ما يشاء.

لا أرهب الموت ولكن أخشى المرض.

يشتد تعلق الإنسان بالحياة بمقدار ما يواجهه من الأشياء أو الأشخاص، والذين [ص ١٨١٦] لا غرام لهم بشىء مخصوص فيها، يهون عليهم فراقها أكثر مما يهون على غيرهم[١٤٨].

قد يضعف الفضيلة فى الفاضل مباينتها للوسط الذى هو فيه[١٤٩]، ووقوف الأراذل دونه، وخيبته فى المشروعات التى يباشرها.

---

(١٤٧) فى الأصل: وأن لا

(١٤٨) فى الأصل: غيره.

(١٤٩) أى تباعدها ومنافاتها.

٢٧٧٨

فى ٢٠ منـــه

عدت أمس مساء من مصـر، بعد أن زرت زراعة دمنهور ووجدتها على الإجمال حسنة.

قابلت بمصـر محـمد يوسف،(١٥٠) وعاتبـته على تشيـعه لعائلة بركـات. فاعتذر بأنه لم يكن يدافع عنهـا، ولكنه كان يخبـر بما سمعـه من فتح الله بركـات. وعنفته أمـام صدقى باشـا(١٥١)! ولكنه - فيما يظهـر - تعود التلون والتقلب، فلا يصح التعويل عليه من الآن.

وقد لاقيت الشيـخ عبدالرحمن(١٥٢)، ووجـدت الخطاب المجهـول ضعيـفاً، إلا فيـما يختص بالتـهكم بكبيـر العائلة وتعـرضه للطعن فى النسـاء. وقد لمت الشـيخ المذكور لـوماً عنيفـاً حتى بكى واعتـرف بخطئه(١٥٣)، واستـغفـر من ذنبه، واستأذن أن يقـيم فى رشيد، فأذنت له. وقـصدى أن يكون هناك قريباً من أهله.

ولقد أحزنتنـى محادثته حزناً شـديداً. ولـم يخفف عنى منه إلا كونه مريضاً، وبه دخل فى عقله.

(١٥٠) زوج شقيقته رتيبة، ووالد مصطفى وعلى أمين.
(١٥١) محمود صدقى باشا عديل سعد زغلول.
(١٥٢) يقصد عبدالرحمن زغلول، شقيق عبدالله زغلول.
(١٥٣) فى الأصل: بخطاه.

٢٧٧٩
ولاقيت لطفى السيد، وقد عاد إلى الضرب على نغمته الأولى من أن مصر لا تستفيد شيئاً من الحرب مهما كانت عاقبتها، لأن لا دخل لها[١٥٤] فى المقدمات.

لو أن الشقاء يكون[١٥٥] بفقد الأصدقاء، وكثرة الأعداء، ومعاكسة الأقارب والأنسباء، وخيبة الأمل فيمن تعلق بهم الرجاء، ومقابلة النعمة بالكفران، والإحسان بالإساءة، والعيش بلا غاية فى الحياة ولا رجاء فى الآخرة ـ كنت أشقى الأشقياء! لولا تصورى أن الحياة كلها خيال، وأن ما فيها معد للزوال، وأن الموت تستوى عنده جميع الأحوال.

أعجبنى ما قرأت فى بعض الكتب أن السعيد هو من يشتغل بإسعاد الغير لا بإسعاد نفسه، وأن الإنسان يتعب كثيراً إذا جعل غاية كل عمل يأتيه فائدة يكسبها لنفسه.

وأحسَن من قال: إنه ينبغى للإنسان أن يشتغل بالشئ لقيمته[١٥٦] فى نفسه، وإعداده لأن ينفع الغير به، لا . . .[١٥٧]

---

(١٥٤) فى الأصل: لا دخل له.
(١٥٥) أضيفت «يكون» لتربيط المعنى.
(١٥٦) قراءة اجتهادية.
(١٥٧) الكلام مقطوع فى الأصل.

٢٧٨٠

فى ٢١ منــــه

حضر محمود صدقى باشا أمس، وتعشى عندنا، وأخبر بأنه سيحضـــر مع عائلته يوم الأحد القادم، وســيبتدئ الجنى عنده يوم الاثنين الذى يليه.

إن القطن هذا العام أضــعف منه فى العام الماضى، فــهو قصــير وخفيف، وأغلب مــا فتح منه ذابل أو مقــفول، وإذا رمى الفدان ثلاث قناطير يكون مناسباً. وعلى الله الإتكال!

[ص ١٨١٧]

الغدر كثير فى الملوك وقديم عندهم.

فى الحق أن ليس للإنســان إلا مــا سعى،ولــكن يتعــذر السعى عــلى الإنسان أحيــاناً لقوة المانع منه، فــتقــاعده ليس تقصيراً ولكنه عجــز وقصور. ولا غرابة أن يزول هذا المانع، فيظهر الكامن، وينبسط المنكمش، ويعمــل الساكن، ويستفيد من الحوادث التى قد لا يكون له دخل فى حدوثها.

إذا كانت أخلاق الأمة المصــرية مثل أخلاق من عرفنا من أفرادهــا، واختبــرنا من أبنائهــا، فالويل ثم الويل لهــا، لأنه يستحيل عليها أن تدرك شأن الأمم الحية بهذه الأخلاق اللئيمة الســافلة والذين يظنون غيــر ذلك، ويبنون آمــالهم على هذا الظن، يعــرضون أنفــسهم على الدوام لخــيبــة الأمل، وتجرع غصص الفشل ونكد الحياة!

والذين يعملون على رفع شأن الفضيلة فى أمة هذه أخلاقها، يسقطون أنفسهم غالباً فى هوة الشقاء، ولا يبوءون إلا بخسران، ونكايتهم لا تأتى فى الأكثر من أعداء أمتهم، ولكن من نفس أبنائها ـ أى من إخوانهم فى الوطنية الذين هم يعملون لهم.

فى ٢٣ منه

وردتنى دعوة إلى حفلة شاى يقيمها عظمة السلطان فى حديقة أنطونيادس بإسكندرية، فأردت حضورها، ولكن لم أجد محلاً فى الكازينو، فكتبت خطاب اعتذار.

أقرأ من يومين فى «الطان»[١٥٨] قضية مالفى وزير داخلية فرنسا، وتهمته أنه خابر العدو وشجع على الثورة. وتجد فى قراءتها عجباً من أحوال الفرنساويين، وتغلغل الفساد فى قلوب الكثير منهم[١٥٩]. وأرى أن كبار الرجال فيها يستعينون

(١٥٨) «الطان» جريدة فرنسية Le Temps.

(١٥٩) كانت فرنسا قد منيت أثناء الحرب العظمى بتعاقب مجموعة من الوزراء الذين بلغوا من الضعف حداً عجزوا معه عن الحيلولة دون انتشار الدعاية ضد الحرب بين الجنود، مما أدى إلى العصيان والتمرد فى الجبهة. وفى أواخر سنة ١٩١٧ ساءت الأحوال السياسية. وقد كان سقوط هؤلاء الوزراء الضعاف واحداً وراء الآخر فى النهاية هى سبيل «كليمنصو» إلى رياسة الوزارة، وسرعان ما هوجم الداعون إلى المسالمة، واعتقل بعضهم، وسرت فى فرنسا روح جديدة.

بكثير ممن لا خلاق لهم، وأن كثيراً من كتابها لافضيلة عندهم، وفى أخلاقهم من الفساد ما فى أخلاق أمتنا. وبعبارة أخرى، أن أخلاق الإنسان واحدة فى كل مكان، وإنما يختلفون فى الجهر والعلانية. وعلى هذا يمكن أن أقول: إن أفضل الناس من عرف أن يستر عيوبه! وأفضل الأمم من تمكنت. . .[١٦٠]

فى ٢٤، ٢٥ منه

لا شئ يستحق الإثبات فى اليوم الأول ولا فى الثانى، سوى حضور محمود صدقى بعائلته، ثم مرور إسماعيل سرهنك حيث جلس عندى برهة مع عبدالله شريف وانصرف.

[ص ١٨١٨]

قرأت فى كتاب فرنساوى يدعى الطبيعة العريانة La nature nue[١٦١]، كلاماً يدل على أن الإنسان مجموع نقائض، ولا يختلف أفراده فى هذا المعنى إلا يسيراً، ومن لم يظهر نقص فيه فذاك لواحد من أسباب كثيرة منها. . .[١٦٢]

---

(١٦٠) الكلام مقطوع.

(١٦١) كتبها سعد زغلول حسب النطق، أى La natur nue بدون حرف e.

(١٦٢) الكلام مقطوع

فى ٢٧ سبتمبر ٩١٨

بدأنا أمس فى جنى القطن، وبلغ الجناة مائة وسبعين نفراً، وكان كل اثنين يجنيان الزهرة المليحة، ومن خلفهما ثالث يقطف غيرها. وفى المفرش أنفار يفرزون. واشتدت التنبيهات على جعل القطن خالياً من الدود. وزار مفرشنا سباعى بك، وزرت معه مفرش محمود باشا، فتلقانى ببرود! وجعل عند قدومى يتشاغل عن لقائى بفرز القطن! وبدا[١٦٣] منه هذا الصغار عند الإنصراف!

وكان القطن زاهياً باهياً، وجد فيه شئ من العفيفى[١٦٤] وقليل من الساقطة. وقد رتب على ثلاثة أنواع: نمرة ١، ونمرة ٢، ونمرة ٣[١٦٥]، وهو الإسكارتو. وتيلة هذا القطن متينة، ولونه أبهى من السيكلاريدس، ومحصوله يبشر بعناية الله باقبال عظيم، فقد جنينا من مساحة مقدارها سبعة أفدنة يوم ٢٦ سبتمبر:

---

(١٦٣) فى الأصل: وبدى.
(١٦٤) هكذا تقرأ.
(١٦٥) فى الأصل : نمرة ١

٢٧٨٤

ط	قنطار	
٨٨	٢٣	ثمرة ١
٨٢	٢	ثمرة ٢
٢٨	—	ثمرة ٣ اسكارتو
٣٠	٢٥	ثمرة ١ يوم ٢٧ منه، خص الفدان ٦٠ ط ٣ قنطار
٢٢	٣	ثمرة ٢ ٨فدن
٢٨	—	ثمرة ٣
٦٧	٢٥	ثمرة ١ يوم ٢٨ منه ٨ فدن ، خص الفدان ٦٨ط ٣ قنطار
٤٥	٠٣	ثمرة ٢
٣٩	—	ثمرة ٣ يوم ٢٩ منه، ١٠ فدن
٠٦	٣٢	ثمرة ١
٦٣	٠٣	ثمرة ٢
٥٢	—	ثمرة ٣
٤٧	١٢١	(١٦٧)

(ثمرة ١ – ثمرة ٣ اسكارتو): ٧ فدن، خص الفدان ٨٥قيراط ٣ قنطار، من غير وفر المخزن (. .)[١٦٦]

(١٦٦) عبارة غير مقروءة.

(١٦٧) هكذا الحساب فى الأصل.

[ص ١٨١٩]

فتحى

ط	جملة قنطار	نمرة ١ ط	نمرة ١ قنطار	نمرة ٢ ط	نمرة ٢ قنطار	نمرة ٣ ط	نمرة ٣ قنطار	فدن	يخص الفدان ط	يخص الفدان قنطار	تاريخه
٤٧	١٢١	٤٨	٣٥	٨٤	٤	٥٤	..	٩ ١/٢	٣٠	٤	٣٠ منه
		٠١	٠٧	٣٩	١	٢٠	..	٢	٣٠	٤	٣١ منه
		٤٩	٤٢	٢٣	٦	٧٤					

سكلاريدس

		نمرة ١		نمرة ٢		نمرة ٣		فدن	يخص الفدان		تاريخه
٦٨	٢٢٠	٤٧	٢٥	٨٧	٢	٥٥		١٢ ٢/٣	٢٨	٢	٣٠ منه
		٢٠	١٨	٣٠	٢	٧٦		٨ ١/٢	٥٥	٢	١ اسبتمبر

وقد انتهى الأمر فى الجنية الأولى، وهذه الأرقام خلاف وفر المخزن . . .

جعلت البياض يمينه، والملآن لكتابة حاصل الجمع اليومى.

قامت مناقشة مع زكية خانم فى أمر الجمعية الخيرية الإسلامية، وفى أهلية مصر لحكم نفسها. فطعنت على الأولى بكلام فارغ جداً، ولم تُرد أن تسمع دفاعاً عنها. ولكنى لم أتركها حتى أسمعتها مالم تجد له جواباً سوى

٢٧٨٦
قولهـا: إنى أكره هذه الجمـعية طبـعاً! وكانت كـمن تخبطه الشيطان من المس، لا تعى ما تقول، ولا تفهم مايقال! ولقد صبرت عليها أجمل صبر.

ولم ترد أن تقبـل مع المسـئلة الثـانيـة نـقـضـاً لرأيهـا ولأفكارها! وبعد أن رأيت عدم الفـائدة، تحول الحديث إلى موضوع آخر.

إنى ألوم نفسى أشد اللوم على مناقشة الجاهل، ومنازعة الأحمق، ومحاورة المعجب. وقد كانت حاضرة مدام صبرى نزيلتها، وسـمعت المناقشة، ولكن لصـممها لم تعـها كلها، ولم تشتـرك برأى. وألوم نفسى على المناقشـة مطلقاً، وعلى الأخص مع الذين لا يفهمون ولا يعرفون أمتهم ويجهلون.

الإنسان عـورة فى مبناه[١٦٨] كما هو عورة فـى جسمه، ولكن العقل يستر عورته، كما أن الثياب تستر عورة الجسم.

---

(١٦٨) قراءة اجتهادية، وقد تقرأ: «معناه».

(١٦٩) محمود باشا صدقى عديل سعد زغلول

[ص ١٨٢٠]

يوم ٢٨ منه

تغدينا اليوم عند محمود باشا،[١٦٩] ولم يحصل شئ من الإثبات. وأخبرنى أن الفدان جنى فى اليوم الأول ثلاث قناطير ونصف، وفى اليوم الثانى اثنين، وأن باقى القطن فى غاية الجودة. ولم أرد أن أخبره بما نتج عندى إشفاقاً عليه!

ومنذ بضعة أيام وأنا مشتغل بقراءة قضية موسيو مالفى وزير داخلية فرانسا[١٧٠] أمام مجلس الشيوخ. ومنها يتبين الإنسان أن فى فرنسا عيوباً تماثل عيوبنا وتزيد عليها.

٣٠ منه

ليس فى نهار أمس ما يستحق الإثبات. وقد اعترانى شيء من الإنحراف، فأخذت شربة، ولزمت المنزل لغاية الساعة ٥ بعد الظهر. واليوم يتغدي عندى محمود باشا وحرمه.

وقد جلسنا مع الأخيرة من الساعة ١٠، وتحملت حديثها وحديث حرمى ومادار فيه وحدى من ذلك الوقت! وجرى الحديث فى موضوعات شتى، وعجبت من كونى جلست هذا المجلس، وخضت معهن فى الحديث الذى كان أغلبه تافهاً!

---

(١٧٠) هكذا فى الأصل.

٢٧٨٨

ثم حضر محمــود باشا، وأخذ يتحدث بالقطن، ويعظم محصوله، وأن الفدان يجنى الآن عنده أربعة قناطير! وسألنى عن حالتــه عندى، فقلت له: إنه لغاية الآن فى قلب بعــضه أربعة قناطير إلا سدس! فاكمــد لونه، واكفهر وجهه، وعلاه ما يعلو الحاسد إذا[١٧١] علم بنزول[١٧٢] النعمة على محسود! وبعد أن كان منتفشاً منتعــشاً إنكمش، وأخذ يتثائب! فقلت: نعوذ بالله من الحسد، ما أقتله لصاحبه!

٣١ منه

اليوم نبدأ فى جنى الســيكالاريدس. ويقدر الناظر له فى هذه الجنية ثلاثة، بما فــيه ما لم يفتح. وأرجــو الله أن يحقق ظنه، لأنى أفتكر أنه أقل من ذلك. وعلى الله الاتكال.

فى هذه الأيام صدر أمــر من قائد الجيوش البــريطانية فى مصر بإضــافة جهة أبى قير إلى مــلك جلاله ملك الانكليز، وتقدير ثمنها بعد ذلك لإعطائه لأربابها. ويقال إن السبب فى ذلك أن الأمير عمــر طوسون عارض استعمــال بعض أراضيه هناك لحاجة جيش الإنكليــز، فصدر هذا الأمر، الذى يصرح بأن هذه الإضافة أبدية! والحق له، لأن القوة معه، وما جزاء من يعترض على هذا الفعل من الضعفاء إلا العذاب الأليم!

(١٧١) أضيفت: «إذا» لسلاسة العبارة.

(١٧٢) قراءة اجتهادية.

[ص ١٨٢١]

ألاحظ أن القطن الفتحى[١٧٣] يفتح باكراً، ويثمر كثيراً. وأن الأرض التى تسبخ فى الذرة تسبيخاً جيداً، ولا تزرع برسيماً، ثم تدرس وتخدم وتروى فى بؤنه وأبيب رياً مشبعاً تأتى بمحصول وافر.

القطن من السيكلاريدس يبطئ فى التفتح، ولا يثمر كثيراً، وفى الغالب يطول ولا يتشعب من الأسفل. والمنظور أننا ننتهى من الجنية الأولى غداً، إذا لم يبق من غير جنى سوى تسعة أفدنة فقط.

غداً تأتى رتيبة[١٧٤] مع أخيها ونجليها. وأظهرتُ للست عدم رغبتى فى طهارة[١٧٥] نجليها عندنا، ورأيت الأوفق أن يكون ذلك عندها. وقلت: إنى مستعد لأن أساعد الأقارب من بعد، لا من قرب، فقد جربت قربه فوجدت فيه شقائى.

١ سبتمبر سنة ٩١٨

لم ينتشر الضباب اليوم انتشاره فى مثله من العام الماضى.

---

(١٧٣) وقد تقرأ «الغنمى».

(١٧٤) شقيقة سعد زغلول ووالدة مصطفى وعلى أمين.

(١٧٥) أى: ختان

٢٧٩٠

أحـمد الله على سكـون النفس فى هذه الأيام، وزهدها فيمـا يرغب الناس عادة من لذائذ الحياة، ونفـورها عن قبول الملق والثناء الكاذب، واللهو واللعب. وأريد أن أعودها على ترك الأمور تجـرى فى أعنتها، وعـدم محاولة تعـديلها، لأن ذلك فوق قدرتى، وقلما[١٧٦] يتحقق.

وعلى سـعة الصـدر كلمـا حدث مـالاترتاح النفس به، والصبر على احتـمال المكروه من الناس، والإعذار لهم[١٧٧] فيما يصدر عنهم من المخالفات والهفوات، لأن الإنسان عبارة عن مجموعة من النقائص[١٧٨] يسترها العقل الرزين، ويبديها الخفيف. وجل من تنزه عن العيوب، وتوافرت[١٧٩] فيه جميع الكمالات.

من تناقض العقول أن تتصور لله كمالات تشابه كمالات الإنسان، وذات مخالفة لجميع المخلوقات مخالفة تامة. أليس يلزم من هذه المخـالفة الجوهرية المخـالفة فى الصـفات؟ أنظر إلى الأنواع المخـتلفة مـن الموجودات تجـد لكل منهـا كمـالا يناسب ذاته، ويخالف كمال الآخر. فللحيوان كمال يخالف

(١٧٦) فى الأصل: وقل ما
(١٧٧) أى: التماس العذر لهم
(١٧٨) فى الأصل: النقايص
(١٧٩) فى الأصل: «وتوفرت»

كمال النبات، ولهذا كمال ليس مثل كمال الجماد، ولا يعد عدم اتصاف نوع بكمال نوع آخر نقصا فيه، فإذا فقد النبات الحس والحركة، فلا يمكن أن يقال إنه ناقص! وكذلك إذا فقد الجماد. .[١٨٠]

حضرت اليوم رتيبة وأخوها ونجلاها بعد الظهر.

انتهت الجنية الأولى اليوم الساعة ٤ بعد الظهر، وكان الجنايون[١٨١] ١٨٥نفراً.

٢ منه

أرسلت ناظر قسم ثانى ليتفقد زراعة دمنهور، ولم أزر اليوم الغيط كسلا!

[ص ١٨٢٢]

٣ سبتمبر سنة ٩١٨

أرسلت اليوم محمد أحمد لإحضار مائة جنيه من البنك الأهلى للمصروف.

عاد ناظر قسم ثانى من دمنهور وأخبر بأن القطن جيد،

(١٨٠) الكلام مبتور فى الأصل.
(١٨١) فى الأصل: الجناين.

ولكن يحسن عـدم ريه وعدم جمـعه إلا بعد أيام. فـوافقت على ذلك.

٤ سبتمبر

أهداني بسيـوني بيك الخطيب أربعين قطعة مـانجو! ودُفع للرسول عشرون قرشا[١٨٢]

حضر أولاد صدقي باشا عند محمود باشا مع عزيز على زكى. وزاروني أمس، ومـثلوا قطـعـا[١٨٣] من كـشـكش بـيـك[١٨٤]، وألقوا بعض أعـمال زجل على طريقة جـميلة. ولكن الأحسـن كان عدم تداخل البنـات فيهـا، لما فيـها من الأمور التي لاينـبغي لهن أن يعرفنهـا الآن. وطلب محـمود باشا أن يزور المخزن ليرى كيفية وضع القطن فيه، فاستحسن ما رآه في الظاهر! والمظنون أنه يريد المقـارنة! ولم أسأله عن نتيجة المحصول عنده، ولم يفعل هو من نفسه شيئاً.

---

(١٨٢) في الأصل: قرش.

(١٨٣) في الأصل: قطع.

(١٨٤) كشكش بيك عمدة كـفر البلاص، شخصية فكاهيـة ابتكرها نجيب الريحاني ومثلها على مسرح «الاجبسيانة».

٥ منــــه

لا شئ يستحق الإثبات، غير إنى أشعر من نفسى بعدم ميل شديد إلى أكل المانجو، بعد أن كنت شـديد الرغبة فيها. وأتخيل أنها تحدث عندى انتـفاخاً وسوء هضم، ولهذا تركت تناولها.

ولقد ابتدأت أن أنسى الأمـور التى كانت كثيـراً ما تتردد فى الخاطر وتؤلم الشـعور إيلاماً شـديداً. وقطعت من قلبى كل علاقة بما كان يؤذيه، وأصـبحت لا يهمنى شيء من هذه الحياة إلا أن أكون بعيـداً عن المكاره بقدر الإمكان، قريباً من الخير وفعله، وكأنى أنتظر الآخرة وأتوقع الوصول قريباً إليها!

وكلمـا مـضى الزمن، كلمـا اشـتـد بى الميل إلى وقف أمـلاكى أولاً على العاجـزين عن الكسب من أهل قـرابتى، وثانيـاً على تعليم الفـقـراء من أبنائهم. ولكن لم أهتـد إلى الساعة لتعيين ناظر هذا الوقف من بعدى.

فى ٧ منــه

حضـر أمس صبـاحاً كل من درويش بيك سـيد أحـمد ومتولى بيك غنيم زيارة، ونجـيب حتاته شاكيـاً سوء تصرف والده معـه، فوعدته أن أتكلم مـعه عند ذهابى إلى مـصر. وتغدى هؤلاء مع كـبار أولاد محـمد صدقى باشـا، وعزيز ومحمـود أولاد على بيك زكى، ومحمود صـدقى باشا، ثم

٢٧٩٤
انصــرف الأولون فى الساعــة -,٣، وقد أظهــروا إعجــابهم بالمنزل وماحوله.

ولم يجرِ من الحــديــث إلا مــا يمس الزراعــة والأحــوال الحاضرة من بعيد.

[ص ١٨٢٣]

فى ١٠ منه

توجهت يوم ٨ منه إلى دمنهور، وكان معى سعيد بيك. ونبــهت بجمع القطن يوم ٩ منه، لأن تفــتحــه بطىء، وترك جنى مافتح، لأن تفتيح غيــره يضعف من تيلة مافتح، ويغير لونه، ويكدره. ويمكن أن يجنى من الغنمى والــغربى من كل فدان ثلاث قناطيــر، والباقى قنطار ونصف فى قلب بعــضه. والله الرازق.

وفى العــودة. رأيت عجل بــقر اشــتريتــه بعــشرة جنيــه ونصف، وكــتبت إلى الزراعــة باستــلامه، ودفع الثــمن إلى صاحبــه المدعو محمد الصعــيدى من دسونس. ولا أدرى إن كان أوصله لهــا. وقال صاحــبه إنه يأكل الخضــروات ويعاف الآن أكل التبن!

واستحسنت زراعة الذرة.

وعند عــودتى إلى مــصــر، زارنــى فى الديوان مــســتــر

فلس[١٨٥]، ولم أتأخر عن نقد السياسة الحاضرة أمامه، فوافق على النقد. ورأيتــه متذمراً من برونيت، ومتــألماً من كونه لم يقابل تقرير اللجنة التجارية الصناعيــة، التى هو عضو فيها، بما يستحق من العناية.

وقــضيت الســهــرة مع لطفى بيك الســيد، وتحــدثنا فى موضوعات شتى أدبية ونفسية واجتماعية.

ثم عدت إلى هنا أمس بعد الظهر، فرأيت الرى قد ابتدأ يوم أول أمس - أى يوم الأحد ٨ منه - ورأيته رياً خفــيفاً كما نبــهت، ورأيت التــفتــيح ســائراً فى كل من النوعــين ســيــراً مناســباً. وأعجــبنى ما رأيت من زراعة الأقطان عــلى جانبى السكة الحديد.

أخبــرنى محــمود صدقى بــاشا أن التصــافى عنده بلغت

---

(١٨٥) يقصد مــستر ويلز (سدنى ويلز) المدير العــام لإدارة التعليم الفنى والصناعى والتــجارى، وهو صــاحب فكرة تأليف لجنة الــتجــارة والصناعــة التى رأسهــا إسماعيل صدقى باشا، والمستــر كريج مراقب قلم الإحصاء العام بإدارة المالية، ويوسف أصلان قطاوى باشا وكان عضوا باللجنة التشريعية، وأمين يحيى باشا من أعيان الإسكندرية، والمــستر ف. مردوخ من أصحــاب المصانع بالمنصورة، ومحمد طلعت حرب. وقد أضيف إليــها المستر هنرى نوس مدير شركة السكر بالقطر المصرى، والمسيــو ف. بورجوا مدير شركة الغــاز بالإسكندرية، والمسيو س. و. تويلفز الموظف بإدارة الماليــة، (دكتور عبــد السلام عامر: الرأســمالية الصناعية ودورها فى مرحلة المشروعات الحرة ١٩١٦ - ١٩٥٧).

٢٧٩٦

واحد ونصف بعد المائة. وقيل له - مع ذلك - إن تصْفية الزراعيين أضبط. ودعانى اليوم إلى وليمة عنده أعدها إلى علام باشا مدير أسيوط.

من سوء طالع الأولاد فى عائلة أن يوجد بين الكبار من أفرادها منافسة أو خلاف. فإن كل واحد من المخالفين يجتهد أن يودع فى ذهن الأولاد ما يخالف ما يودعه الآخر، ولاتكون نتيجة ذلك - فى الأغلب - إلا فساد خلق الأطفال!

وهذا من جهل الأمهات، وميلهم إلى بعض أطفالهم دون البعض الآخر، وعدم قدرتهم على ضبط أميالهم وكتمانها على أطفالهم، مما يقوى هذا الفساد. ولا تجد عائلة فى الأمة المصرية خالية من هذه الأسباب كلها أو بعضها. ولذلك كان فساد الأخلاق عاماً فيها.

ومالم يصلح شأن المرأة صلاحاً حقيقياً، لا يمكن أن تنهض هذه الأمة من سقوطها الأدبى. ومادام الأجنبى صاحب السلطان فيها من المحال أن يحصل هذا الإصلاح، وإنما يحصل شئ تحت إسمه، يكون فى الحقيقة من أندر أنواع الإفساد! ولذلك فإنا نبشر من تنبئوا فيها بحسن لها ولتقدمها، بخيبة آمالهم وطول كدرهم، ما دام للأجنبى دخل فى أمورهم.

[ص ١٨٢٤]

فى ١١ منــــه

زارنى أمس علام باشا، وتغذينا معـاً على مائدة محمود صدقى باشا. واليوم نحن مدعوون مع اسماعيل صدقى باشا عند متولى بيك الجحش.

استفسرت من رشدى باشـا عن صحته، ورجوت له تمام الشفـاء. فرد علىّ فى الحال بالشكر من صمـيم فؤاده، ولم يقل شيئاً عن صحته. وقرأت فى المقطم أن «أوتو»[١٨٦] محمد سعـيد باشـا إنصدم مـع آخر، فتـحطمـا، وجرح البـاشا. فـأرسلت إليـه أمس تلغـراف تهنئـة بالسلامـة وسـؤال عن الصحة.

وردت لى عـينتـان من القـمح مـن طرف دائرة سلطان باشا. والهندى[١٨٧] منهما حسن.

تغدينا اليوم عند متولى بيك الجحش، ورأيناه وضع قطنه فى إحـدى المناور وفى الصالة. ورأينا بإزاء هذا المحل مـحل مـركّب من فَسَحـة[١٨٨] وأودتين: إحـداها للنوم، والأخـرى

(١٨٦) يقصد أوتوموبيل أو سيارة ـــ والتعبير فرنسى : L'auto.
(١٨٧) أى : والقمح الهندى.
(١٨٨) أى : صالة

٢٧٩٨

للجلوس. وقد أعد لنا[١٨٩] مائدة على تراس، ولم نأكل إلا بعد الساعة٢ حتى أمض الجوع بطننا. وكانت ألوان الأكل كثيرة، ولكنى ما أكلت إلا جزءاً من الديك وفطير مشلتت وعسل أبيض.

أخبرنى إسماعيل صدقى بأن اسماعيل سرى تأثر من كون عظمة السلطان غضب على نسيبه حسن بدير، فتكلم مع رشدى باشا فى شأنه، فلم يفعل شيئاً، فتكلم مع ونجت وقال له: إن غضب عظمته نتيجة دسائس الذين يلتفون حول السلطان، ويسهرون كل ليلة معه، مثل سعد زغلول وإسماعيل صدقى وغيرهم! وأن ونجت قال له إنه يعرف أن سعد زغلول مقيم فى عزبته من أربعة أشهر!

فاستعذت بالله من هذه التهمة، واستغربت من مفتريها! ولكن الله فوق كل ظالم!

وسألنى صدقى: لماذا رفضت رئاسة الهلال؟ قلت: لأن أعماله مشتركة مع السلطة العسكرية، ولا ثقة بيننا، ولاينجح عمل لم تكن الثقة متبادلة بين القائمين به وذوى الشأن فيه. وفهمت منه أنها[١٩٠] عُرضت على مظلوم باشا. كما فهمت منه أنه يميل إلى أن يكون فيها! لأنى كنت أقول: إنه لاخير

---

(١٨٩) فى الأصل: «عدلنا» بدون ألف فعل «أعد». وهذه عادة سعد زغلول اغفال بعض الحروف عندما يسرع فى الكتابة.

(١٩٠) أى: رئاسة الهلال الأحمر.

الآن فى إحيائها وإن الأولى تركـها، وكان يجيب على ذلك بما يفهم منه ميله إلى عكس ذلك! والله أعلم

[ص ١٨٢٥]

ولقد قلت له - فـيما قلت - أنى لا أحسـد من فى مركز سام، لأنه مـحفـوف بالمخاطر. ولا أريد فى آخـر لحظة من حياتى أن أختمها بما يسوء صحيفة حافظت على بياضها مدة حياتى. وتعـساً لمبلغ الثلاث آلاف جنيه الذى يقـيد حريتى، ويكلف ذمتى، ويحملنى عـلى مباشرة مايخالف ضـميرى - وغير ذلك من الاحتجاجات التى تعودت إبداعها[١٩١] فى مثل هذه المقامات[١٩٢].

وقد قص علينا حـوادث قضايا أولاد راتب[١٩٣] مع أمـين يحيى باشـا. كما فـهمت منه أن النائب العـمومى يميل إلى إحالة الدمرداش على مـحكمة الجنايات، وأن المسئلة منظورة الآن فى الحقانية.

---

(١٩١) فى الأصل: ابدائها.

(١٩٢) نلاحظ أن سعـد زغلول يضحى بمبلغ ثلاثة آلاف جنيـه بعملة تلك الأيام - أى: ٩٠٠,٠٠٠جم بعملة هذه الأيام (سعر الجنـيه الذهب عند كتابة هذا الكلام ٢٩٨,٤جم) رغم حـاجـته إلى هذا المـال بعد خسـارته فى لعب الورق، وذلك حتى لا يخـالف ضميره ويقـيد حريته ويكلف ذمـته! فمن يضحى بهذا المبلغ لهذه الأسباب من باشوات اليوم؟

(١٩٣) قراءة تقريبية.

٢٨٠٠

فى ١٢ منه

أسافر اليوم إلى دمنهـور، ومنها إلى إسكندرية، لحضور تشريفات العيد، ثم العودة فى اليوم التالى إنشاء الله.

فى ١٨ منه

قدمـت أمس من إسكندرية فى الساعـة ٢ بعد الظـهر، وكان معى سعيد[١٩٤]، وذلك بعد أن أقمت بتلك المدينة أربعة أيام، لم أرتح فـيـها يومـاً لجـوها، لتـغلب الرطوبة عليـه، ووقوف الهواء أحياناً.

وقـد سـهـرت الثـلاث ليـالى فى النادى، ولـم تسـرنى النتيجة، لأنى لم أستطع أن أقى نفسى من الضعف، وهويت ما كنت أنفر منه، وباشرت ما ابتعدت عنه[١٩٥]. ولكن العاقبة لا تشوق إلى العـودة، بل من شأنها أن تحـمل على الفرار، والتماس الوسائل للبعد.

وقد رأيت عـدلى، وفهـمت منه أن السلطان غـير راض عنه لسبب لا يعـرفه! ولا من ثروت، لدسـائس أمين يحيى، ولا من إسماعيل سرى. وأنه راض عن رشدى وعن حلمى[١٩٦].

---

(١٩٤) يقصد: سعيد زغلول.

(١٩٥) يقصد: لعب الورق.

(١٩٦) يقصد: أحمد حلمى باشا، وزير الزراعة.

وذكر لى أشـياء تدل على أن عظمـته لا يعمل لتـقريب الناس منه، بل لإبعـاد هم عنه. فهـو لا يدعو إلـيه[١٩٧] وزراءه، ولا يستشيرهم فيما يعمل. ولأمين يحيى ـ على قلة اختباره وضيق حالـه ـ نفوذ كبير.

وقابلت مدحت، وفهـمت منه أنه تكلم لعظمته فى حق أمين، وأنه كان أيد[١٩٨] السلطان فى حفلة الشباب التى أقامها بحديقـة أنطونيادس[١٩٩] التى وهبهـا لبلدية إسكندرية. وأن عظمته أراد، بالاستثناء على ما ورد فى عقد الهيئة من كونها تكون تحت تصرف عظمته كلما رغب ذلك، أن يحرم العموم منها زمـن الصيف لتكون خـالصة له! وأن الحال انـتهى بأن تكون مهيـأة بينه وبين العموم، لكل ثلاث أيام، وأن إيرادها السنوى ينقص عن مـصاريفهـا ٨٠٠جم، والبلدية هى التى تقوم بسد هذا النقص. ولذلك كان بعض الأعضـاء متحرشاً للمعارضة. وانتهى الأمر بهذه التسوية. [ص ١٨٢٦] وأن عظمتـه غضـبان من الرجـال الذين لم تزر نساؤهم كـريمته، ومن هؤلاء صدقى باشا وسـرهنك، حتى بلغ الغَضب به أن نبه بعدم دخولهما إلى حفلة أبنائه وغيرها!

---

(١٩٧) فى الأصل: يدعو له.

(١٩٨) قراءة تقريبية.

(١٩٩) مكتوبة فى الأصل: أنطون باديس.

٢٨٠٢

قلت له: إن كريمات مصطفى باشا لم يفعلن ذلك لأنهن لم يرين من عظمتــه من الإكرام ماكن يرين من أخـيه، الذى كان يعـتبرهن ويعـاملهن مثل بناته، وكثـيراً ما كـان يصرح بذلك.

وعلمت منه، ومن حلـمى بعده، أن زوجـة اسـماعـيل صدقى بـاشا[٢٠٠] ضبطته متلبساً تقريباً بالخيانة فى غرفتها مع نزيلة فى بيتـها، وطردت الاثنين، وأصرت على فراقـها منه! والظاهر أنه لما حـضر هنا يوم الأربع الماضى، كـان على أثر هذه الحادثة.

وتغـديت مع سعـيد[٢٠١] عند على شـعراوى يوم الأحـد الوقفة، وكان معـنا محمد محمود وعبدالعـزيز فهمى. وكان الأكل لا بأس به.

وكان السلطان فى التشريفـات مسروراً فرحاً، وتكلم فى القطن، وإقبـال موسمـه، وارتفاع أسـعاره، بلهجـة تخالف لهجته الأولى. ولم يناقـشنى إلا فيه. وكنت أؤازره وأجاويه من بين الوزراء السـابقين، الذى لم يكن فـيـهم إسـماعـيل صدقى!

---

(٢٠٠) فى الأصل: صدقى باشا اسماعيل.

(٢٠١) سعيد زغلول.

وزرت رشدى، وما رأيته. ولم أقابل أحداً وأظهر لى نفوراً. ولم يدعنى محمد محمود عنده، ولم أفهم السبب فى هربه من دعوتى إياه للأكل معى فى الأوتيل.

وفهمت من عظمته، ومن كثير من الناس، أن القطن يباع لآخر جَنْيه بتسعمائة وخمسين إلى ستين قرش، وسمعت من بعضهم أنه باع بهذه الشروط بتسعمائة قرش، وعرض على عدلى ثمن لغاية تسعمائة قرش، وإذا سلم معظم لوز دمنهور من الدود[٢٠٢] أمكن أن نتحصل منه على أربعة قناطير من كل فدان، (. . .)[٢٠٣]، وأتمنى للجنْيَة الثانية فى مسجد وصيف من الغنمى ٢ وللسيكلاريدس ٢ ونصف (٢,٥) والله أعلم. وأظن أن ذلك التقدير لا يبعد عن الحقيقة، والله الرازق.

وتقابلت فى السكة الحديد مع حسن باشا عبدالرازق[٢٠٤] وأخيه مصطفى[٢٠٥]، وميشيل لطف

---

(٢٠٢) قراءة اجتهادية.

(٢٠٣) عبارة غير مقروءة.

(٢٠٤) حسن باشا عبدالرازق كان وكيل شركة صحيفة «الجريدة» التى حررها أحمد لطفى السيد.

(٢٠٥) مصطفى عبدالرازق (١٨٨٥ ـ ١٩٤٧) مفكر، وأديب، وعالم بأصول الدين والفقه، ومصلح ومجدد مصرى. ولد ونشأ فى بيت علم وكان والده صديقاً للشيخ محمد عبده، وأخوه الشيخ على عبدالرازق صاحب كتاب: «الإسلام وأصول الحكم».
درس بالأزهر وحصل على العالمية ١٩٠٩ ودرس بالجامعة المصرية القديمة (الأهلية) وسافر إلى فرنسا حيث درس الفلسفة والاجتماع والآداب، وألقى دروساً فى اللغة العربية بجامعة ليون ١٩١١، وأعد رسالته للدكتوراه وموضوعها: «الإمام الشافعى أكبر مشرعى الإسلام». =

الــلــه[٢٠٦]. وعلمت من الأول أن السلطــان غيــر راض عن محمد فهمى وأعطى له أجازة لــغاية عودة عظمته إلى مصر. وأحال أشغاله على محمود شكرى. كما فهمت منه أن الأمير يوسف استــعفى من رئاسة الجمــعية الخيرية. وفــهمت منه، وعلمت من غيره، أن عظمته يميل إلى ترشيح رشدى.

فى ١٩ منه

نعى الأهرام أمس، والمــقطم اليــوم، وفــاة حــسن أبى النضر. وما علــمت بها من قبل هذا، فــأرسلت سعــيد إلى

= وبعد عــودته إلى مصــر عين موظفاً بمجلس الأزهر الأعلــى، ثم أميناً عاماً للمعاهد الدينية، ثم مفتشاً لــلمحاكم الشرعية ١٩٢٠، وأستاذ للفلسفة الإسلامــية بكليــة الآداب ١٩٢٧، وعين وزيراً للأوقــاف ١٩٣٨، وفى عام ١٩٤٥ عين شــيــخــاً للأزهــر، وظل فى هذا المنصــب حــتى تــوفى فى ١٥فبراير١٩٤٧.

ترجم إلى الفرنسية مع الأستــاذ برنار ميشيل «رســالة التوحــيــد» للشيخ محــمد عــبده، ومن مــؤلفاته: «مــحــمــد عــبــده» و«تمهــيــد تاريخ الفلســفة الإسلامية»، و«الإمام الشافعى»، و«الدين والوحى والإسلام» ١٩٤٦، و«من آثار مصطفى عبدالرازق» التى نشرها شقيقه على عبدالرازق والتى تظهر آراءه فى الحياة ومنهجه فى الإصلاح الذى تأثر فيــه بأستاذه محمد عبده. وله فى الفلسفة الإسلامية رأى خالف به المســتشرقين الذين قالوا إن فلاسفة المسلمين نقلة ومترجــمون عن فلاسفة اليونان، فــقد دلل على أن المسلمين كانت لهم فلسفة اسلامية خالصــة نبعت من دينهم ونشأت حول عقائدهم، من قبل أن يعرفــوا الفلسفــة الاسلاميــة. وقد استــخلص هذا الرأى من دراستــه للإمام الشافعى.

(الموسوعة العربية الميسرة)

(٢٠٦) ميشيل لطف الله من الأعضاء الذين ضمهم سعد زغلول إلى الوفد المصرى بعد تأليفه، ثم انقطعت أخباره عنه بعد ذلك.

والدته يعزيهـا بالنيابة عنى. ويقع فى وهمى أن عـبارة النعى التى كتبت وصيغته من فتح الله بركات.

[ص ١٨٢٧]

وقد أخـبرنى سعـيد أنه قرأ فى بعـض الجرائد من نيف وشهـر أن المتوفى أصيب بعـيار نارى، ولم يرد أن يخـبرنى إتقاء إزعاجى، ولعل هذه الوفاة نتـيجة تلك الإصابة. وأول تلغراف ورد بالتعزية من سرهنك باشا، ثم محمد يوسف.

ترطب الجو فى هذه الأيام، وتبرد الهواء حتى لا أستطيع البقاء معرضاً له فى المساء، ولا والنوافذ مفتحة.

تم تفتح القطن، وكاد يبلغ غـايته. ولذلك عزمت بعناية الله على البدء فى الجَنْية الثانية يوم الإثنين القادم. وفى ظنى أن محصول الفدان فى الجنْيـة المذكورة لا يتجاوز فى النوعين قنطارين وربع، وقد لا يبلغ هذا الحد. والله فوق كل خير.

عزمنا أن نرحل من هنا يوم ٨ أكـطوبر بعناية الله، وإما أن نذهب نحن الإثنـين إلى إسكندرية، أو أنا وحـدى وهى إلى مصر.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٢٨٠٦

فى ٢١ منه

أمس زارنى كل من عبدالله شريف وأبو العمائم، ومع الأول إثنان من أهله، ثم عمدة مسجد وصيف وابن أخيه والشيخ المغربى. ولم أعلم منهم شيئا جديداً.

واستلمت تلغراف تعزية من طلعت باشا النائب العمومى، وعباس الدرمللى بيك. وجواب تعزية من راغب بيك عطية، وتلغراف من مشيل لطف الله، وجواب من محمود باشا مدنى وتلغراف من عبدالرحمن نصير.

وقد اعترانى تلبك معوى بعد الغدا فلم أتعشى[٢٠٧]. وتعبت فى المساء نوعاً.

فى ٢٢ منه

كان النوم متقطعا، وأصبحت بحمد الله أحسن، ولكن اللسان متغير نوعاً، فتناولت ملح كرلسباد ومعه ماء فيشى، واحتميت. وفى العزم أن تكون الحمية محكمة.

وأصبحت درجة الحرارة أقل من تسعة عشر[٢٠٨].

وأعجب من قوم يتحلون علينا بالكلام، ونعتمد عليهم فى الهام! اللهم إن هذه غفلة من أخلاق الأنام!

---

(٢٠٧) هكذا فى الأصل، وصحتها: «لم أتعش».

(٢٠٨) هكذا تقرأ، وصحتها تسعة وثلاثون.

[ص ١٨٢٨]

٢٣ سبتمبر سنة ٩١٨

ابتـدأنا فى الجنيه الثـانية، وكـان الجناة مائة و١١ نـفراً، وأجرة النفر ٢٠ مليم ٢قرشا.

والنتيجة كالآتى:

قطن فتحى[٢٠٩]

رطل	قنطار	ثمرة١	ثمرة٢	ثمرة ٣ الجملة		مقدار الجنى	يخص الفدان	تاريخـــه
				ط	قنطار			
٨٩	٥							
				٩	٨	ملو[٢١٠] ٣	ملو ٢٥٥	٢٣ سبتمبرسنة٩١٨
				٩٠	١٢			٢٤
				٨٤	١٩		٥٩ ٢	٢٥
				٦٦	١١		٥٩ ٢	٢٦
				٩٩	٧		٢٨ ٢	٢٧
				٦٠	٦		٢	٢٨
				١٥	٨			٢٩
				٩٣	٨	٣,٥ س	٤٦ ١٢	٣٠
				٥١	١٤	٦	٤٢ ٢	اول اكطوبر

(٢٠٩) قد تكون: «غنمى».

(٢١٠) هكذا تقرأ.

(ص ١٨٢٩)

يوم ٢٤ سبتمبر سنة ٩١٨

لم يحدث ما يهم إثباته.

يوم ٢٥ منه لغاية ٢٩ منه

لم يحدث ما يستحق الذكر سوى أنى احتميت من يوم الإثنين ٢٣ الجارى حمية شديدة، وفى اليوم الرابع كانت نتيجة التحليل عظيمة جداً، ولا تزال كذلك لغاية الآن. وأشعر باختفاء كثير من الأعراض الخاصة بمرض السكر، ولا أتعاطى من الأدوية إلا مغلى الشيح[٢١١] ثم شربة بالماء البارد استدراراً للبول الذى أخذ يدر ويتدفق بعد أن كان يتقطع عند نزوله. ويظهر لى أن الفضل فى ذلك يرجع إلى الحمية، وقلة الهموم، والمكث فى الهواء (. . .)[٢١٢] فإذا استمر توفر هذه الشروط، وانضاف إليها الاعتدال فى الأكل، قلّت شكواى من المرض المذكور، وقلّت مفاجآته.

عاد اليوم سعيد[٢١٣] إلى مصر، بعد أن أقام هنا من اليوم التالى للعيد. وهو شاب فيه تواضع، متوسط النباهة،

---

(٢١١) قراءة اجتهادية.

(٢١٢) كلمة غير مقروءة.

(٢١٣) سعيد زغلول ابن شقيقة سعد المتوفاة، وأخو رتيبة والدة مصطفى وعلى أمين، وقد ولد فى ١٠/ ٤/ ١٨٩٠ وتوفى عام ١٩٢٣،ودرس الحقوق واشتغل بالنيابة وعمل تشريفاتى فى سراى حسين كامل عندما تولى العرش، وقد قام سعد زغلول بإملاء بعض مذكراته على سعيد عندما كان سعد زغلول فى إكس لى بان فى منفاه (عبدالخالق لاشين: سعد زغلول ٣٤٧).

٢٨٠٩

لايحسن الإصغاء لمحدثه، ولا يجيب مباشرة على سؤال سائله، وتحمله عزة النفس على ستر أخطائه بخطأ أعظم، والدفاع عن نفسه بذنب أكبر، ولايهتم بشئ سوى ما يختص به، ولا ينتوى من نفسه عملاً نافعاً، ويباشر[٢١٤] ما يعرفه فى كثير من الأحيان على أسلوب (. . .)[٢١٥] ويظهر لشقيقته رتيبة حبا جماً. وهى تستحق أن يحبها كل من يعرف صفاتها النادرة.

وعندى أنها تفضل أخاها فى كثير من الصفات: فى الرزانة والنباهة، ودقة الإلتفات، ولطف الملاحظة. وهى تربى إبنها تربية حسنة من جهة استقامته، والأدب، والصحة. وتحسن معاشرة زوجها غاية الإحسان. ولا عيب فى هذه التربية إلا أنها أعلى من حالة أبيهما، وتتطلب نفقات ربما لا يتسع لها حاله، وتعودهما على عادات من الترف والنعيم ربما يصعب عليهما فى المستقبل الأخذ[٢١٦] بما يوفر لهما أسبابها. ومع ذلك فالمستقبل بيد الله.

[ص ١٨٣٠]

دعا[٢١٧] محمود باشا صدقى موسيو أنطونى مدير مصلحة الدومين للمبيت عنده فى العزبة، ودعانى لأتناول العشاء

(٢١٤) كلمة غير مقروءة.

(٢١٥) كلمة مطموسة.

(٢١٦) قراءة تقريبية.

(٢١٧) فى الأصل: «دعى».

عنده معـه. ولكنى مرضت بعينى فـلم أتمكن من إجابة هذه الدعوة.

ومن لطائف الباشا المشار إليـه أنى عرضت عليه أن أدعو هذا المدير للـغـدا عندى، فـقـال: أخـشـى أن ذلك يجـرح إحساسه! فقلت ضاحكاً: أيجرح إحساسه أن أكرمه؟ إنى إذا فعلت ذلك فـإنما يكون إكراماً لضـيفك ولشخص أعـرفه من زمن طويل. وليست عزومة مثلى لمثله مما يمس بكرامته، ومع ذلك فالأحـسن ترك هذا للظروف. وتوقفت والحـرج يمنعنى من إجابة الدعوة. وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم.

يأدب رشدى باشـا يوم ٩ أكطوبر مأدبة فى كـازينو سان سـتـيفـانو تكريمـاً لجلوس عظمـة السلطان، وأنا من ضـمن المدعوين، وقد أجبت بالقبول.

يظهر هذا البـاشا من يوم العيد شيـئاً من الإنعطاف لى، فـقد هنأنى على العـيـد بتلغراف، وعـزانى وهو ذاهب إلى فلسطين فى موت حسن أبو النضَر، ولم يفعل ذلك كثير من أصدقائى وأصحابى!

يوم ٣٠ سبتمبر سنة ٩١٨

حضر ابن حسن أبو النضَر، ومـعه قريب له، يشكو من المأمور ووكيل المديرية لأنهما يسـاعدان خصوم أبيه. وقد بدأ بتعيين نائب عن العمدة من خـصومه. وأن عائلة الفار الغنية

تنفق بدر الأموال لإبعاد العمدية عن بيتهم، وأن أهل الناحية يرغبونه، وأن فتح الله بركات كتب يرجو وكيل المديرية ولكن خاب رجاؤه ـ وما سألته عن فتح الله ولا عن شئ يختص به ـ فوعدت بالسعى على قدر الإمكان، ونبهت عليهما بكتمان حضورهما لى، وتوسيطى.

يوم أول أكطوبر

كتبت خطابا للمدير أرجوه أن يشمل بعنايته ذلك الشخص وعائلته، وبسطتُ له فيه الأمر بسطاً وافياً ـ مع العلم بأن قبول رجائى سينفع فتح الله ويوسع نفوذه! ولكن واجباً قضيته نحو من يولى إلى بقرابة، ولا أريد الالتفات إلى نتائجه.

[ص ١٨٣١]

مرضت رتيبة من يومين، حيث أصابها برد وتمكن من اللوزتين، ولاتزال ملازمة الفراش. وقد تعدى منها إلى الست فمرضت أيضاً!

٢ منه

لا تزال رتيبة والست مريضتين، واتصل بهما مصطفى الصغير. والهواء فى هذه الأيام يختلف بين الحرارة والبرودة.

من يومين حضر شريك مفتاح تاجر الأقطان بفوة ودسوق، وأعجبه القطن ونظافته، وأخذ منه عينات مجاناً،

٢٨١٢.
ووعد بالمخابرة فى الشراء بعد تصفية الجنْية.

ثم حضر بعده مندوب تاجر يدعى ابراهيم خير الدين من زفتى، وأخـذ عينه مجـاناً أيضاً، ووعد بأن يخـبرنا بنتيـجة التصفية، وانصرف.

وعلمت من الأول أنه اشـترى من مـحمود باشـا قطن الجنْية الأولى والـثانية بسـعر ألف قـرش القنطار. وأيد ذلك ناظره وكاتبه.

وحـضر تاجـر من دمنهـور يدعى الشـيخ سـيد حـسن يونس، وعاين المخـازن، وفصل القنطار أخـيراً بعشـرة جنيه أفرنكى، بما فـيه الجنية الثـانية، ماعدا المفـروزات الأخرى ـ يعنى درجة أولى فقط من الجنيتين. فلم أقبل؛

يوم ٣ منـــه[٢١٨]

وردنى اليـوم خـطاب من الذى أخـذ العـينات ووعـد بتعريفـى بنتيجة التصـفية ـ يفيـد أن الغنمى جنْية أولى المائة مـائة، والثـانيـة المائة ٩٨، ومن الـسيـكلاريدس المائة مـائة وواحد. ويقـول بإشعـاره عند الشروع فى البـيع أو الحليج. وكذلك يقول إن التصفية تزيد عند الحليج العام.

---

(٢١٨) فى الأصل: «٣».

ولكن أرسلت معلم(. . .)[٢١٩] فكانت النتيجة المائة مائة واثنين ونصف فى أول جنيـة من الغنمى، والمائة مـائة واحد ونصف فى السـيكالاريدس، وأما الجنْية الثانيـة فى النوعين فإنها ٩٨ ونصف.

وحضر مندوب من قبل الخواجة هنزيو[٢٢٠] وفصل الجنْية الأولى والثـانية بألف قـرش وخمس قـروش، وارتبط بذلك لغاية ٤ أيام، وارتبطـت معه بألف وعـشرين للمدة عـينها، وأبى قبول الرتب الباقية.

٦ اكطوبر

وحضر أمس صـدقى باشا[٢٢١] وتعـشى عندنا، وأطلعنى على الثروة التى باع القطن بها. وأخبرنى بأن أخبر إسماعيل سرى بأن إسـماعـيل صدقى نقل إلى بأن سـرى عارض فى تعـيينـى وزيراً. فقـال سـرى: لم يحـصل، والمنع ورد من لوندرة. ورغم شدة سعـد فإنى أحترمه. وقـال إنه لم يخبره بعبـارة ونجت. وتبادلنا كثـيراً من العـبارات الودادية، ولكنه يضمر السوء دائماً.

(٢١٩) كلمة غير مقروءة.

(٢٢٠) هكذا تقرأ.

(٢٢١) يقصد محمود صدقى باشا عديله.

٢٨١٤

[ص ١٨٣٢].

تماثلت الست إلى الشفاء، وتنزل اليوم إلى الدور الأول، وعدلت عن ا لتوجه إلى إسكندرية. وستعود رتيبية غدا، وأرسل زوجها يعتذر عن عدم إمكان حضوره، ويرجو أن يصحبها محمد[٢٢٢] لحد المنصورة، ومثل[٢٢٣] ذلك غير مناسب. وتأثرت منه رتيبة.

بلغ ماتحصل لغاية الآن ثلاثمائة وثلاثة وتسعين قنطار، ولم يبق إلا فرزه، وربما لا يتجاوز مايتحصل منها ثلاثة[٢٢٤] قناطير. فإن تم ذلك كان محصول الفدان سكلاريدس مع غنمى ستة قناطير بالتمام، وإلا فيكون ستة قناطير إلا أربعة أرطال ونصف رطل.

أمس أمطرت السماء في بعض المواضع مطرا غزيرا بلل الأقطان، ولكنه كان آخر الجنى فلم يحدث منه ضرر. وقد سبقه ريح عاصفة، وزوبعة هائلة أعقبها سكون تام. ثم هبت ريح حارة، وكان الجو مكفهرا، والرطوبة تملأ الهواء. ولايزال رطبا بحيث لايمكن المكث فى مكان مقفل.

زار المخازن اليوم بعض تجار المنصورة، وأعجبهم القطن، ووعدوا بأن يعطونى ثمناً باكر، بعد أن يخابروا عميلهم بالاسكندرية.

(٢٢٢) يقصد : محمد أحمد

(٢٢٣) قراءة اجتهادية

(٢٢٤) فى الأصل : ثلاث

٢٨١٥

قد منحت الست رتيبة بثلاثين جنيه، وسيصحبها محمد[٢٢٥] غداً، ويقطع التذاكر لها لغاية دمياط.

ورد على اليوم من زراعة دمنهور ما يفيد أنه بلغت أجرة النفر فى جنى القطن عشرة قروش، ويطلبون ترحيله من هنا. وجارى اللازم.

فى ٧ أكطوبر

عادت رتيبة صباح اليوم مع نجلها، ورافقهم محمد أحمد إلى المنصورة.

اليوم ينتهى ميعاد مندوب (. . .)[٢٢٦] وقد حضر أمس مندوب ساسون، ووعد بأن يعطى اليوم خبراً لغاية الظهر.

وورد من إبراهيم خير الدين خطاب يفيد أنه حاضر الساعة واحدة، لعرض رغبة المحل المذكور الذى كان تكلم معه فى شأن القطن، وزار المخازن أمس.

---

(٢٢٥) يقصد: محمد أحمد

(٢٢٦) اسم غير مقروء.

٢٨١٦

[ص ١٨٣٣]

فى ٨ أكطوبر سنة ٩١٨

بعت أمس إلى محل (. . .)[٢٢٧] بزفتى القطن الفتحى والسيكالاريدس نمرة ١، باعتبار سعر القنطار ألف قرش وخمسة قروش. وقبضت من الثمن - بصفة عربون - مائتين جنيه نقداً، وتحويل على البنك المذكور بإسكندرية بمبلغ ثمانمائة جنيه. والاستلام فى مسافة ٨ أيام من تاريخه.

وستعود العائلة اليوم بقطار الصباح إلى مصر، وأذهب إلى إسكندرية لحضور تشريفات السنة الجديدة وعيد تولية السلطان. والله يحمينى من الغواية، ويرشدنى إلى الهداية، ويباعد بينى وبين ذوى الفساد[٢٢٨].

فى ١٤ منه

حضرت أمس ومعى لطفى بيك السيد ومحمد باشا محمود، وتخلف عبدالعزيز فهمى.

وحصل وزن القطن، وقبض الثمن: بعضه نقدية، وبعضه تحويل على بنك(. . .)[٢٢٩] باسكندرية، وسنعود

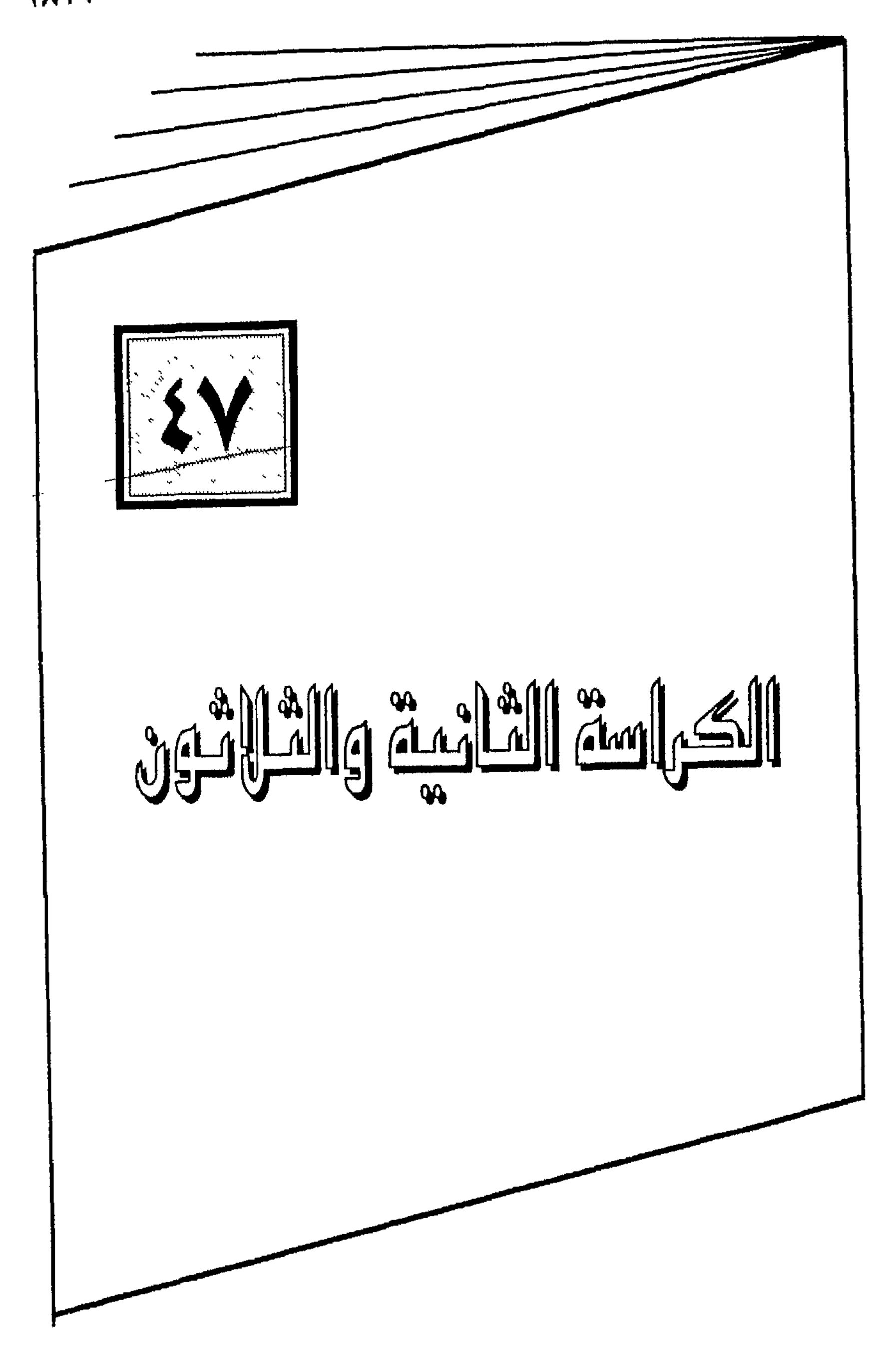
(٢٢٧) اسم غير مقروء.
(٢٢٨) يقصد لاعبى القمار.
(٢٢٩) أسم غير مقروء.

اليوم.

وقد تكلمت فى مصر ومستقبلها، وماذا على أبنائها أن يعملوا لهـا عند انبثـاق فجر النصـر وانعقاد مـؤتمر السلام. وخطرت بالبال عدة أفكار، لكن كلها موقوفة على ثقة الناس بعضـهم ببعض، ولا يوجد من هذه الثقـة فى نفوسنا شئ. ومادام الأمـر كذلك فالأولى الإنزواء، والتـباعد عن مـهاب الأهواء.[٢٣٠]

(٢٣٠) نلاحظ أن هذا الكلام قـد كـتـبه سـعـد زغلول بعـد يومين من لقـائه فى الاسكندرية بالأمير عـمر طوسون فى الوليمة التى أقامـها رشدى باشا يوم ٩ أكتـوبر ١٩١٨، وقد طرح فيهـا الأمير علّى سعـد زغلول فكرة «أن تقوم من المصريين طائفة للمطالبة بحقوقها فى مؤتمر الصلح» - وهى أساس فكرة تأليف الوفد (أنظر كـراسة ٣٢ ص ١٨٤٠) ومن الواضح أن سعـد زغلول كان يرى أن هذه الفكرة «موقوفـة على ثقة الناس بعضهم ببعض»، فـإذا لم تتوافر هذه الثقة لم يتحقق شئ، وعندئذ «فالأولى الانزواء والتباعد عن مهاب الأهواء». وهذا يفسر إقباله على تأليف الوفد عندما تبين وجود هذه الثقة.




٤٧
الكراسة الثانية والثلاثون



الكراسة الثانية والثلاثون

من ص ١٨٣٥ ـ ص ١٨٥٩

من يوم ٢٥ مايو ١٩١٨

إلى يوم ١٥ نوفمبر ١٩١٨

محتويات الكراسة ٣٢

٢٨٢٢

- عمر طوسون يخاطب سعد زغلول فى عقد اجتماع للمذاكرة فى حالة مصر.
- السلطان فؤاد يعترض على اشتراك عمر طوسون فى الاجتماع .
- سعد زغلول يرفض أن تكون الحركة تحت رئاسة الأمير عمر طوسون.
- سعد ورفاقه يقررون تأليف وفد منهم يحصل على توكيلات من الشعب فى المطالبة بالاستقلال التام.
- إقبال الناس على التوقيع على التوكيلات.
- محاربة رجال الحزب الوطنى للوفد.
- الأمير عمر طوسون يعمل على تأليف وفد من رجال الحزب الوطنى.
- محاولات سعد زغلول إزالة الخلافات مع الأمير عمر طوسون ووفده.
- ضم مصطفى النحاس وحافظ عفيفى الى الوفد.
- زيارة مصطفى الشوربجى ومحمد زكى على لسعد زغلول فى بيته.
- ظهور اسم «بيت الأمة».
- مستشار الداخلية «هينز» يهدد الأعيان لمنعهم من الاشتراك فى الحركة.
- ظهور اسم عبدالرحمن فهمى فى مذكرات سعد زغلول.

[ص ١٨٣٥]

فى ٢٥ مايو ١٩١٨

غشيت[٢٣١] أمس مكان اللعب فى النادى ولم ألعب، ولم أجد فى نفسى إلا قليلاً من الميل إليه، فتغلبت عليه، وانصرفت حامداً لله شاكراً!

قد تم أمس كتب كتاب بهى الدين علَى بنت عفيفى باشا، وما حضر عبدالله زغلول ولا حتاتة بيك! كما أنه لم يحضر أحد من ذوى الحيثيات، واقتصر الأمر على أهل الطرفين. وقال بهى الدين لأقاربه من أولاد حتاتة بيك إنه لم يكن يعلم أن لى نفوذاً على العائلة يمكن أن يمنع أفرادها من الاشتراك فى كتب كتابه!

إن حادثة تلاؤم[٢٣٢] هذه العائلة أهمتنى أول أمرها، وشغلت من فكرى مكاناً عظيماً، لأنى لم أفعل شيئاً فيها سوى كونى ربيت أفرادها صغاراً، وساعدتهم كباراً، وأشركتهم فى الكثير من نشاطى[٢٣٣]، وكثيراً ما انتفعوا باسمى وجاهى، وماكلفتهم على ذلك أجراً.

ولكن النعم يغَص[٢٣٤] بها اللئام بعد ازدرادها، ويسهل

(٢٣١) غشي مكاناً أى أتاه.

(٢٣٢) من اللؤم

(٢٣٣) قراءة تقريبية.

(٢٣٤) غص بالطعام والماء = اعترض فى حلقه.

عليهم اهتضامها بعد مضغها! ولا شئ أثقل على قلب اللئيم من رؤية من أحسن إليه! ولا آلم لنفسه من تصوره! وليس أشوق منه لانتهاز الفرصة التى تساعده على الهرب منه، أو إنكار معروفه، وجحود فضله.

ولقد عقدت النية على أن لا أقيم لهم وزناً، وأن أعتبرهم أجانب بالمرة عنى، وأنسى كل شئ يتعلق بهم، تاركاً الأمر لله فيهم!

وأخبر أمين يوسف أنه استدعى إليه صباح يوم أمس بهى الدين، ونصحه أن يسترضانى، فأبى، فأسمعه كلاماً مراً. ويؤكد كامل حسين ونجيب حتاته أن بهى الدين كان يطعن فى عرض الفتاة التى تزوجها طعناً مشيناً!

فى ٢٦ منه

سافرت الحرم صباح اليوم إلى مسجد وصيف، وسأدركها على القطار الثانى. ولم أنم أمس، وكل فكرى كان فى لؤم تلك العائلة، ولومى على الإشتغال بها، [ص ١٨٣٦] وانتهيت ـ كما ابتدأت ـ أن أعتبرها كمية مهملة، إذ لايضرنى من ضل منها، وما كنت معتمداً فى حياتى عليهم، فإن كفروا بى وبالنعم لأنهم شبوا فيها، وتنكرونى اليوم، فلا يضرون إلا أنفسهم وما يشعرون، وليس علىّ هداهم، والله عليم بالظالمين.

ولابد أن يعلم الناس انفصالهم عنى، فلا أتحمل تبعة سيئاتهم، ولا تلحقنى أوزارهم، ويعلم من يعلم أنهم لؤماء فلا يغترون بهم، ولا يثقون بولائهم.

فى ٤ يونيو

بعد أن سافرت فى يوم ٢٦ مايو - كما قلت سابقاً - عدت أمس بعد أن زرت زراعة دمنهور، ورأيت الأحوال فيها مختلة معتلة، ورفت ناظرها، ورأيت الدودة أخذت تتفشى فيها.

وتعشيت مع صدقى وسعيد فى النادى، وسهرنا فى البيت لغاية الساعة ١، وما نمت إلا قليلاً. ورأيت أحمد مريضاً، وعزمت على العودة إلى مسجد وصيف غداً.

فى ١٥ يوليو

عدت فى الغدا إلى مسجد وصيف، وما مر بى من الحوادث الهامة قد أثبته فى كراس آخر بالعزبة. وسافرت منها أمس إلى دمنهور، فوجدت أحوال الزراعة والدراس على ما يرام. ولكنى رأيت من جميل عارف تلاعباً، فإنه لم يقيد ثمن اللبن الذى ورد إليه، بل أهمله! وكان قد قبض بعضه والبعض دين على أربابه، فلم يقيد فى اليومية ما ورد، ولا أثبت الدين فى العُهد. وطلبت منه كشفاً بإيراد

الزراعة عن المدة السابقة واللاحقة لتاريخ بيع هذا (. .)[٢٣٥] فلم يشتمل على ثمنه[٢٣٦] وبعد أن أكد أن ثمن الفدان كان عشرين قرشاً وأنه لم يبع منه بثمانين، عاد - بعد أن أكد غيره أن بعض الأفدنة بيع بثلاثين - فاعترف. وتبين أنه تداخل فى بيع الفول والشعير، حيث زاد على كل كيلو ربع رطل! وقد اختلّت ثقتى به بعد أن حققت حاله، وعزمت على [ص ١٨٣٧] رفته.

والتخزين مشبوه، ولكن لم أقف على دليل يؤيد الشبهة فيه. ويظهر لى — والله أعلم — أنه أظهر أن الشحنة[٢٣٧] التى كانت معتبرة ربع رطل نصف الرطل، لاختلاف بيع التاجر، أو يعمل[٢٣٨] فى اقتسام القيمة.

ولابد من مراقبته، حتى تتأيد الشبهه ضده أو تنتفى عنه.

لم أجد بمصر أحداً من أصدقائى، ووجدت صديقى باشا وابراهيم باشا سعيد قد سافرا. ورأيت الحكيم رامز[٢٣٩] وحكيم الأسنان، ووعدته بأن أحضر يوم الخميس القادم.

---

(٢٣٥) كلمة غير مقروءة.

(٢٣٦) قراءة اجتهادية

(٢٣٧) قراءة تقريبية.

(٢٣٨) قراءة اجتهادية

(٢٣٩) هكذا تقرأ.

٢١٢٧

وكان محمد نسى المحفظة فى القطر، فأحملته أمرها لأن فيها بعض كتب تتعلق بتعليم اللغة الألمانية وفوائدها، فوجدها، ولكنى قضيت ساعة مرة عقب شعورى بنسيانها!

وكان معى عبدالله باشا وهبى، وكان أغلب الحديث فى حشمت وحوادثه.

وقد عزمت على العودة إلى مسجد وصيف اليوم، وما أريد إلا أن أعود بعد بضعة أيام - أى الخميس القادم - لمسئلة الأسنان.

فى ١٩ يوليو

قدمت أمس من مسجد وصيف لأجل تصليح الأسنان، وكان الحر شديداً جداً. وما رأيت أحداً غير حكيم الأسنان وسعيد وصدقى باشا. وحضر حمد باشا الباسل ومعه عربى (. . .)[٢٤٠] شاب فى الخامسة والثلاثين من عمره، وتظهر عليه علامات النجابة. وسهرت مع صدقى وسعيد.

ولست مسروراً من حالتى الصحية، لأنى أشعر دائماً بتكسر فى العظام، وثقل فى حركات الأعضاء، وتنمل فى الأعضاء - خصوصاً أعضاء اليدين - وتعسر فى البول، وخدر فى الأطراف. فإن كان ذلك إرهاصاً بقرب من النهاية،

---

(٢٤٠) كلمة غير مقروءة

فاللهــم لاتسلط عليّ مرضــاً، وأمتني بغــتة، لأن ألـم المرض شديد قاس، فإذا انتهى بالموت، فالأولى أن يبتدئ به، راحة للنفس.

كان العربجــي أوسطى سيد هاشم أخبرني مــن منذ شهر تقريباً شراء تبن الخيل ،[ص ١٨٣٨] فأذنته بشراء جانب منه حتى يرسل من المزرعة مايلزم. ثم أخبرني بعد ذلك بأنه اشترى منه حِمْلا بمبلغ ١٢٥، فاستكثــرت القيمة، ووجدتها فوق التســعيرة بكثير. فقــال: إن هذا حال عام، وكل الذين يشترون يــشترون[٢٤١] بهذا الثمن، ومــا اشتريت إلا لما رأيت الجيران قد اشتروا به، ومنهم عبدالرحمن بيك جاد الله. وإن البائع قــال له إن التبن الذى له سعر التعــريفة[٢٤٢] هــو التــبن الخشن، وهذا لايصلح لأكل المواشي، وأما الناعم فلا يسمح فيه بأقل من هــذه القيمة. ورفض أن يعطيه فــاتورة بالثمن، بل قــال له إنه إذا ســئل عن البــيع أنكره! فلمــا رأى ذلك، ورأى الناس يشترون بمثل هذا السعر ـ خــصوصاً عبدالرحمن جاد الله ـ إضطر للشراء!

قال لي ذلك بــلهجة صــريحة لا تردد فــيهــا، فوقع في نفسي صدقه، وقلت له: أتعرف ذلك الرجل ومن هو؟ قال:

---

(٢٤١) كلمة «يشترون» الثانية أضفناها لسلامة العبارة.

(٢٤٢) قراءة تقريبية.

٢٨٢٩

أسأل عن اسمه! فقلت له: إبحث! ونويت أن أبلغ البوليس بشأنه.

ثم ذهبت إلى محطة مصر، فتلاقيت فيها بعبدالرحمن جاد الله، ولما سألته عن التبن وشرائه، اندهش الرجل اندهاشاً عظيماً، وقال: إنه لم يشتر شيئاً أصلاً، لا بنفسه ولا بواسطة أحد من أتباعه! وكرر ذلك عدة مرات!

فاستغربت من تلفيق ذلك العربجى. ولما عدت أمس، سألته فى هذا الشأن، فقال: إن الحقيقة إنه أخطأ فى ذكر جادالله، وإنه مصطفى رضا بيك! قلت من هو ذلك البيك؟ قال : من سكان المنيل. ثم قال: إن الحقيقة أنه لم يشتر هو بنفسه، ولكنه أرسل السايس فاشترى!

فلما وصلت المنزل لم أجد السايس حاضراً، لأنه كان ذهب لإحضار الشعير من المركب. ولما حضر قال: إنه حقيقة هو الذى اشترى التبن من رجل فى الناحية لا يعرف اسمه، دله عليه سائس آخر كان عند خيرى باشا وتوجه متطوعاً فى السلطة[٢٤٣]، ولم يكن أحد حاضراً، ولا يعرف مقدار وزن الحِمْل وكان الأوسطى كلفه بذلك، ودفع له الثمن. وأن البائع أكد له أن هذا هو الثمن الجارى، وأنه باع به إلى

(٢٤٣) أى للعمل فى السلطة الانجليزية.

٢٨٣٠
عبدالحميد بك أباظه ومصطفى بيك [ص ١٨٣٩] رضا.

وقد كنت هممت أن أكتب بلاغاً للبوليس عن هذه الحادثة، وأمليته إلى سعيد فعلاً، ولكن أخرته بناء على نصيحة صدقى باشا. ولكنى لازلت أستحسن إرساله، لأن هذه الحادثة كشفت لى أن العربجى المذكور غير أمين، وأنه قدير على التلفيق، فلا يتأتى الركون إليه. ويظهر لى كذلك أن السائس شقى ويخشى منه. وقد أمرت بطردهما.

فى ١٢ أوغسطس سنة ٩١٨

حضرت اليوم الساعة ١٠ صباحاً لأجل:

أن أودع فى البنك مبلغ ١١٥٠جنيها. وقد أودعته.

وحكيم الأسنان،وقد وجدته غائباً.

والكلام مع مدير البحيرة لأجل مسئلة التبن الذى أخذته السلطة.

وحضر معى طاهر بيك اللوزى. وحضر معنا فى القطار كثير من عمد الدقهلية وأعيانها، لأجل تشييع والد مديرهم الذى توفى. وكان الزحام فى قطار الدلتا شديداً جداً، ولو

(٢٤٤) كلمة غير مقروءة

لم يكن الميت والد مدير لاندفن كغيره بلا احتفال، أو باحتفال يليق بأمثاله (. . .)[٢٤٤].

فى ١٩ منه

قدمت أمس من مسجد وصيف بعد أن زرت زراعة دمنهور، ورأيت القطن نامياً، وأكثره نمواً الخمسة أفدنة الغربية، وعليها القطن الفتحى*، ويليه القطن السيكلاريدس، إلا ما كان متأخراً فإنه وسط. ولكن سوق[٢٤٥] الأقطان على اختلافها رفيعة، وليست متفرعة. ولكن اللوز كثير، والعاقبة للمتقين. والذرة نامية، والأشغال جارية من حسن إلى أحسن، وسامحت موقف الكاتب والمخزنجى، وشددت فى إنذارهما.

وعدت مع البرنس كمال الدين. وحرت فى أمر هذا الأمير، لأنى رأيته اليوم أحسن من المرة الأخيرة! والله أعلم بأحوال عباده!

[ص ١٨٤٠]

فى ١٢ أكطوبر

رحلنا من عزبة مسجد وصيف يوم الثلاثاء ٨ أوكطوبر سنة ٩١٨، فحضرت العائلة إلى مصر، وركبت إلى

---

* أو: الغنمى

(٢٤٥) سوق جمع ساق

إسكندرية للمعايدة، وحضور وليمة رشدى باشا التى أقامها احتفالاً بجلوس عظمة السلطان على أريكة مصر.

وقد زرت عقب وصولى إلى إسكندرية محمود باشا صدقى وسرهنك باشا وعائلتيهما.

ثم توجهت إلى نادى محمد على، واتفقت مع عبدالرحيم باشا صبرى على أن يصحبنى إلى رأس التين فى الغد بعربته، ولكنه لم يحضر فى الميعاد الذى اتفقنا عليه.

فأخذت الترام إلى إسكندرية [٢٤٦] ثم إلى الأنفوشى، ثم إلى رأس التين قبل السراى، ثم صعدت إلى هذا المكان ماشياً، والمحتفلون نازلون من التشريفات، وكل من رآنى منهم صاعداً ماشياً على الأقدام، يأخذه الاستغراب! حتى وصلت إلى السراى. ووجدت الجمعية[٢٤٧] قد تشرفت، فدخلت بأمر السلطان مع الوزراء السابقين.

---

(٢٤٦) اسكندرية هنا تعنى وسط المدينة، أى منطقتى محطة الرمل والمنشية. وركوب سعد زغلول الترام وهو وزير سابق يعد أمراً غير مفهوم فى أيامنا هذه، حيث المواصلات تعج بمن فيها من الركاب، ولكن فى ذلك الوقت لم يكن ركاب الترام يتجاوزون بضعة أفراد، ولم يكن ركوب الترام مهينا للراكب كما يحدث اليوم.

(٢٤٧) يقصد أعضاء الجمعية التشريعية.

٢١٣٣

وقد كنت فى أشد التعب، لأنى كنت سهرت فى النادى وخسـرت ٢٢٥جنيها، ولم أنم إلا الساعة ٤، ومع ذلك لم يكن النوم إلا عبارة عن اضطجاع وسروح.

وقد تغديت عند محمود صدقى غداء مؤلفاً من ألوان كثيرة. ثم تفرجت على منزل معروض للبيع قبالة منزل أنيس الجليس، فوجدته بسيطاً، وثمنه عالياً.

وفى المساء حضرت وليمة رشدى باشا، وجلست بجانب مستر هيتنج[٢٤٨] وفندت له نظام مجالس المديريات ونظام سائر الهيئات النيابية المصرية.

ثم قابلنى البرنس عمر، وقال: إنى أفكر فى أن يقوم من المصريين طائفة للمطالبة بحقوقها فى مؤتمر الصلح. فقلت: فكرة جميلة جالت فى بعض الرءوس من قبل، وقد آن الآن أوانها! فقال: تأمل فيها، وانظر من يساعد عليها. ثم انصرف كل منا عن صاحبه.

وزرت محمد سعيد فى اليوم التالى، فحادثنى فى هذه المسئلة. ثم توجهت معه عند محمود صدقى، ولعبنا (. . .)[٢٤٩] ثم البوكر، وخسرت ١٨ج. ثم نزلت مع

---

(٢٤٨) قراءة اجتهادية.

(٢٤٩) كلمة غير مقروءة.

زوير(٢٥٠) باشا إلى النادى، فاستعوضت تقريباً هذا المبلغ.

وسافرت فى الغد بعد الظهر إلى مصر، [ص ١٨٤٢] فتلاقيت مع عدلى، وتكلم معى فى تلك المسئلة، ورأينا الأوفق توسيط قنصل أميركا.

فاجتمع رشدى ولطفى السيد، واتفقوا على ذلك. وفاتح رشدى هذا القنصل، فلم يجد عنده استعداداً للمساعدة، وقال: ليس هناك إلا واحد من طريقين: إما أن تطلب الترك(٢٥١) استقلال مصر، بأن تقول إنها تركت إليها حقوقها، وإما الإلتجاء إلى الحكومة الإنجليزية!

وفى اليوم التالى، ذهبت مع محمد محمود إلى عزبة مسجد وصيف، وتبعنا لطفى بيك السيد، وتخلف عبدالعزيز بيك فهمى. وأقمنا يومين وليلتين، ثم عدنا، وقرأنا فى الجرائد أخبار الصلح، ولم نهتد إلى الآن إلى طريقه، والأولى بنا السكون، وصرف النظر عن هذه المسألة.

---

(٢٥١) فى الأصل: الترك.

(٢٥٠) هكذا تقرأ، وقد تكون زيور باشا وكتبها سعد خطأ.

[ص ١٨٤١]

فى يوم ١٥ أكطوبر

جـ		مليم	جنيه
٦٠٠	أودعت نقداً فى البنك الأهلى يوم تاريخه	٦٤٠	٣٤٨٤ دفع كله
٢٣٠٠	تحويل من (...)[٢٥٢] بزفتى إلى (...)[٢٥٣] باسكندرية		
١٨٤	استلم نقداً		
١٠٠	تسلم للبيت		
١١٠	فى ذمتى، أى فى جيبى.		
٣٢٩٤			
٢٠٧٠	موجوداً بالبنك الأهلى لغاية سبتمبر سنة٩١٨		
٥٣٦٤			
٠٠٩٧	تعويضات الجمعية ومعاش سبتمبر		
٥٤٦١	ترسل من ذلك:		

مليم	جـ	
	٩٠	قسط مال مسجد وصيف
	٤٠	مصروفات دمنهور للزراعة

[ص ١٨٤٢]

بلغت النقود الواصلة إلى الست (..)[٢٥٤] لغاية يوم

(٢٥٢) اسم غير مقروء.

(٢٥٣) اسم غير مقروء.

(٢٥٤) عبارة عير مفهومة هى: «من البنك سنة ١٨١٧» أو «من الغلة سنة ١٨١٧»!

تاريخه ١٩ أكطوبر سنة ١٩١٨، ١١٢٢جنيها على حسب دفترها.

فى ٢٥ أكطوبر ١٩١٨

توجهت إلى[٢٥٥] اسكندرية يوم ٢٢ منه لحضور حفلة شاى عمومية دعانى إليها السير ونجت معتمد بريطانيا، وتقابلت مع عدلى ومدحت ورشدى ومحمد سعيد والبرنس عمر وغيرهم.

وسهرت ليلة ٢٣، ٢٤ منه فى النادى، وخسرت ٥٢٦ جنيها منه: ٢٥٨جنيها فى الليلة الأولى، و٢٦٨ فى الثانية! ولعنت السفر ونتيجته ولمت نفسى لوماً عنيفاً[٢٥٦].

وشممت من عدلى رائحة أن المشروع الذى عرضه علينا رشدى لم يكن من بنات أفكار الاثنين، وأنه لابد أن يكون مشتملا على سر ستكشفه الأيام.

ويقول عبدالعزيز بيك إن أحمد بيك عبداللطيف أكد له

(٢٥٥) أضيفت. «إلى»

(٢٥٦) هذا الكلام يدل على أن سعد زغلول كان يلعب القمار حتى بداية تأليف الوفد المصرى وانشغاله بالحركة الوطنية، وأن عمله فى تأليف الوفد وتزعمه للحركة الوطنية قد أفاده فى التخلص من عادة كانت تثقل على ضميره وعلي أمواله.

ولكن ذلك أيضا دليل على أن الفراغ كان هو الدافع الأول لسعد زغلول على لعب القمار، فلما انتهى هذا الفراغ بتأليف الوفد، وانشغل بقيادة الحركة الوطنية، انتهت صلته بهذه العادة التى كره نفسه بسببها فى كثير من الأحيان.

أن الحماية قدمت مشروعا بإعطاء مصر استقلالا داخليا تاماً، فى مقابلة رضائها بالحماية، ومن المصلحة جدا [ص ١٨٤٣] - كما أشار عبدالعزيز بيك - أن تعمم هذه القضية ويعتقدها الناس.

ولقد اجتمعت بالأمير عمر فى القطار من اسكندرية إلى مصر، وتكلمنا فى موضوعات شتى، وفهمت منه أنه يميل إلى كتابة عريضة بعد انعقاد مؤتمر الصلح بمطالب مصر، ولايعرض شيئا من النقود، ولايتعرض بشىء يمس السلطان.

وهو يشكو من السلطة(٢٥٧) ومصادرة أطيانه فى أبى قير.

وأفهمنى محمد سعيد أنه(٢٥٨) يريد أن يشتغل مثل أباظة(٢٥٩) فى موضوع تلك العريضة، وأنه(٢٦٠) نصحه بالعدول عن إشراك الرجل المذكور.

جاءنى أول أمس محمد علوبة باشا، وكان رجلا من رجال مصر المعدودين، اشتهر بطب العيون، والمساعدة فى كثير من الجمعيات الخيرية، والاشتغال بالجامعة وخدمتها.

---

(٢٥٧) أى من السلطة البريطانية.

(٢٥٨) أى: الأمير عمر طوسون.

(٢٥٩) أى أسماعيل أباظه باشا.

(٢٦٠) أى محمد سعيد.

وقد فاتحنى عبـد العزيز بيك في قبول وظيفـة بالجامعة، فأبديت شيئًا من التردد، واستمهلته إلى غد حتى أتفكر[٢٦١].

وفاتحـنى أيضا غـيره، مثل حـسن سعـيد باشـا، وعلي فهمي بيك، وموعدنا معهم اليوم الساعة ١١ صباحا بعد هذه الساعة.

وكـذلك فاتحنـى الهلباوى وغـيـره فى أن أكـون رئيسـا للجمعية الخيرية.

وكنت علمت أن السلطان رغب فى تعيين رشدى باشا، فـفـاتحت رشدى فى ذلك يـوم آن كان عندى، فـقـال: إن السلطان رأى أن يعينه، لا أنه هو رغب ذلك! فقلت: ولكن بعض الإخـوان عـرضـهـا عليّ! فـقـال: لابأس من ذلك، وسـيكون كل هدفي. وإنى رئيس لكثـير مـن الجمـعيـات، ولاأعمل فيها!

وكلما هممت أن أفاتح عدلى وثروت كنت.[٢٦٢]

في ٢٦ منه

إتفقت كلمـة أعضاء مجلـس إدارة الجامعة على تعـييني

---

(٢٦١) وقد تقرأ «أفتكر».

(٢٦٢) الكلام مقطوع فى الأصل.

وكيلاً ومراقبا لها. وانعقدت جلسة أمس وتم هذا التعيين. وأسافر اليوم لعرض الأمر على ولاة الأمور.

[ص ١٨٤٤]

في يوم ٤ نوفمبر

سافرت في ٢٦ الفائت إلى إسكندرية، ورأيت من رشدى وعدلى نوعا من الإرتياح إلى تعيينى فى الجامعة.

ولكنى لم أر مثل هذا الإرتياح عند عظمته، وقال لى: إنه كان فى نيته أن يهدم الجامعة لامتلائها بالخلل والعلل، ولكنه أجل ذلك لابتداء السنة الدراسية. فتلطفت معه فى القول كثيراً.

ثم أخبرنى بالميل لإعطاء الأمة مجلس نواب مؤلف ومنتخب من الأمة، ومجلس للشيوخ. فحبذت الفكرة وقلت: إن فكرته أمنية تصدر من ملكية جديرة بأن تُسطر على صفحات القلوب.

وفهمت منه أن عدلى يرى إلغاء الجامعة، لعدم لزومها مع إنشاء جامعة الحكومة. وأن رشدى أخبره بأنى أجلت الذهاب معه إلى سراى رأس التين للمحادثة فى شأن الهلال الأحمر.

وقد حكيت لرشدى وعدلى مفصل ماجرى، فاضطربا اضطراباً شديداً! ولاأعلم لماذا اضطربا!

وقد أبدى بعض أعضاء الجمعية الخيرية ميلا لانتخابى رئيساً، وشافهت رشدى، فكأنه تورط، وقال: فى محله، إنى أعطيك صوتى!

ولما تعينت فى الجامعة وجرى ذكر هذه المسألة، قال: أخشى أن يكون ذلك صعباً عليك مع الجامعة! فقلت: لاضير فى ذلك، ففى الإمكان القيام بالاثنين.

فى يوم ١٥ نوفمبر

فى يوم الإثنين الماضى منه، حضر الأمير عمر طوسون، وكان حاضراً إبراهيم باشا سعيد، ومحمد محمود باشا، وعلى باشا شعراوى، وعبد العزيز بيك فهمى. وأبدى رغبته فى عقد اجتماع للمذاكرة فى حالة مصر ومايجب أن يقدم لها من الخدمة الآن.

وفهمت من كلامه من بعد أن عظمة السلطان لايأبى هذا العمل. فوافقت.

وعلى ذلك كتبت أسماء كثيرين من الذين ينبغى دعوتهم، وكان هو يعارض فى البعض، ويملى البعض،

. ٢٨٤١

واشتدت معارضته فى الهلباوى، فأقنعناه بوجوب دعوته، فاقتنع بعد عناء.

[ص ١٨٤٥]

وبعد أن تم تحديد الأسماء التى يجب دعوتها، كتبت صيغة الدعوة، وأخذها الأمير لإرسالها. وحصل الإتفاق على أن يحدد يوم الانعقاد: إما يوم الثلاث القادم، أو يوم الأربع، وأن الأمير يشرف قبله بيومين، فيتناول العشاء مع الحاضرين عندى. وقال: إنه سيحضر معه أمين يحيى! فأكد ذلك الظن بأن عظمته مرتاح إلى هذا المشروع. ثم انصرف الأمير ليوزع أوراق الدعوة.

وكان خطر ببالنا أن نزور السير ونجت، ونُعلمه ـ ضمناً ـ بسفرنا، ونسأله عن نية دولته فى مصير مصر؟ فحدد لنا يوم الأربع ١٣ منه.

فذهبت مع على باشا شعراوى وعبد العزيز فهمى. وجرى لنا معه حديث طويل مبين فى ورقة أخرى مضمومة لأوراق الوفد.

ثم ذهبنا إلى رشدى باشا، وفهمنا منه أنه لامعارضة فى السفر. وأرانا خطاباً منه إلى السلطان بالإستئذان فى سفره مع عدلى باشا، وترتيب الوزارات فى غيبتهما.

وفهمنا منه أن (برونييت) نائب المستشار المالى سيسافر،

٢٨٤٢

وأن السفر سيكون ولو على بارجة حربية.

ورأيت من الواجب أن أعرض الأمر على السلطان، فتحددت لى جلسة فى منزله الساعة ٥,٠٠، فعرضت عليه مقابلة ونجت ورشدى، وحديث الاجتماع الذى دعا[٢٦٣] الأمير إليه. فقال غضباً: إن رشدى هو الذى أعلمنى بهذا الاجتماع، والأمير لم يخبرنى بشىء منه. قلت: إن كلامه دلنا على أن هذا المشروع لايصادف من عظمتكم على الأقل إلا الاستحسان. قال: لم يخبرنى بشىء منه.

ثم ذكرت له ترشيحى لرئاسة الجمعية الخيرية، فقال: إن حسن عبد الرازق كان يرشح له رشدى فى حضوره، فأكد[٢٦٤] هذا الترشيح، ولكنه علم بعد ذلك أن الأمر فى التعيين ليس له، وإنما لمجلس الإدارة، فترك له الأمر، ونسى أن يتكلم مع رشدى، وسيتكلم معه. وإنه لايعارض فى تعيين أحد إلا إذا كان منحط الأخلاق. وانصرفت على ذلك.

ولكن الحيرة تولتنى بعد ذلك من هذا الاجتماع[٢٦٥] وخشيت من أباظة وأتباعه أن يحضروا فيه ويتكلموا ضد الاستقلال، ويمتدحوا الحماية، ويدعوا لها.

(٢٦٣) فى الأصل: دعى.

(٢٦٤) قراءة اجتهادية.

(٢٦٥) أى اجتماع الأمير.

[ص ١٨٤٦]

وكـان حضـر فى هذه الأثناء شريعى باشـا، ورغب أن ينضم هو إلى الوفد، وأنه يدفع أكثر من أكبر كبير فيه[٢٦٦]. وكـذلك طلب ضـم أباظه! فـأجـبت طلبـه بالـنسـبـة إلى شخصه[٢٦٧].

ثم طلـب شـريعى[٢٦٨] أن يكون الوفـد تحت رئاسـة البرنس، فأريناه عدم مناسبة ذلك، لأن فيه إيحاء إلى أن هذه الحركة من السلطة، وهذا يحرج مركزى بالنسبة للحماية، ثم إنه يولد صـداً، وربما فكروا أن هذه الحركـة آتية من العـائلة المالكة لامن الشعب نفسه، ويتشـوه وجهها، ولاتلاقى عطفا من أولياء الشأن.

ثم ذهب عبد العزيز بيك[٢٦٩] عند السلطان، لكى يحمل السلطان على إبعـاد أباظه عن الاجتمـاع، وإبعاد الأمـير من رئاسـة الوفد لامن رئاسـة الاجتـمـاع. فقـال السلطان: إنه

---

(٢٦٦) كان مفهوما أن هذه الحركة السياسية سوف تتطلب كثيراً من المال. وهذا المال يدفعه أعضاء الوفد الذين يشتركـون فيه: وفى مذكرات الأمير عمر طوسن فى هذا الشأن أن سعد زغلول كان يقدر مـبلغ مائة ألف جنيه، فيقول إنه فى أثناء الكلام قال سعد زغلول «عرضا ضـمن كلام آخر إن المشروع يلزم له مائة ألف جنيه، وإنه يشك فى أن المصـريين يدفعون مبلغـاً جسيماً مـثل هذا، وإن مثل شعراوى باشا يمكنه أن يدفع عـشرة آلاف جنيه، ولكنه يشك فى ذلك». وكان رأى الأمير ترك مسـألة النقود - أى التمويل - للاجتماع الذى اتفـقا على عقده فيما بعد.

(٢٦٧) أى رفض سعد زغلول ضمه إسماعيل أباظة.

(٢٦٨) أضفنا: «شريعى».

(٢٦٩) أى عبد العزيز فهمى.

لايحب أن يتـداخل فى الأمور الحـزبية، كـإدخال شـخص وإخراج آخـر، ولكنه لايسمح[٢٧٠] أن يكون عـلى رأس هذا الاجتماع أمير من العائلة السلطانية، لأن ذلك ماس به. و

انصرف عـبد العـزيز بعد أن أكـد له العهود بأنـنا نخدم السلطان ومقاصده.

وبعد ذلك استـدعى السلطان رشدى، وكلفـه أن يسعى لدى البرنس فى أن يعدل عـن رئاسة الاجتماع. فـتكلم معه يوم الخميس ١٤ منه من نادى محـمد على بالتلفون فى نحو الساعـة ١٠، ورجاه بالتُركية أن يحـضر لمصر غدا، فـاعتذر عن الحضور فى الغد، ولكنه وعد أن يحضر يوم السبت بعد غد.

ولذلك افـتكرنا أن نعـين وفـداً منا، وأن نحـصل على توكـيل من الـناس بإنابة هـذا الوفـد عنهم فـى المطالبـة بالإستقلال التام[٢٧١].

---

(٢٧٠) قراءة اجتهادية لأن الكلمة مطموسة.

(٢٧١) يلاحظ أن سعد زغلول يستخدم هنا عبارة «الاستقلال التام»، وهذا رد على ما أورده بعض الباحثين من أن الوفد لم يكـن يطالب بالاستقلال التام فى هذه الفتـرة وإنما بالاستقلال الذاتى الذى لايتـعارض مع الحماية. كـذلك فإن هذه العبـارة رد على ما أورده رونالد ونجت عن والده السـير ريجنالد ونجت من أن ماطلبه سـعد زغلول فى مقابلة ١٣ نوفـمبر ١٩١٨ لم يكن الإستـقلال التام، وإنما كان الاستـقلال الذاتى Complete Autonomy. (أنـظـر, Wingate, R Wingate of the Sudan P 229). وهو نفس ماأورده اللورد مـلنر فى تقريره. (تقرير اللجنة الخصـوصية المنتدبة لمصر، قـانون رقم ٨٠ لسنة ١٩٣٦ بالموافقة على معاهدة الصداقة والتحالف بين مصر وبريطانيا العظمى، ص ٢٤٥ العمود الأول. وقد كتب سعد زغلول هذه العبارة فى يوم ١٥ نوفمبر ١٩١٨.

٢٨٤٥

وفى يوم السبت ١٦ منه، أخبرنى أمين يحيى فى الساعة ٨ صباحاً بالتلفون بأن الأمير عمر حضر أمس، واقتنع بوجوب العدول عن رئاسة الاجتماع، واقتنع وسافر فعلاً.

ثم حضر عندى، وقص على خبر ذلك تفصيلا، وأفهمنى - ضمنا - بأن هذا[٢٧٢] سعى فى ذلك خدمة لعظمة السلطان. ثم سألنى عن مقدارها ماجمعنا من المال؟ [ص١٨٤٧] فقلت له: ١٥ إلى ٢٠ ألف. وسألنى عما قررناه بشأن صدقى باشا؟

وكان هذا قد[٢٧٣] حضر عندى من قبل ذلك، وعرض علىّ أنه مستعد لخدمة الوفد كما يريد، وأنه وضع نفسه تحت تصرفه، فوعدته بالنظر فى ذلك مع إخوانى. وسلمنى مذكرة كان حررها فى شأن مصر بالفرنساوية، فتقبلتها منه.

ولما تكلمت مع إخوانى فى شأنه، قالوا: نخشى أن نعرض اسمه معنا فلا يقابله العموم بالاستحسان، فالأحسن أن نضمه بمالنا من حق الضم والاختيار.

فقلت له ذلك[٢٧٤]، فرفع رأسه وهو قابض على شنبه

(٢٧٢) أى الأمير عمر طوسون.

(٢٧٣) فى الأصل وضع سعد زغلول الفقرة كلها بين قوسين على هذا النحو: (كان. . .) وقد أضفنا كلمة «هذا» لتوضيح المعنى.

(٢٧٤) أى قلت لأمين يحيى ذلك.

٢٨٤٦

وزام زومة لم أفهمها.

ثم حضر إسماعيل صدقى، وبعد قليل طلب هذه المذكرة، وكنت دفعتها إلى لطفى بيك السيد ليقرأها، فوعدته بردها إليه. وانصرف.

بعد ذلك بلغنا أن محمد سعيد شارع فى تأليف وفد، وأنه يشتغل فى ذلك مع إسماعيل صدقى وحسن صبرى وشريعى والقصبى[٢٧٥] ومدكور وسنوت حنا!

[ص ١٨٤٨]

أقبل[٢٧٦] الناس على التواكيل يمضونها، وأخذ وفودهم يرِدون[٢٧٧] علينا من كل الجهات.

ولكنهم أشاعوا إشاعات السوء عنَّا، فزعم بعض فتيان الحزب الوطنى - الذين يسؤون كل عمل لم يصدر منهم مهما كان فيه للخير لمصر والموافقة لمبادئهم، ويبثونه بين الناس -

(٢٧٥) السيد حسين القصبى.

(٢٧٦) فى الأصل: «وأقبل»، وهو مايعنى أن الفعل معطوف على غيره، وربما كتب سعد زغلول هذه الصفحة بعد أن قرأ ما سطر فى صفحة ١٨٤٦ من عبارة! «افتكرنا أن نعين وفداً منا، وأن نحصل على توكيل من الناس بانابة هذا الوفد عنهم فى المطالبة بالاستقلال التام».

(٢٧٧) فى الأصل: «يريدون».

أننا في هذا المشروع مساقون من قبل الحكومة!

ومع كون هذه التهمة واضحة البطلان، لأن الأمة قبل هذه النهضة كانت نائمة نوماً عميقاً، ولم يدر في خلدها أن تنهض هذه النهضة، فليس من المعقول أن الحكومة تزعجها من نومها، وتحملها على أن تطالبها بالاستقلال التام، الأمر الذى اعتبرته هي انقلابا سياسياً مخالفاً للنظام العام.

غير أن هذه الإشاعة، مع وضوح بطلانها، وجدت من بعض البسطاء وذوى الأغراض قبولا لها!

ثم ألقوا إلى الأمير عمر طوسون بأننا نحن الذين سعينا في إحباط الاجتماع الذى دعا[٢٧٨] إليه، وأذعنا عنه أنه لايريد دفع شيء من المال إلى الوفد، وأنه لايريد الإستقلال التام لبلاده، وأننا ضد العائلة المالكة، وأننا نحن الذين افتكرنا في هذا المشروع واقترحنا وضعه دونه!

سعوا بذلك لدى الأمير المذكور، فكدروا خاطره، وحركوا منه عاطفة الإنتقام، فسعى في تأليف وفد آخر بواسطة محمد باشا سعيد - محسوبه - والتف حوله أولئك الأشخاص السالّف ذكرهم، والبعض من فتيان الحزب الوطني.

---

(٢٧٨) في الأصل: دعى

وماكنا نعلم بهذه النمائم والدسائس، لولا أن إسماعيل باشا أباظه - وهو الرجل [ص ١٨٤٩] الذى كان ألد عدو لى - حضر من تلقاء نفسه، معتذراً عما فرط منه فى جانبى سابقاً، ملتمساً الصفح عنه، معلناً بأن الشعور الوطنى هو الذى حمله على ذلك، وبعثه أن ينضم إلى حركة يعتقد فيها حسن المبدأ وشرف الغاية.

وقال: إن هناك وفداً آخر يؤلفه ذلك الأمير الحانق علينا بسبب تلك النمائم وعددها، وإنه يرى من المناسب أن نتفاهم مع محمد باشا سعيد، حسماً للخلاف، وتحصيلا للاتحاد. ورأى أن يجتمع محمد سعيد باشا معى فى منزل محمد باشا محمود الساعة ٤,٣٠ مساءً.

فذهبت إليه فى الميعاد المذكور، ولم يحضر سعيد باشا، فانصرفت بعد أن أقمت فى إنتظاره نصف ساعة.

ولكن حضر - أثناء انصرافى - الشريعى باشا، وعبد الخالق باشا مدكور، وكامل باشا جلال، وحسن بك صبرى. ثم حضر إسماعيل باشا أباظة، واستاء جداً من عدم حضور محمد باشا سعيد.

وقال محمد باشا محمود للشريعى باشا ومن معه:

إن محمد باشا سعيد لايمكنه أن يسافر مع الوفد إلا إذا تخلى عن قيامته على سيف الدين[٢٧٩] واستحصل على

(٢٧٩) كان محمد سعيد باشا قيما على الأمير سيف الدين.

شهادة بخلو طرفه منها.

قال ذلك استياء منه لعدم حضوره فى منزله كسابقة الاتفاق مع أباظة باشا. فما كان من هؤلاء إلا أن أبلغوا ذلك لمحمد باشا سعيد.

ورأيت أن أذهب إلى الأمير عمر طوسون، وأزيل من نفسه أثر تلك النمائم. فذهبت إليه، ووجدت عنده محمد باشا سعيد، وإسماعيل باشا صدقى، وأمين باشا يحيى. وبينت له الحقيقة فى كل من تلك النمائم، [ص ١٨٥٠] بعد أن قلت له: إنى رجل حر، وأعتبر الكذب أكبر جريمة، فإذا أخطأت خطأ أرى الاعتراف به أوجب، وأطلب السماح عنه. لكنى لا أستحل الكذب بحال من الأحوال.

فأظهر الإرتياح إلى بيانى، وقال: الآن ارتحت.

فقلت: إن المشروع بين يديك، ونحن مستعدون لسماع طلباتك وملحوظاتك فيه، ونرجو أن تبدى فيها ماتشاء للنظر فيه.

فقال: أفعل ذلك بعد الإجتماع مع إخوانى، والبحث معهم، ثم أرسل إليك.

ثم قلت لمحمد باشا سعيد: هذا شأن الأمير، وماشأنك أنت فى الغضب؟ ولماذا؟

فقال: إنى غضبت لغضب الأمير!

قلت: وأى ارتباط بين غضبك وغضب الأمير؟

قال: كيف لاأغضب لغضبه؟

قلت: أنت حر فى ذلك! ولكن بما أن الأمير قد أعلن رضاه، فلامعنى للاستمرار فى غضبك!

وحصل أخذ ورد من هذا القبيل، إنتهيا برضاه أيضاً.

ثم التفت لإسماعيل باشا صدقى، وسألته عن سبب انصرافه عنا وإنحيازه للوفد الآخر؟

فقال: إنى عرضت عليكم نفسى، ومكثت مدة أنتظر فيها جوابكم، فلم يصلنى شيء منكم! وحضرت عندكم أخيراً فلم تتفضلوا بالإشارة إلىّ بشيء أفهم منه منكم قبولى معكم!

فقلت له: إننا لم نر أن نعرف باسمك للعموم خيفة أن لايقبلوه! وعزمنا أن نضمك إلينا بما لنا من حق الضم والانتخاب، ولم أستحسن أن أواجهك بهذه العبارة لما فيها من المس بخاطرك، واخترت [ص ١٨٥١] أن أفضى بها إلى صديقك أمين باشا يحيى.

فقال: إنى أشكرك على ذلك.

قلت: وأنا أقبل هذا الشكر، وأسجله، لأنى أستحقه!

ثم تكلمت مع أمين باشا يحيى فيما بلغنى من غضبه لأنى علقت حضوره عندى للعشاء على حضور محمد باشا سعيد. فكذبت له ذلك. وأيدنى البرنس فى هذا التكذيب.

وعند الانصراف قال لى محمد باشا سعيد: إن هذه المأمورية إذا نجحت فإننا نقيم لك تمثالاً من الذهب! قلت: هذا التمثال يكون للبرنس. وانصرفت.

وفى الغد، تكلم معى مدكور باشا فى التلفون أن أذهب إلى البرنس فى الساعة ١٠,٣٠، فوصلت إليه، ووجدته مع الذين وجدتهم معه فى المرة الأولى، ومعه حسن صبرى. ثم أحضروا فى الجلسة أمين الرافعى.

وقال لى البرنس: إن المطلوب أن يتحد معكم كل من عبد الخالق مدكور ـ الذى كان حاضراً أيضاً ـ وحسن صبرى، وإسماعيل باشا صدقى، وسينوت حنا بك، والسيد حسين القصبى، وشريعى باشا، وثلاثة من الحزب الوطنى وهم: الصوفانى، والدكتور إسماعيل صدقى[٢٨٠] وآخر لاأتذكره.

---

(٢٨٠) الدكتور إسماعيل صدقى هو غير إسماعيل صدقى باشا.

٢٨٥٢

فقال أمين الرافعى: إن الحزب الوطنى يعرض خمسة أشخاص، وهم الاثنان المذكوران، وأحمد وجدى، وأحمد لطفى، ومصطفى الشوربجى.

فقلت: أما الشوربجى فلا أقبله بحال من الأحوال! وأما الصوفانى فمقبول، والأحسن أن يكون بدل إسماعيل صدقى[٢٨١] حافظ عفيفى.

فقال حسن صبرى: إن أحمد لطفى قد يتساوى! فأمن الكل على ذلك وعلى استبعاده لهذا السبب.

وتقرر أن جميع المسافرين يتحصلون على توكيلات من الهيئات النيابية مثلنا، وأن يتوقف انتخاب[٢٨٢] اثنين. [ص ١٨٥٢] من الحزب الوطنى، ليكونا مع[٢٨٣] الصوفانى، على البحث عنهما.

وانصرفت، فقبل إخوانى جميع ذلك ماعدا[٢٨٤] حسن صبرى، فإن كلا من على باشا شعراوى، ومحمد باشا محمود، والمكباتى بك، ومحمد على بك، عارضوا فيه أشد المعارضة. ولم يمكنى إقناعهم.

---

(٢٨١) يقصد هذا: الدكتور إسماعيل صدقى.
(٢٨٢) يقصد بـ «انتخاب» اختيار.
(٢٨٣) المقصود بعبارة: «ليكونا مع» «بالإضافة إلى».
(٢٨٤) فى الأصل: ما عدى.

٢٨٥٣

فذهبت فى الساعة ٥,٣٠ إلى البرنس، وأعلمته بذلك.

وكنا تخابرنا مع كل من مصطفى بك النحاس وحافظ بك عفيفى من الحزب الوطنى، فقبلا[٢٨٥] ذلك. فذكرت كل هذا للبرنس، وبأن إخوانى لايقبلون مطلقاً من الحزب الوطنى إلا أولئك الثلاثة، ولايقبلون الزيادة لهذا العدد، ولايقبلون حسن صبرى!

فأخذ البرنس يظهر الإستغراب من عدم قبول حسن صبرى والإستياء منه، ورجانى فى أن ألح على إخوانى فى قبوله.

ثم انصرف، وترك معى محمد باشا سعيد، وعبد الخالق مدكور، وإسماعيل صدقى. فاستمروا فى هذا الإلحاح، فقلت لهم: لاسبيل لإقناع إخوانى، ولاأرى وسيلة لذلك إلا أن آخذه على عهدتى وتحت ضمانتى، باستعمال حق الرياسة الذى خولوه لى فى الإتفاق الذى حرروه باتحاد الوفدين وجعلهما وفداً واحداً. فاستحسنوا هذه الفكرة، ورجونى رجاء شديداً فى تنفيذها.

وأخذنى محمد باشا سعيد على جانب، وقال: إن هذه طريقة معقولة، وسأعرضها على الجماعة التى أشتغل

(٢٨٥) فى الأصل: «فقبل».

معهم، فإن قبلوها فبها ونعمت، وإلا رفعت يدى منهم وأعلنهم بعدم اشتراكى معهم. فقلت: حسناً تفعل.

ولما توقف إخوانى فى قبول حسن صبرى، استعملت ذلك الحق، وضممته به إلى الوفد.

كما ضممت كلا من محمود بك أبو النصر، وحمد باشا الباسل، وجورجى بك خياط، ومصطفى بك النحاس، وحافظ بك عفيفى.

[ص ١٨٥٣]

وحضر عبد الخالق مدكور فى نحو الساعة التاسعة مساء، فأعطيته صورة الاتفاق الذى وضعناه، وأسماء الأشخاص الذين ضممتهم بحق الرياسة. وانصرف.

ثم عاد فى الساعة ١١، مخبراً بأنه حصل انقسام فى الآراء أفضى إلى عدم الاتفاق على قبول المشروع الذى وضعناه، وبناء على ذلك تقرر انفراط عقد الوفد الثانى، وإعطاء الحرية لكل شخص من أفراده فى أن ينضم إلى الوفد الأول!

فعرضنا على عبد الخالق مدكور أن ينضم إلى وفدنا، فقال: حتى يفتكر(٢٨٦)!.

(٢٨٦) أى: إلى أن يفكر فى ذلك.

وفى الصباح حضر إسماعيل صدقى باشا، وأراد الانضمام إلينا، فقبلناه. كما قبلنا سينوت بيك حنا.

وكنا أرسلنا إلى شريعى باشا، فحضر، ولما عرضنا عليه الانضمام إلينا طلب أن يفتكر(٢٨٧). كما أنه لم يرد التوقيع على التوكيل حتى يفتكر أيضاً!

ومن هنا أخذنا بأن ذلك الوفد لم ينحل إلا فى الظاهر، ولكنه فى الباطن منعقد، وساع فى تكميل نفسه، والاستعداد للسفر.

سنيوت بك حنا* أول شخص من الأقباط افتكرنا فيه، وكان من أهم الأسباب التى دعت لوضع صيغة الحق فى انتخاب من نشاء هو إختياره. ولكن يظهر أنه حصل بينه وبين محمد بك على(٢٨٨) نوع من سوء التفاهم، أعقبه كون البرنس ضغط عليه فى أن ينضم إليه. ولذلك قبلناه.

جورجى بك خياط افتكرنا فيه بعد سنيوت بك،

---

(٢٨٧) يفتكر أى يفكر، ويستخدم سعد زغلول هذه الكلمة بهذا المعنى دائماً.

(٢٨٨) أى: محمد على علوبة.

(*) سنيوت حنا، ولد فى أسيوط ١٨٨٠ من عائلات الصعيد العريقة. وكان من أصدقاء مصطفى كامل، وعرف سعد زغلول فى الجمعية التشريعية، وانضم إلى الوفد المصرى فى نوفمبر ١٩١٨، وكان من الموقعين على النداء الموجه إلى الشعب فى ٢٤مارس١٩١٩، ونفى مع سعد زغلول إلى عدن سنة ١٩٢١، وانتخب عضوا بمجلس النواب المصرى سنة ١٩٢٤،وافتدى مصطفى النحاس بنفسه فى أثناء النضال ضد اسماعيل صدقى، فقد تلقى عنه طعنة السونكى التى طعنه بها أحد الجنود الذين اعترضوا سيارة النحاس فى مدينة المنصورة يوم ٨يولية لإيقاف الركب عن سيره.

واعتمدنا فى انتخابه على شدة امتداحه من محمد باشا محمود. فحضر، وقبل أن يقبل استفهم منى عما يكون فى شأن الأقباط بعد الإستقلال؟ فقلت: بعد الاستقلال [ص ١٨٥٤] يكون شأنهم شأننا، لافرق بين أحد منا إلا فى الكفاءة الشخصية. فسر بذلك، وطلب أن نسجله[٢٨٩] فى بعض محاضرنا، وأن نعلنه به، فحصل ذلك.

فى أثناء تلك المدة، كان حضر كل من مصطفى الشوربجى ومحمد زكى على، ومعهما شابان آخران، فاستقبلتهم أحسن استقبال. وكنت متوهماً أنهم فرحون بهذا المشروع، مستبشرون منه، فقلت لهم!

ـ هل أتيتم لتمضوا؟

فقالوا: نريد أن نقرأ ماكتبتم!

فقلت لهم: امضوا بلا قراءة!

فاستشاطوا غضباً، وقالوا: كيف نمضى بلا قراءة على مشروع هو أهم مشروع؟ ونحن نعرف الأصول والقواعد ولايصح لأحد أن يمضى على شىء حتى يعرفه.

قالوا ذلك، وكرروه بانفعال شديد، وحدة زائدة!

فقلت لهم: إذا تأملتم قولى، اتفقتم معى وزالت حدتكم! لأنى طلبت ذلك عشماً فيكم، حتى إذا أظهرتم الثقة التى أنتظرها سررت بذلك، ثم قرأتم وقرأتم كما

(٢٨٩) أى نسجل هذا الكلام عن وضع الأقباط بعد الاستقلال فى محاضر الوفد.

تشـاؤون. ولايمكن أن يُفسَّر طلب الإمـضاء بدون قـراءة إلا لهذه الغاية.

وكنت أتعشم بعـد هذا البيان أن تنكسـر حدتهم ويزول انفعـالهم، ولكنهم استـمروا فى حدتهم، فـتركت المناقـشة معهم.

وأخذ مـحمد باشا مـحمود ولطفى بك الـسيد ومحـمد على بك يكلمونهم بتطلف وحـسن مجاملة، فلم يزدادوا إلا غضـباً! وقـالوا: إنه لاحق لكم فى إنابة غيـركم، ولابد أن تبينوا لنا بروجرامكم.

وجاء فى كـلامهم: إن الأحكام العـرفيـة ألغيت! فـقال قائل منا: إنها لم تلغ! قالوا: إذا لم تلغ هذه الأحكام فكيف ساغ لكم أن تجهـروا بهذه التوكيلات وتعلنوها للمـلأ؟ فقيل لهم: [ص ١٨٥٥] إن هذا عمل مخاطرة، ولاندرى(٢٩٠) إذا كانت الحكومة تقره أم تنكره. فقالوا: إذن لابد أن تكونوا أعطيتم الحكومة وعودا، ولو كاذبة!

فاستشطت من هذه العبارة غيظاً، وقلت منفعلاً وبشدة: أنا لاأسمح بمثل هذا الكلام، ولاينبغى لكم أن تتهجموا علينا بمثله وتشتمونى فى بيتى!

---

(٢٩٠) فى الأصل: ندر.

٢٨٥٨

فأرغى مصطفى الشوربجى وأزبد، ثم انصرف، وانصرف معه الآخران.

وبقى محمد زكى مستمراً فى حدته وشدته، ومحمد باشا محمود يستعطفه، فلم يهدأ، وقال: إن هذا ليس بيتك بل بيت الأمة[٢٩١]! ثم انصرف مغضباً.

ثم أخذوا يُروجون إشاعات السوء بين الناس! فصرفنا النظر عنهم، وتركناهم يهرفون بما لايعرفون!

محمود باشا أبو حسين حضر مع شخص من مديريته، والدموع تسيل من عيونهما، وهو يقول: هذا اليوم الذى كنا نتمناه! هذه الضالة التى كنا ننشدها! وهوى على يدى يقبلها ويقول: سيروا ولاتخافوا ولاتحزنوا، أنا معكم ومن ورائكم، وأموالنا تحت تصرفكم، وإنا مستعدون لأن ندفع لكم من مائة إلى مائتى ألف جنيه!

فشكرته أنا وعبد العزيز فهمى شكراً جميلاً، ولم يكن عندنا شك فى صدق الرجل وحسن وفائه، وإن كنا عددنا مانطق به مبالغة رمت بها[٢٩٢] حماسته.

---

(٢٩١) اكتسب بيت سعد زغلول اسم: «بيت الأمة» من هذا الحديث الغاضب. والمفارقه أن الذى دعاه كذلك كان خصماً لسعد زغلول وللوفد، وظل كذلك، ومع ذلك أطلق هذه الكلمة من قبل أن يصبح بيت سعد زغلول بيت الأمة بالفعل!

(٢٩٢) فى الأصل: رمت به

ثم علمنا بأن مستشار الداخلية المستر هينز، أخذ يستحضر الأعيان، ويهددهم بألا يشتركوا فى هذه الحركة، وأن يمتنعوا عن التوقيع على التوكيلات.

كما استحضر من قبل ذلك كلا من على شعراوى باشا، وعبد العزيز بيك فهمى، وحمد باشا الباسل، ولطفى بك السيد، وألقى عليهم [ص ١٨٥٦] مسئولية ماينتج عن هذه الحركة! فأبوا قبول هذه المسئولية، لأنهم يستعملون حقاً مشروعاً، فلا يمكنهم أن يسئلوا عن نتائج استعمال هذا الحق!

وهو لم يعارضهم فى مشروعية الحق المذكور، بل وافقهم عليها، ولكنه أصر على إلقاء هذه المسئولية عليهم! وهم أصروا على رفضها!

وكتب المستشار للمديريات(٢٩٣) يأمرهم بأن يمنعوا الناس من التوقيع على التوكيلات. فباشر حكام الأقليم هذا المنع، وصادروا ماوجدوه منها بأيدى الناس!

وقد كتبنا فى هذا الخصوص خطابين متتابعين إلى وزير الداخلية، فرد عليهما بأن المستشار إذا كان أصدر هذه الأوامر بالمنع والمصادرة، فإن ذلك لأن البلاد تحت الأحكام العرفية،

---

(٢٩٣) يقصد: للمديرين.

٢٨٦٠

ولأن هذه التوكيلات اعتبرت مخلة بالنظام العام.

وقد أثرت هذه الحركة التى أثارتها الحكومة فى الناس، فامتنعوا عن التوقيع، وانقبضت صدورهم، وأمسك أغلب الذين كانوا يترددون علينا عن الإختلاف إلينا[٢٩٤]، حتى إن محمود باشا أبو حسين ـ الذى كان من أمره ماوصفناه سابقاً ـ امتنع عن زيارتنا، رغم دعوته إلى ذلك عدة مرات منا ومن بعض أصدقائه من إخواننا!

حسن باشا رفقى كان أول من أمضى التوكيل، وحضر أول أمس، وعاتبنى على عدم انتخابه للسفر. فاعتذرت بأن ذلك لعلمى بعدم مناسبة السفر له فى هذه الأيام، لأن قرينته لاتود مفارقته، ولاتتحمل السفر فى البرد القارص. فقال: إنى لاأريد السفر، ولكن أريد أن أخدم [ص ١٨٥٧] الوفد هنا. قلت: حباً وكرامة، ولكم الفضل والشكر.

قال: وإنى متبرع بخمسمائة جنيه! قلت: كنت أتعشم أكثر من ذلك! قال: لو كان فى الإمكان الزيادة لزدت، ولكنى أنا الذى أباشر حسابات دائرة الأميرة[٢٩٥]، وأعرف حالتها، وأنها لاتستطيع أزيد من ذلك. فشكرته، وانصرف.

---

(٢٩٤) أى: التردد علينا.

(٢٩٥) الأميرة هى قرينته.

ثم فى اليوم الثانى حضر هذا الرجل، فوجدنى مشغولاً، واختلى باسماعيل باشا صدقى، فأفهمه بأن الأميرة لاتود أن تمد هذا الوفد بشىء من المال، لأنه ضد العائلة المالكة، ويعمل على أن تكون مصر جمهورية! وإنها لاتريد أن تغضب البرنس عمر، وأن لاتجرى فى غير طريقه. قال ذلك بشدة، وانصرف!*

حافظ بك المنشاوى أول رجل كتبت إليه خطاباً استقدمه، لتوسم الخير فيه. فحضر مع على بك المنزلاوى والصوفانى.

وأخذ الصوفانى وأحمد بك إلشيخ يسألانى أسئلة تشف عن حمق وعدم ثقة وحماقة وجهل! فأخذته أول الأمر باللين، حتى انتهيت إلى ماكنت أظن أنه مقتنع، وإذا به مصر على سفاهته وحماقته، فاستشطت غضباً، وأردت أن أنسحب من المشروع! فانصرف هو، وتبعه حافظ المنشاوى وعلى المنزلاوى.

★ فى مقابل هذه القصة، ذكر عبدالرحمن فهمى فى مذكراته أن أموال الوفد تجمعت من الاكتتابات التى اكتتب بها أبناء الشعب، وقد اكتتب أعضاء الوفد بما استطاع كل منهم ، وكان نصيب سعد زغلول أن باع ١٧٠ مائة وسبعين فدانا من أخصب الأراضى التى كان يملكها فى مديرية البحيرة، بسعر الفدان ٢٠٠ مائتى جنيه، فكانت تلك الأموال النواة الأولى لخزانة الوفد، ثم أخذ سيل التبرعات والاكتتابات يتدفق على هذه الخزانة من أنحاء البلاد (مذكرات عبدالرحمن فهمى، الجزء الأول، تحقيق الدكتور يونان لبيب، ص٧٣، ٧٤)

هذا الأخير كان فى[٢٩٦] أول النهضة[٢٩٧] من أنصارها، ووعد بأن يدفع مبلغاً طائلاً لها، فرحبت به، ولكنه انضم إلى المشاغبين، هو وحافظ المنشاوى والصوفانى.

أغلب الذين كانوا يزوروننا، من الطبقات العليا والمتعلمين، كانوا يوجهون إلينا أسئلة تشف عن سوء الظن وعدم الثقة! وما أحد منهم قدم لنا مساعدة مادية أو أدبية، سوى محمد بك نشأت الذى [ص ١٨٥٨] حضر إلينا، وعرض علينا أنه سيضع مذكرة بشأن مصر وحقوقها. فشكرنا له هذه الغيرة والهمة. ولكنه إلى الآن لم يقدم تلك المذكرة!

وكثير من الناس يعرضون علينا خدماتهم للوفد لأن يكونوا موظفين فيه على نفقتهم.

غير أن الطبقات الأخرى نرى منها انعطافا عظيماً، وتشجيعاً شديدا بالكلام والدعوات الصالحات. فاللهم تقبل دعواتهم، ووقفنا لما فيه النجاح والفلاح.

وجدت اليوم ورقة مطبوعة موزعة على المدارس

---

(٢٩٦) كلمة: «فى» غير موجودة فى الأصل.

(٢٩٧) يلاحظ أن سعد زغلول يصف حركة تأليف الوفد بأنها «نهضة» وكان ذلك قبل أن تتحول «النهضة» إلى «ثورة».

عنوانها:

إلى المصريين

نظرا لكون بعض المصريين لم يفهموا ما يرمى اليه عقلاء الأمة من طلب استقلال مصر، فالرجا من المصريين عمومًا، ومن تلامذه المدارس خصوصًا، أن يلتزموا جانب الحكمة، ولايقوموا بأى مظاهرة أو عمل يخل بالأمن، فإن ذلك مضر بالقطر المصرى. والأحسن أن نكتفى بالامضاءات

وكان لهذا الإعلان تأثير حسن.

روى أن عاطف بركات قال: إن وفدنا هو وفد الحكومة! وإنه سمع ذلك من ثقة!

ولكن الأخبار تواترت على خفة الطعن فينا، وعلى الانكماش عنا، والخوف من القرب منا.

وروى عبدالرحمن بك فهمى[٢٩٨] أن أحد كبار الباشوات أراد أن يطمس إمضاءه بعد أن وضعها ببعض أيام، خشية أن يسأل عنها! فلم يمكنه من ذلك[٢٩٩].

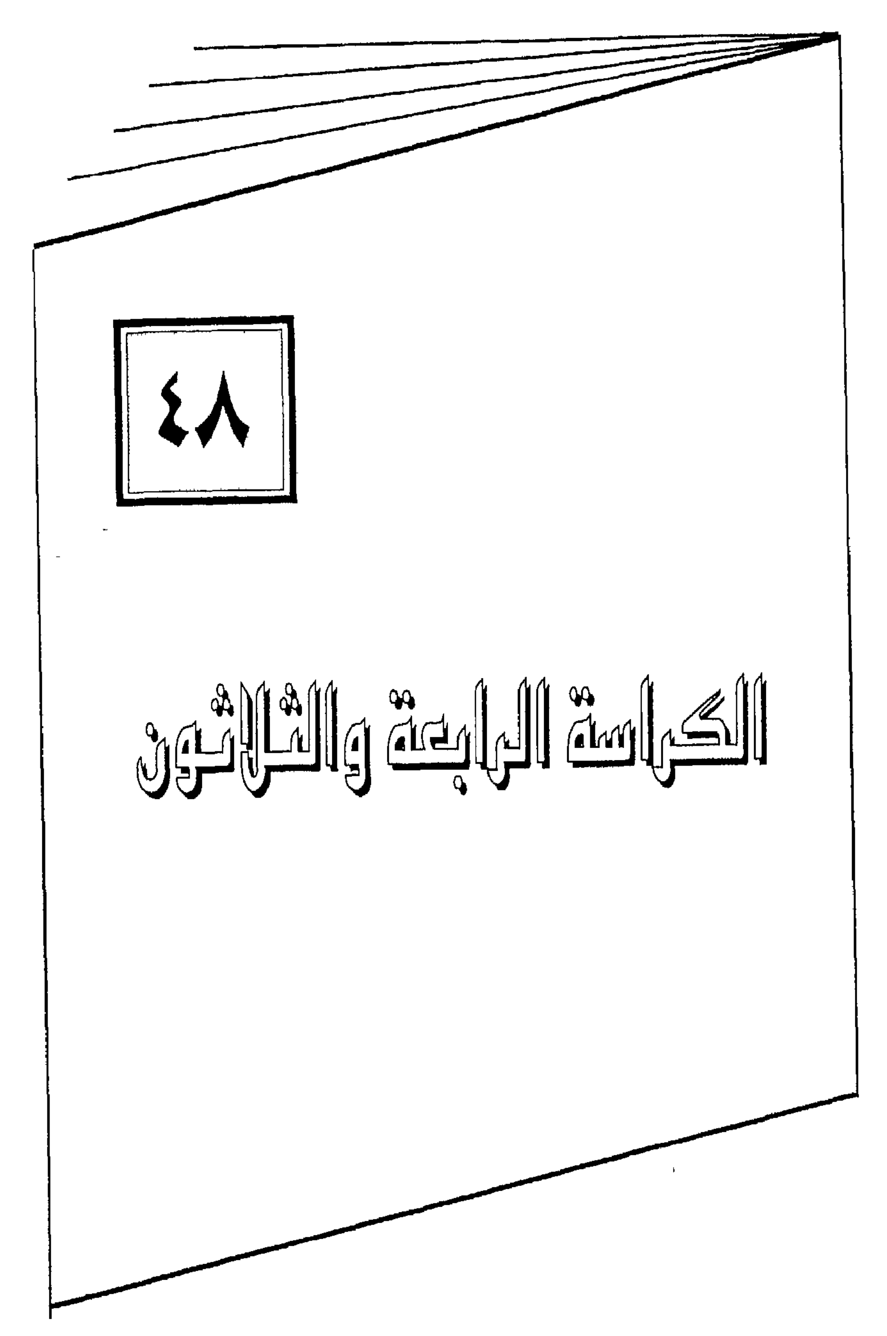
(٢٩٨) هذه أول مرة يرد فيها اسم «عبدالرحمن فهمى» فى مذكرات سعد زغلول.

(٢٩٩) هذا الكلام يدل على أن دور عبدالرحمن فهمى لم يبدأ بعد سفر الوفد إلى باريس كما كان الاعتقاد من قبل، وإنما بدأ مع حركة توقيع التوكيلات.

٢٨٦٤

[ص١٨٥٩]

دفع اليوم إلى عبدالله بيك زغلول مـبلغ خمسين جنيه، قيمة المرتبات لغاية أول يناير القادم، ويبقي من هذا المبلغ بعد ذلك تسعة جنيه لصرف المرتبات فى السنة القادمة.


٤٨
الكراسة الرابعة والثلاثون



الكراسة الرابعة والثلاثون

من ص ١٨٨٩ - ص ١٩١٩

من يوم ١٤ ديسمبر ١٩١٨

إلى يوم ١٨ فبراير ١٩١٩

محتويات الكراسة ٣٤

٢٨٦٨

ــ مماطلة الحكومة الانجليزية فى سفر الوفد.

ــ زيارة سعد زغلول للبرنس كمال الدين حسين وتحذيره من مساعدة وفد الصوفانى.

ــ صلة وفد الصوفانى بالخديو السابق عباس حلمى.

ــ زواج بنت عبدالخالق ثروت من نجل محمود عبدالغفار بك.

ــ حديث سعد مع برونييت حول مشروع القانون النظامى.

ــ خطبة سعد زغلول فى بيت حمد الباسل باشا.

ــ الضغط على الحكومة الانجليزية من أجل سفر الوفد.

ــ رفض رشدى باشا الكتابة إلى الدكتور ولسون.

ــ شك سعد زغلول ورفاقه فى رشدى باشا وعدلى باشا.

ــ تعقيب سعد زغلول على محاضرة «برسيفال»

ــ رد سعد زغلول على طلب المحامين الانجليز أن تكون المرافعة باللغة الانجليزية.

ــ الحرب بين وفد الصوفانى ووفد سعد زغلول.

ــ عزم السلطان فؤاد الزواج من كريمة عبدالرحيم صبرى باشا (الملكة نازلى فيما بعد)

[ص ١٨٨٩]

فى يوم ١٤ ديسمبر سنة ١٩١٨

أخبرنى عبدالرحمن بيك فهمى أمس، بأن وفداً مؤلفاً من صوفانى بك، وشريعى، ومدكور والقصبى، ومكرم، طاف بالقناصل وسلم، إلى سكرتيرهم احتجاجاً على منعه من السفر

وقد اطلعت[٣٠٠] على صورة هذا الاحتجاج، وفحواه يدل على أنه مكتوب فى الأصل بالعربية، ولم يذكر فيه الاستقلال إلا عرضاً.

فقلت: مادام القصد واحداً، فلا عبرة بتعدد الموقف، وإن يكن تعدد هدف هذه الأمة لا طعم له،وهو يدل على الانقسام حيث لا انقسام، وعلى أن فى الأمة من يتخذ أكبر شأن من شؤونها لعباً ولهواً.

وحضر بعض التلامذة وأخبرونا[٣٠١] بأن فى نيتهم أن يحتجوا يوم وضع الحماية على بسطها، فلم أوافق على ذلك، ونصحتهم بالعدول عنه حتماً. وقالوا إن فى نيتهم الإضراب عن حضور الدروس يوم الأربع، قلت: إن الأمر

(٣٠٠) غير موجودة فى الأصل.

(٣٠١) فى الأصل وأحبرنا.

٢٨٧٠

يحتاج إلى التأمل، وإن كان مبدئياً لاشئ فيه. وانصرفوا على أن يعودوا اليوم مساء.

عادوا، ولم نوافقهم قطعياً على الاحتجاج. أما الانقطاع عن الدروس، فما دام أنهم سيعطلون الدروس من الساعة ١٠ فلا مانع منه.[٣٠٢]

[ص ١٨٩٠]

وقد حصل أنه، في أغلب أنحاء القطر، لم يشترك الأهلون في الاحتفالات التى دعاهم المديرون إليها تحت أسماء مختلفة.[٣٠٣] وتفاصيل ذلك ستكون وافية بأقلام الذين يعرفونها!

في يوم ٢٤ ديسمبر

أطلعنى أمس رشدى وعدلى على عريضه للسلطان من الأول، حكى فيها تاريخ طلبه السفر، ورفضه أو تأجيله، ثم استعفاءه. وأورد نصوص الطلب والاستعفاء.

---

(٣٠٢) هذا الكلام يدل على أن دور الطلبة فى الحركة لم يبدأ بعد القبض على سعد زغلول ورفاقه كما كان يعتقد من قبل، وإنما بدأ بعد تأليف الوفد، وقبل القبض على سعد بثلاثة أشهر.

(٣٠٣) كذلك يدل هذا الكلام على أن تحرك الجماهير المصرية لم يبدأ بعد نفى سعد زغلول ورفاقه وإنما قبل ذلك، وبالتالى فإن ثورة مارس ١٩١٩ لم تنشأ فجأة وإنما كان لها مقدماتها.

وقال عقب ذلك: إنه تألف ـ فى أثناء ذلك ـ وفد من المصريين للسفر إلى انجلترا، والمطالبة بحقوق مصر، ونصحت بسفره، فلم تُسمع نصيحتى، وبناء على ذلك تكون مصر هى الأمة الوحيدة التى تحرم حق إسماع صوتها، فى الوقت الذى تسمع فيه أصوات كل الأمم. وحينئذ، فإنى أصمم على الاستعفاء.

قال رشدى: فإذا فرض وسافرنا، فإن أول شئ نطلبه هو تسفير الوفد. فإن لم يُجب هذا الطلب قدمنا الاستعفاء هناك، وبحثنا عن طريقة إيصاله لهنا.

[ص ١٨٩١]

قلت: لقد أحسنتما كل الإحسان، وأيدتما بذلك عملكما الجليل السامى، ولم يبق على الأمة إلا الشكر لكما على هذه العزيمة النافعة. ولكن عند الإذن بالسفر، نتداول فيه معاً!
قال: كذلك.

وعدت مبشراً إخوانى، فاستبشروا وهللوا وكبروا.

وفى العشاء، كان[٤ ٣] على المائدة كل من إسماعيل صدقى باشا، وحمد باشا الباسل، ومحمد صدقى باشا، وعبدالعزيز بيك فهمى، وأمين يوسف، وسعيد زغلول.

(٣٠٤) فى الأصل: حيث كان

وكان عـبدالعزيز قد شـرب شيئاً من الوسكى، فـشرب على سِر إسمـاعيل صدقى، لأنه الروح السـامى فى الوفد، ومثال الذكاء المصرى. ثم شرب على سِر حمد باشا الباسل، ولا أتذكر الأوصاف التى وصفه بها!

ثم قال: وأمـا معـالى الرئيس، فلا يؤاخذنى، فـإننا كنا اجتمعنا للتداول فى شؤون مصر عام أول، فكان خائف، أو أكبر خائف فينا!

ومن ثم قامت مناقـشة بيننا فى شأن مـا حصل فى تلك الجلسـة، [ص ١٨٩٢] استنتجت منهـا ما كنت أشعر به دائماً من الميل إلى مـعارضتى! فـقد كان يـكذبنى بكل شدة فيـما أعتقـد تمام الاعتقاد صـحته. وامتنع أثناء المناقـشة عن الأكل!

ثم قمنا من المائدة، وخلونا معاً، فاعترف ببعض الوقائع التى كان قد اشتد فى انكارها، وقال إنه كان اتفق مع محمد محمود ولطفى وشعراوى على سِبْر غورى فى ذلك المشروع، ووافقوا على المخاوف التى أبديتها بغية العدول عن المشروع، خشـية أن يبدأوا فـيه وأتركهم فى وسط الـطريق لغرض من الأغراض. ولما عرضت أن نديم اجتماعنا بصفة أصدقاء، لم يوافـقـوا على ذلك، ظناً منـهم أنى أردت ذلك لكى أتخـذ منهم حزباً أتوكأ عليـه للوصول إلى غاية شخصيـة، فرفضوا

أن يكونوا آلة، وتناجوا فى ذلك!

فآخذته على سوء هذا الظن. فقال: إن ذلك ما حصل!
[ص ١٨٩٣]

فاندهشت لهذا النبأ كل الإندهاش، وبت طول ليلى فى قلق من أثره. والله المستعان على الغض من مثله.

٢٦ ديسمبر(٥ ٣)

أمس فهمت من لطفى - رغم إخفائه - أن عبدالعزيز بيك تكلم معه فى هذه المسئلة، وأنه سأل عنها حمد باشا، وأنه سعى كل وسعه فيها، وخبرنى ما نسب إليه فيها،(٦ ٣) ولاينسب صدور ذلك من عبدالعزيز إلا للشرب، وتوتر أعصابه فى هذه الأيام.

فحكيت له كل ما حصل، وقلت: أفهم أن يسيئ الصديق الظن فى صديقه حيناً من الزمن، وأن يعترف له بهذا الظن توددا له،(٣٠٧) ولكن صاحبنا اعترف بسوء الظن. وأعماله تدل على أنه لا يزال شاكاً به!

وقد سردت عليه سيرته فى الجمعية التشريعية، من

(٥ ٣) فى الأصل: «٢٦» فقط.

(٣٠٦) قراءة تقريبية.

(٣٠٧) قراءة اجتهادية لأن الكلمة مطموسة بالحبر.

امتناعه عن الوجـود فى لجنة الحقانية، وبحـثه عن وجوده فى لجنة الماليـــة تحت رياسـة قليـنى، وتصـديه لنقـــد أعـمـــال الأولى، رغم كـــونى رجـوته أن يبـــدى إلى قـبل الجـلسـة ملحوظاته للاتفاق عليـها، حتى لايحكّم(٣٠٨) فيـها من ليس مختصاً فيها. ولكنه خالف ذلك.

وتصـديه لـلدفـاع(٣٠٩) عن الأوقـاف، لمجـرد أن أومـأ الخـديوى إليـه باشارته مـرة، حـتى اسـتلفت أنظار الناس، وعدوها عليه!

[ص ١٨٩٤]

وأيضاً كـونه(٣١٠) أخلف وعده مـعى ومع كل من حسن سعيد، وعلى بهجت، فى انتخابى رئيـساً للجامعة، من غير أن يعتذر!

وكـــذلك(٣١١) كونه كـان يجبهنى أمام الناس، ويتـصدى لتكذيبى فـيما أروى وأنقل، وإذا اسـتشـهدت به عمـا يعلم سكت مع كونى متأكداً من كونه عارفاً به!

يضاف إلى ذلك(٣١٢) كونه يمتدحنى فى الخَلوة، ويؤذينى

(٣٠٨) فى الأصل تحكم

(٣٠٩) أصفنا و«تصديه» لسهولة فهم العبارة

(٣١٠) فى الأصل «ومن كونه»، وقد عدلناها إلى «وأيضاً كونه» لسلاسة العبارة.

(٣١١) أضفنا: «كذلك».

(٣١٢) أصفنا. «يضاف إلى دلك». وفى الأصل «ومن كونه»

بالتجنى[٣١٣] فى الجلوة[٣١٤]!

كذلك كونه عرض على رشدى باشا الرئاسة للوفد عند تخليه عن رئاسة الوزارة! وتكراره هذا العرض غير مرة أمامى، كأن رئاستى حمل عليه ولم تكن إلا لعدم وجود الأصلح!

ومن ذلك[٣١٥] رفضه أن يدافع فى قضية شخصية لى عندما قيل له فى ذلك، قائلاً: لاأترافع فى قضية ولو نزلت من السماء! ولما قيل له إن هذه القضية هى عبارة عن مراجعة عقد بيع آطيانه، تمتم وقال: تحرير عقد! إننا هنا كلنا.. [٣١٦] وغير ذلك مما لست أذكره.

٢٧ ديسمبر سنة ١٨

حضر أمس والخجل يعلوه[٣١٧]، فأحسنت مقابلته.

---

(٣١٣) وقد تكون «بالحيبة»

(٣١٤) «الجلوة» هنا معناها «فى الجهر» وهو مثل شعبى يطلق على من يتصرف فى السر مايتناقص مع تصرفه فى الجهر. والمقابلة واضحه بين كلمتى «الخلوة» و«الحلوة» وقراءة الكلمتين أنموذج لما يتطلبه تحقيق هذه المذكرات من خلفية معرفية واسعة النطاق، فالكلمتان تقرأ . «الحكومة»!

(٣١٥) أضفنا. «ومن ذلك» لسلاسة العبارة

(٣١٦) مقطوعة العبارة

(٣١٧) يقصد: عبدالعزيز فهمى. والقصة كلها هى إرهاص بما جرى بعد ذلك من خلافات سياسية بين سعد زغلول وعبدالعزيز فهمى بك أدت بالأخير إلى حزب الأحرار الدستوريين المعارض للوفد ـ أى أن أصل الخلاف السياسى خلاف شخصى!

٢٨٧٦

كسبت ٥٥٠ جنيها على رشدى، وعلى إدجار فى النادى ١٥٠ جنيها. وعلى حمد[٣١٨] ٦٥٧.

[ص ١٨٩٥]

مطلوبات لغاية ٣١ديسمبر سنة١٩١٨:

جنيه[٣١٩]

٥٥٠ مطلوب من رشدى باشا(. .)[٣٢٠] ٢٥٠جم

٦٥٧ من حمد باشا الباسل

٦٠٠ من ميشيل لطف الله دفعه

١٨٠٧

سلمت أحمد اليوم مبلغ أربعمائة وخمسين جنيها، ليدفع منه قسط البنك العقارى وقدره ٤٤٤جم وأربعة مليم، ويرد الباقى. وأمرته أن يستصحب معه راغب لكى يعود هو

(٣١٨) يقصد حمد الباسل باشا.

(٣١٩) كتب سعد زغلول تحت كلمة «جنيه» كلمة «عدد»! ولامعنى لها، لأن الأرقام تشير إلى الجنيهات التى كسبها سعد من لعب الورق، والمشار اليها فى الفقرة السابقة.

(٣٢٠) كلمة غير مقروءة.

بعد الدفع، وينتظر راغب الوصل.

[ص ١٨٩٦]

فى هذا اليوم ٣١ ديسمبر سنة ٩١٨، وقعت صيغة بيع أطيان دسونس وطموس بحيرة[٣٢١] إلى من يدعى نادر التيجانى، أمام محكمة مصر المختلطة، وكان شهود العقد كلا من محمد صدقى باشا ومحمود بيك الطوير. وقد دفع المشترى، علاوة على الخمسة آلاف جنيه العربون، مبلغ ستة عشر ألف جنيه. كما دفع مبلغ مائتين جنيه قيمة زراعة الشتوى والقصب، بعد أن خصم مبلغ ٥٤ جنيه قيمة المال الذى دفعه زيادة عما يلزمه فيه.

وقد أودعت المبلغ المذكور ٦٠٠٠جم بالبنك الأهلى، ودفعت من السمسرة إلى متى السمسار مبلغ ٣٠٠جم، والباقى يدفع إليه عند استلام باقى الثمن دون دين[٣٢٢] البنك العقارى.

وقد تضمن العقد أن المشترى يلتزم بسداد البنك العقارى فى ظرف ثلاث سنوات فقط، اعتباراً من أول يناير سنة

(٣٢١) وقد تنطق: «حيرة».
(٣٢٢) قراءة اجتهادية.

١٩١٩، وإن لم يفعل يكن ملزمــاً بأن يعمل[٣٢٣] رهينة لهــذا البنك أو لبنك آخــر، لأجل تبرئة ذمــة البائع[٣٢٤] عــن ديــن البنوك. والباقى من الثمن بعد ذلك، وقــدرة ستة آلاف جنيه وكســور، يدفــعه [ص ١٨٩٧] فى آخر ديــسمبــر سنة ١٩١٩، وإن لم يفعل كانت الفوايد عليه باعتبار تسعة اعتباراً من أول يناير سنة ٩١٩، وله أن يدفع قــبل الاستحــقاق كل هذا المبلغ، أو جــزءاً منه، على شــرط آن لا يقل هذا الجــزء عن ثلاثة آلاف جنيه وفوائد المبلغ ستة ونصف فى المائة.

فى ٦ يناير سنة ١٩١٩

اليوم أودعت فى البنك الأهلى مــبلغ ألف جنيه، وصار مــجمــوع مالديه مــبلغ ٢٧٨٩٤جم ســبعــة وعشــرين ألف وثمانمائة أربعة وتسعين جنيه.

وقد كلفت البنك المذكور اليوم، أن يشترى لى من الدين الموحد المصرى بمبلغ خمسة آلاف جنيه.

وعــرض علىّ البنك المذكــور أن أشتــرى دين الحكومــة الإنكليزية لسنة ألف وستــمائة وثلاثة وعشرين[٣٢٥]، ولســنة

(٣٢٣) وقد تقرأ. «يتحمل»

(٣٢٤) يقصد بالبائع هنا. سعد رعلول

(٣٢٥) كتب سعد رعلول نصف رقم سـنة ١٩٢٣ بالحروف والنصف الآحر بالأرقام ـ أى ٢٣.

١٩١٨ . ترددت فى ذلك، واستشرتُ بعض الإخوان، فلم يوافقوا.

[ص ١٨٩٨]

٢٣٤٠ إلى الدوكتور على إبراهيم، أتعابه مدة سنة ١٩١٨

٢٠٠ إلى الست مصاريف.

٩٣٠ ثمن دفاتر وأوراق للعزبة.

٣٥٣ ليد محمد مرتبه [٣٢٦] ومن معه شهرين [٣٢٧]

١٠٠ (. . .) [٣٢٨]

٣٠٠ (. . .) [٣٢٩]

١٥٠٠ مرتب النادى

٢٠٠ للست للمصروف.

---

(٣٢٦) كلمة غير مقروءة بسبب جفاف الحبر.
(٣٢٧) قراءة تقريبية.
(٣٢٨) عبارة غير واضحة لجفاف الحبر
(٣٢٩) عبارة غير واضحة لجفاف الحبر.

[ص ١٨٩٩]

فى أول فبراير

قال إسماعيل صدقى إنه تقابل مع رشدى وعدلى اليوم، وإنهما يقولان بأن الإذن بالسفر منتظر لغاية يوم ٣ منه.

ولقد خوفتنى(٣٣٠) أقوالهما فى هذا الموضوع، فقد قالا(٣٣١) من منذ ١٥ يوماً إن الإذن يصل فى ٨ أيام، ثم فى ١٠، ثم فى ١٢، ثم، بعد أن مضت هذه المدة، قالا إنها فى ٢ أو ٣ فبراير. وكان رشدى يقول لى من منذ يومين - أى فى يوم الأربع الماضى - أن ذلك يحصل فى آخر الشهر.

وهذا التلاعب يدل على أن فى الأمر شيئا! وبرونيت يقول إنه لا أحد من الوزراء يشتكى(٣٣٢).

[ص ١٩٠٠]

حساب الأوراق المالية

جـ	
٥٠٠	دين موحد مصرى ٤ ٪ من ٣/٨ ٩٠
١٠٠٠	" " " " " " " " من ٣/٤ ٩٠
١١٠٠	" " " " " " " " من ٥/٨ ٩٠

(٣٣٠) وقد تقرأ: «صدمتنى»

(٣٣١) فى الأصل: «فقالا»

(٣٣٢) قراءة اجتهادية مستقاه من السياق.

حصل هذا الشراء بواسطة البنك الأهلى فى ٦ نوفمبر.

فى أول فبراير سنة ٩١٩

أمرت وكيل البنك الأهلى بالكتابة، أن يشترى من أوراق الدين المذكور بمبلغ وقدره ١٦,٠٠٠جم ستة عشر ألف جنيه.

بلغ ثمن ما اشتريته من الأوراق المذكورة لغاية ٤ فبراير سنة ١٩١٩، ١٩,٩٠٠جم. وقد أمرت أن يكون الشراء لغاية ٢١,٠٠٠جم.

وهذا كله لحساب الست حرمى لا لحسابى، ولم يكن اسمى فيه إلا عارية فقط.

[ص ١٩٠١]

فى يوم (...)[٣٣٣]

زرت البرنس كمال الدين بناء على طلبه، فى منزله. وقد كان أبلغه أباظة باشا أنه اتصل بنا أنه هو وزوجه يساعدان وفد الصوفانى، ويمدانه بالمال، لكى يسعى للخديو السابق!

---

(٣٣٣) بياض فى الأصل.

قال البرنس: إن هذه النسبة لا حقيقة لها، ولو كانت خاصة بى ما اهتممت بها، ولكنها اتصلت بالبرنسيسه[٣٣٤]، وهى أبعد من يكون عنها.

فقلت: إن الذى بعث على هذه الاشاعة، أن النشرة التى طبعها ذلك الوفد طعناً على وفدنا، كان يوزعها أخو أحمد خيرى، التشريفاتى لدى عظمة السلطانة ملك وإبن عمر لطفى.

قال: إنى لم أعلم ذلك إلا أمس، وقد طلبت منهما ألا يمدا فلاناً بشئ[٣٣٥] من ذلك.

ولكنه كان يقول ذلك، غير ناظر لى! وبصوت ضعيف نوعاً!

قلت: إنى مسرور من ذلك، لأن ذلك الوفد غير كفء للعمل من جهة، ومن جهة أخرى فان العمل لشخص الخديوى عباس لا يفيد إلا الضرر بالقضية لخدمته،[٣٣٦] لأنه أصبح عدواً للحلفاء، وإذا وضعوا أيديهم عليه أماتوه كما

---

(٣٣٤) فى الأصل. البرنسيس. والمقصود أن الاشاعة التصقت بالبرنسيسة

(٣٣٥) قراءة تقريبية.

(٣٣٦) المقصود بالقضية: القضية المصرية.

أعدموا شريكه(٣٣٧) من قبل. إلخ!

---

(٣٣٧) يقصد سعد زغلول بشريك الخديو عباس حلمى الذى أعدم، المسيو بولو، وهو فرنسى حوكم فى فرنسا وصدر عليه الحكم بالاعدام فى فراير ١٩١٨ فى قضية تورط فيها الخديو عباس.

وتتلخص القضية فى أن الخديوى عباس تعرف على بولو هذا فى باريس فى صيف ١٩١٤، وهو قريب لوزير فرنسى سابق يدعى مسيو كيو، وقد أراد الاستعانة به فى السعى لدى لندن للحصول على وعد من الحكومة الانجليزية لإعادته إلى عرشه، ولكنه أخفق. وفى ديسمبر ١٩١٤ فكر بولو فى مشروع لجلسة صلح انفرادى بين فرنسا وألمانيا، وذلك عن طريق استمالة بعض أصحاب الصحف المهمة فى فرنسا وبعض كبار الفرنسيين مثل «بارتو» و«كليمانصو»، و«بريان»، ومساعدة مسيو كير بنفوذه

وقد أراد بولو الاستعانة بالخديو عباس، فاستدعى إليه يوسف صديق، وهو من حاشية الخديو، وأنهى إليه بمشروعه، وطلب أن يقابل الخديو عباس امبراطور ألمانيا سراً لمحادثته فى هذا المشروع وقد وافق الخديو على ذلك، وسعى إلى مقابلة الإمبراطور لعرض المشروع عليه، ولكن رجال تركيا عاكسوه فى إتمام هذا الاتصال حتى لايكون اتصاله مباشرا بالامبراطور على أن الخديو أفلح فى الاتصال بالكونت مونتس سفير ألمانيا السابق فى روما الذى أظهر اهتماماً بالمشروع، وخاطب فيه وزارة الخارجية الألمانية، فورد الرد بأن ألمانيا تقبل مبدئياً هذا المشروع

وبناء على ذلك أرسل الخديو يوسف باشا صديق إلى روما لمقابلة بولو، كما حدثت مقابلة بين بولو والخديو فى زيورخ، وسافر يوسف صديق لمقابلة وزير الخارجية الألمانية فون ياجو، الذى قبل المشروع وخصص لتنفيذه عشرة ملايين من الفرنكات يدفع منها مليونان ونصف فى كل من الشهرين الأولين، ويدفع مليون فى كل شهر بعد ذلك. وقد قبض الخديو ويوسف صديق وثالث يدعى كفالينى القسط الأول، ولما جاء موعد القسط الثانى أراد الثلاثة إبعاد بولو من توزيع هذا القسط، وأن يختصوا هم بالعمل دونه ولكنهم أخفقوا فى شراء الجرائد الفرنسية، الأمر الذى دعا ألمانيا إلى مطالبة الخديو بدفع ما بقى عنده من القسط الثانى، وهو ٨٣٥ ألف مارك، واضطروه إلى ذلك، فدفعه بشيك إلى مندوب الخارجية الألمانية.

فى ذلك الحين أراد بولو تنفيذ مشروع خاص به عرضه على الكونت بيرنتوف =

فقال: إن بينه وبين هذا الخديو خلافاً من قبل، وقد علم بشأنه، وقيل إنه أجاب كل من سأل عن صحته عقب ضربه [١٩٠٢] فى الآستانة: إلا أنت وأباك(*).

قال : كذلك وإنى لا أساعد ذاك الوفد ولا هذا الوفد!

قلت: إن وفدنا لا يريد منك مساعدة! وقد نسب إليه(٣٣٨)

= سفير ألمانيا فى واشنطون، وطلب لتنفيذه عشرة ملايين من الفرنكات، فانخدع السفير الألمانى وأرسل إلى الخارجية الألمانية التى أرسلت بالقبول، وأرسل المبلغ على حمله بنوك فى نيويورك.

على أن السلطات الفرنسية اشتبهت فى المبالغ التى وردت باسم بولو إلى أمريكا، ولكنها لم تجد الأدلة الكافية وبعد دخول أمريكا الحرب أسرعت بارسال لجنة تحقيق إليها، وعندئذ قبض على بولو، الذى أنكر أن هذه المبالغ وردت من ألمانيا، وادعى أنها من نقوده الخاصة، ولكن شهادة يوسف صديق باشا كانت حاسمة فى إثبات ادانته، وكانت سببا فى اعدامه.

ويقول أحمد شفيق باشا إن الخديوى فزع عندما قرأ فى يوم ١٨ فبراير ١٩١٨ فى الصحف عن اعدام بولو، وعلق على الحكم بانه «ليس حكماً فرنسيا بل هو إنجليزى» ــ أى أن الانجليز هم الذين هيئوا أسبابه. ثم قال: «وبعد ذلك سيحاسبوننى أنا علي هذا العمل». ثم أبدى أسفه لتخلى الألمان عنه، وأمر أحمد شفيق باشا بأن يقابل مدير المخابرات الألمانية فى الأستانة للاستفهام بواسطة برلين من مصر عما يدور فى أفكار الانجليز من ناحية المسالة المذكور، وقد كان رأى مدير المخابرات الألمانية أن الانجليز لابد أن ينتقموا من الخديو فى مصر (أحمد شفيق باشا: مذكراتى فى نصف قرن، الجزء الثالث)

(*) كان الخديو عباس حلمى قد تعرض يوم ٢٥يوليه ١٩١٤ لمحاولة اغتيال عندما ألقى عليه فى الأستانة طالب يدعى محمود مظهر الرصاص، فأصابه فى وجهه وذراعه (أوراق محمد فريد، المجلد الأول ص ١٥٨ ــ ١٥٩).

(٣٣٨) أى: نسب إلى الوفد

أنه ضد العائلة، ونفيت هذه النسبة فى الخطبة التى ألقيتها قريباً.

قال: كفى، ولا يتكرر ذلك لأن من اعتذر اتهم نفسه!

قلت: نكرر ذلك كلما وجدنا فى التكرار فائدة، لأن ذلك مطابق للحقيقة، ولو كان بيننا شىء ضد العائلة لأظهرناه، فإننا بعد أن عرضنا أنفسنا لعداوة أكبر دولة فى العالم، لا نبالى إذا عرضنا أنفسنا لعائلة! ولكن الحق يقال متى وجد للقول مجال.

ثم قلت: هل يمكن لسمو البرنس أن يتنصل بشأن الخدمة التى أعدها لمصر وهو خارج العرش، تلك الخدمة التى أشار لها فى خطاب التنازل عنه[٣٣٩]، وفى أى ظرف يؤديها؟

فلم يحر جواباً ثم قال:

إنى أعتقد أن مركز مصر الجغرافى يقضى أن تكون تحت حكم غيرها! وأحسن الأحكام هو حكم الانجليز! وإنى أثق بأن العدل الذى يقال عنه[٣٤٠] يذهب إلى أحزابهم لابلادنا!

(٣٣٩) قراءة اجتهادية ويشير سعد رعلول بذلك ـ ساحرا ـ إلى ما ورد فى خطاب تنازل البرنس كمال الديس عن العرش يوم ٧/ ١٠/ ١٩١٧ من عبارة. «إنى مقتنع كل الاقتناع بأن بقائى على حالتى الآن يمكنى من خدمة بلادى بأكثر مما يمكن أن أخدمها به فى حالة أخرى»!

(٣٤٠) أى : عن حكم الانجليز.

قلت: لا شئ بمستحيل، وما دام أن الدكتور ويلسون قال ـ وتقبلت الحلفاء قوله ـ إنهم سيفعلون فى قضايا الأمم بالحق والعدل، وإن كل شعب يحكم حسب رغبته ومشيئته، فيجب علينا أن نفيد منه [ص ١٩٠٣] ونعرض عليهم قضيتنا ليفعلوا فيها بمقتضى ما يقولون، فإن فعلوا شكرنا عدالتهم، وإن لم يفعلوا فقد قمنا بالواجب علينا، وإلا فإن السكوت عن المطالبة بالحق، اعتماداً على سوء الظن بهم، يكون جريمة لا تغتفر.

وهل يليق بى، وأنا فى شدة الحاجة، آن أتخلف عن سؤالك الإحسان، بعد أن تكون أعلنت استعدادك للعطاء، بحجة أنك كاذب؟ إن الواجب على نفسى يقضى بأن آذهب إليك، وأطلب منك حاجتى، فإن قضينها شكرت، وإلا فقد أديت الواجب.

إن الفرصة الحالية هى الفرصة الوحيدة التى يمكن أن تتخلص فيها مصر من الحكم الأجنبى، فإذا هى لم تنتهزها كانت مسيئة فى حق نفسها. وكذلك يعد مجرماً كل من تخلف عن العمل على إتيانها!

وسيكون لك، أيها الأمير، من المزايا فى الاستقلال، بمقدار مالك من الحقوق والمصالح فى البلاد، ولكن إذا تمت الحماية للأجنبى، فلا يكون لك شيء! ولا يمكن أن تبقى أميراً، بل يكون الأمراء هم أعضاء عائلة صاحب الجلالة ملك انجلترا جورج الخامس!

[ص ١٩٠٤]

فأمّن على ذلك، ثم قال: أسألك بصفة كونك عادلاً لتقضى[٣٤١] فى مسئلة وهى أننا نحن الأمراء: عمر ويوسف وأنا، رأينا أن نساعد الذين أصيبوا من المتطوعين فى الحرب من أهل بلادنا - أى قتل أو جرح - وجمعنا لهذه الغاية ٢٠ ألف جنيه، فهل تُعد مساعداتنا على هذا الوجه تصديقاً منا على الحرب وعمل هؤلاء فيه؟

قلت: لا شيء من ذلك! كما لا يعد شريكاً فى الجرح من عالج الجريح!

وأخيراً قمت، فأمسك بيدى، وقال: إنى معتمد عليك فى تكذيب تلك الإشاعة!

قلت: كذلك. وانصرفت.

فى يوم ٢٩ يناير سنة ١٩١٩، دعيت إلى حفلة فى منزل عبدالخالق ثروت باشا لكتب كتاب كريمته على نجل محمود بيك عبدالغفار. فأجلست بجانب مستر برونييت، مستشار المالية[٣٤٢]، وكان بيده سيجار، وفى يد أغلب الحاضرين

---

(٣٤١) قراءة اجتهادية

(٣٤٢) وليم برونييت مستشار المالية بالنيابة ومستشار دار الحماية، وكان عضواً فى لجنة ألفها مجلس الوزراء بقراره الصادر فى ٢٤ مارس ١٩١٧، لوضع التعديلات التى يستدعى إدخالها فى القوانين والنظم القضائية والادارية ما كان محتملا من زوال الامتيازات الأجنبية فى ظل الحماية البريطانية

وقد وصح المستر وليم برونييت مشروع قانون نظامى لمصر، ينزل بها الى رتبة =

سجائر، فقلت مازحاً: سيكون أول قرار من عصبة الأمم إبطال التدخين!

قال: قرار يتعذر تنفيذه!

قلت: يمكن، إذا جدت الدول فى التحريم كما جدت أميركا فى إبطال تعاطى المسكرات! [ص ١٩٠٥] وقد كان(٣٤٣) أحد الأمريكان مدعوا عندى، فلم يشرب شيئاً من الروحيات، متعوداً على تركها!

فقال: إن مثل هذا القرار يكون نظرياً، ولا يلزم السعى خلف النظريات!

قلت: يلزم أن يكون الإنسان فى هذه الحياة نظرياً، أو

= المستعمرات، ويتلخص فى انشاء مجلس نواب مصرى مهمته استشارية محضه، ومجلس شيوخ مختلط من مصريين وأجانب يملك وحده السلطة التشريعية، ويتألف من الوزراء المصريين والمستشارين الإنجليز ومن فى مرتبتهم من المواطنين البريطانيين، ومن أعضاء منتخبين منهم ٣٠ مصريا و١٥ أجنبياً، بحيث تكون الأغلبية فيه للأعضاء الرسميين والأعضاء الأجانب المنتخبين، والأقلية للأعضاء المصريين المنتخبين.

وقد قدم السير برونييت صورة من هذا المشروع إلى حسين رشدى باشا رئيس الحكومة فى أواسط نوفمبر ١٩١٨، فحمل عليه حملة صادقة وأعلن استنكاره له. وما كاد يذاع المشروع والرد عليه حتى عم السخط على الحماية، لأن الهيئة التشريعية العليا فى المشروع مختلطة الجنسيات وكان هذا المشروع من أسباب ثورة ١٩١٩ (الرافعى ثورة ١٩١٩، الجزء الأول)

(٣٤٣) فى الأصل: «وكان».

يكون له غرض يسعى لتحقيقه، وإلا فلا معنى لحياة الذين لاغرض لهم!

ثم سألنى عما إذا كان انعقد مجلس الوزراء هذا الأسبوع؟

قلت: إذا ماعقد[٣٤٤] صدرت منه قرارات؟

قال: إن هذه القرارات [٣٤٥] تصدر بطريق اللف[٣٤٦]! يعنى أن الوزراء يعتمدونها فرادى من غير اجتماع!

قلت: وهل أمضى عليها الوزراء المستعفون[٣٤٧].

قال: ليس هناك وزراء مستعفون!

قلت: كيف ذلك؟

قال: هو كذلك!

قلت: والأوراق[٣٤٨] التى يتداولها الناس عن استعفائهم؟

(٣٤٤) وقد تقرأ: إذا كيف صدرت منه قرارات.

(٣٤٥) فى الأصل: القرار

(٣٤٦) اللف أى التمرير.

(٣٤٧) يقصد سعد زغلول بالورراء المستعفين كلا من حسين رشدى باشا، رئيس الوزراء ووزير الداخلية، وعدلى يكن باشا وزيرالمعارف، وقد قدما استقالتيهما فى ٢ ديسمبر ١٩١٨، وأصر رشدى باشا وعدلى باشا على الاستقالة فى يوم ٢٣ ديسمبر ١٩١٨ نظراً لإصرار الحكومة البريطانية على عدم مناسبة سفرهما إلى لندن، ورفضها سفر الوفد برئاسة سعد زغلول.

(٣٤٨) يقصد سعد زغلول «الأوراق» الصحف.

٢٨٩٠

قال: لا حقيقة لها!

قلت: إننا تلقيناها عنهم!

قال: لم يكن ينبغى إشهارها!

قلت: كيف؟ وهى ملك الذين كتبوها، وتشتمل على أمر يهم الأمة، وهو سبب استعفاء وزارتها. إن سبب استعفاء الوزارة فى البلاد الدستورية يعلن فى مجلس النواب، وتنشره الصحف فى الأمة، فكيف يجب كتمانه فى مصر؟

[ص ١٩٠٦]

قال: إنى اطلعت على ورقة سياسية منك، وكنت أود أن أعطيها علانية أكثر، وانتشاراً أوسع، وأعنى بهذه الورقة خطبتك، فقد استحسنتها!(٣٤٩)

قلت: إننى أقدر هذا الاستحسان، وافتخر به، وكان فى نيتى أن ألقى أحسن منها، ولكن السلطة العسكرية حالت

(٣٤٩) المقصود بهذه الخطبة تلك التى ألقاها سعد زغلول فى اجتماع بمنزل حمد الباسل باشا يوم ١٣ يناير ١٩١٩، وهى أولى خطبه السياسية بعد تأليف الوفد، وقد طبع الوفد هذه الخطبة، ووزعها على الناس والأقاليم، وقد أبان فيها كيف تألف الوفد، والغرض الذى يرمى إليه، وكيف حظرت السلطة عليه السفر إلى الخارج. وفيها قال:

«إنى أشكر زميلى حمد الباسل باشا على أن هيأ هذه الفرصة التى انتهزها لأحدثكم عن تفاصيل هذه الأزمة التى تجتازها مصر فى الوقت الحاضر، حتى لا يفوت بعض أولى الرأى=

=عندنا شيء من أعمال الوفد الذى شرفته البلاد بتوكيلها للسعى فى قضيتها الكبرى، قضية الاستقلال.

«ليست فكرة الاستقلال جديدة فى مصر، بل هى قديمة يتأجج فى قلوب المصريين الشوق إلى تحقيقها كلما بدت بارقة أمل فيه، وتخبو تارة كلما استطاعت القوة أن تخمد أنفاس الحق.

«ولقد كان الوقت الحاضر أنسب فرصة لتحقيق هذه الفكرة، لأن رابطة السيادة التركية أخذت تتضاءل حتى لم يبق شك فى انقطاعها، وأن الاحتلال الفعلى لا يجد فرصة أنسب من هذه الفرصة ليحقق رجاء اللورد سالسبورى الذى قال فى ٣نوفمبر١٨٨٦ «نحن لا نبحث إلا عن الخروج من مصر بشرف»

«قلب هذا الاحتلال، الذى لم يكن له حق فى البقاء، إلى حماية، من بادئ رأى الانجليز ومن غير اتفاق مع مصر ولكنها هى أيضاً أمر باطل بطلاناً أصلياً أمام القانون الدولى، ومخالف مخالفة صريحة للمبادئ الجديدة التى خرجت بها الإنسانية من هذه الحرب الهائلة

«فنحن أمام القانون الإنسانى أصبحنا أحراراً من كل حكم أجنبى، فلا ينقصنا إلا أن يعترف مؤتمر السلام بهذا الاستقلال فتزول العوائق التى تقف بيننا وبين التمتع به بالفعل

ولهذا العرض السامى المطابق لما فى نفوس المصريين جميعاً ألفت أنا وأصحابى الوفد المصرى لنسعى فى الوصول إلى الاعتراف بهذا الاستقلال، وتشرفنا بتوكيل الأمة إيانا وما ضرنا أن أمرت الحكومة الناس بالكف عن تلك التوكيلات ومصادرتها، لأن مالدينا منها ومن خطاب الوزير الأول الذى تعترف فيه الحكومة بعملها، ما يكفى فى إفادة أن الأمة مجمعة على طلب الاستقلال

«هل أمة كمصر، مدنيتهما أقدم المدنيات، وفضائلها الاجتماعية التى تنتقل بالوراثة من جيل إلى جيل، ظاهرة الأثر من حيث وداعة الأخلاق وحب احترام القوانين والتماثل التام فى الميول - يمكن أن تسأل فى أمر استقلالها من غير أن تجرح عواطفها المدنية بهذا السؤال؟

وهل أبناء المدنية الفرعونية والمدنية العربية غريب عليهم أن يستقلوا فيشاطروا فى تقدم المدنية فى خطواتها إلى الأمام؟

«غير أننا كنا مضطرين إلى هذا التوكيل، لأنه قد عزى إلينا أننا لا نطلب من الحياة إلا الدرك الأسفل أن نعيش آمنين طاعمين كاسين! فكان توكيل الأمة الجواب القاطع على هذا الاتهام

«مُنعنا عن السفر، وصودرت الحرية فى أشخاصنا وفى المصريين جميعا، فلم نغادر مرجعا من المراجع الا احتججنا لديه على هذا التصرف وها نحن أولاء لا نزال نطمع فى أن يخلى بيننا وبين القيام بمهمتنا بأنفسنا. وإن ما أؤكده لكم هو أن هذا المنع لم يزد زملائى الا جنا فى التقدم إلى الغرض العام وحده، فى تضحية كل ما يستدعيه من الضحايا، سالكين سبيل الحق والعدل. وما لنا غيره من سبيل

«كان فى عرف السياسة ماحاً أن تضحى مبادئ الحق والعدل قرباناً على مذبح المنفعة. ولكننا ندخل الآن بمبادئ الدكتور ولسن فى عصر من السياسة جديد عصر العدل المجرد عن الهوى، وكفيلته عصبة الأمم. عصرفيه منفعة الضعفاء تكال بنفس الكيل الذى اتخذ لمنفعة = الأقوياء. عصر احترام الإنسانية فى الشعوب الضعيفة، والقوية على السواء، فلا سيادة لقوى=

= على ضعيف بل الكل أعضاء حقوقهم متساوية فى الإخاء الإنسانى العام

«من الناس من يرون هذا المذهب السياسى الجديد أجمل من أن يتيح فى هذه الحياة الدنيا حياة المزاحمة على البقاء والمغالبة على المنافع نعم مذهب جميل ولكن تطبيقه ممكن متى جد الدكتور ولسن فى تطبيقه بحزمه المعروف وإنه لجاد بل أرتقى إلى أن أقول إن تطبيقه سهل متى صحت نيات أكثرية الدول التى أقرته بالإجماع ذلك لأن هذا المذهب غير مخالف لما ألف الإنسان من الوصايا الدينية وقواعد الفلسفة الأخلاقية، ثم هو متفق مع الأفق الذى وصلت إليه الإنسانية فى تطورها الجديد ألا ترون أن مبادئ الديموقراطية التى أوجدت هذا المذهب تنتشر على جميع صورها الممكنة فى أرجاء البلاد المتمدنة بقوة هائلة وبسرعة لم يعهد لها نظير فى تاريخ المبادئ الإنسانية؟ ألا ترون أن أفكار الشعوب فى هذا الوقت متجهة الآن إلى الاستعاضة عن مظهر هذه المزاحمة الوحشى بمظهر إنسانى صرف، مزاحمة الأسواق التجارية؟ بمعنى أنه عوضا عن أن كانت التجارة يسيرها المدفع وتحميها جنود المستعمرات، تصبح التجارة تسيرها الحرية وتروجها جودتها وفضلها على غيرها. وبذلك تتحقق المزاحمة لكنها على صورة أكثر تمشياً مع روح الديموقراطية الحاضرة.

«ثقوا كل الثقة بهذه المبادئ الجديدة، فإنه لا مناص من تنفيذها ولا تقولوا: كيف ننال الاستقلال وما أعددنا لنيله العدة المعروفة؟

«كلا إن بلادنا ـ كما قلت لكم ـ خلو الآن أمام القانون الدولى من كل سيادة أجنبية، وبعيد على مؤتمر السلام أن يرتب سيادات جديدة للأقوياء على غيرهم بل ما وجد إلا ليقرر احترام الحقوق ويحرر الأمم من الاستعباد

«إن إيماننا بقواعد الحق والعدل هى عدتنا وكفى بها عدة وإن اجماع أمتنا على الاستقلال حجة قائمة، وما ينقصنا إلا أن يسمع مؤتمر السلام صوت الأمة، ولكن سيصله ولو من بعيد، يصله فينصت إليه على رغم ما يقال من أن مؤتمر السلام الذى يعتقد أشبه ما يكون بما سبقه من المؤتمرات. هذا هو النحو الذى ننحوه فى قضيتنا وأما خطة مصر المستقبلة فهى —

أولاً تريد مصر أن تكون حكومتها دستورية، وأن تراعى فى تفاصيل النظام حالة البلد الخصوصية من جهة ما للأجانب فيها من المصالح، وأن تقوم إصلاحات اقتصادية وإدارية واجتماعية ستعين على تحقيقها بذوى العلم من أهل البلاد العربية كما كانت تلك عادتها فيما مضى

ثانياً تعلن مصر أن امتيازات الأجانب فيها ستحترم بكل دقة، وإذا كان العمل أظهر أن بعضها يدعو إلى تحرير أليق بمقتضيات الأحوال، فإنها تعرض ما يعن لها من وجوه التعديل، التى من شأنها المساعدة على تقدم البلاد مع صيانة المصالح المتطورة فيها، وتكون فيما تعرضه من ذلك واسعة الصدر غاية فى الإخلاص والمجاملة.

ثالثاً : تتعهد مصر بالبحث فى وضع طريقة للمراقبة المالية لا تقل فى أهميتها، بالنسبة للبلاد الأجنبية ذوات المصلحة، عما كان متبعا قبل اتفاقية سنة ٤ ١٩، ويكون أهم قائم بها هو صندوق الدين العمومى

رابعاً تكون مصر مستعدة لقبول كل ما تراه الدول من الاحتياطات مفيدا للمحافظة على=

=حياد قناة السويس

خامساً : تعتبر مصر نفسها جائزة لأكبر شرف بوضع استقلالها تحت ضمانة جمعية الأمم، وأن تشترك بهذه المثابة، بقدر ما لديها من الوسائل، في تحقيق مبادئ العدل والحق على النمط الحديث.

«وإن من الفضيلة أن نقرر بأن كل ما نقوله عن مصر ينسحب على السودان، لأن مصر والسودان كلا لا يقبل التجزئة، بل إن السودان ـ كما قال المستشار المالى فى تقريره سنة ١٩١٤ـ «ألزم لمصر من إسكندرية».

«قد يطيش الفهم فيظن أن هناك منافاة بين طلب الاستقلال والرضا بامتيازات الأجانب كلا، لا منافاة بين الاثنين فى الوجود، وإن كان فيه تضييق لدائرة السيادة التامة التى يقتضيها الاستقلال. فلنكن عمليين، ولنطرح المناقشات العقيمة التى لا طائل تحتها والتى لا يعتبر الإصرار عليها إلا ضربا من المكابرة، والمكابرة فى القضية العامة خروج على الوطنية الصادقة ولنقتصر على عملنا إقتصال العاملين بما ينفع الأمة

«إن تحبيب الأجانب فى الاقامة بمصر، وتسهيل سبل العمل لهم، مفيد للبلاد أكبر فائدة لنقدم عن طيب خاطر مرغبات هذه الإقامة، ولنسهل بما فى طاقتنا سبل المزاحمة التعليمية والتجارية والصناعية. فانكم لا تنكرون أن هذه القرون الأخيرة قد عزلتنا عن الحركة العالمية بعض الشيء، وأن الأجانب فى مصر صلة أنعم بها من صلة بيننا وبين ينابيع العلم ومواطن الاختراع والاكتشاف، وأن مصر المستقلة لابد لها من الدخول فى المسابقة العالمية، ولا شك فى أنه يهمها جدًا أن تكون باكورات هذه المسابقة فى بلادها

«تعلمون أن حالنا الاجتماعية الخاصة مانع شديد من مخالطة الأجانب فى بلادنا المخالطة التامة التى من شأنها أن تولد فى النفوس الصداقة الأكيدة التى تعنى فى البلاد الأوربية عن الامتيازات. وقد نتج عن ذلك أن الأوربى يقيم فى بلادنا بين ظهرانينا شطر عمره، ولايزال مع ذلك أجنبياً عنا لا يعرف منا الا الوجه الخارجى لصفات المعاملات، دون أن يعلم مناحينا الداخلية، ودون أن نعلم منه هذه المناحى أيضاً، ولأن بيوتنا غير مفتوحة لهم فبيوتهم غير مفتوحة لنا بحكم المقابلة، فلا بدلهم من إدارة تحبب لهم الإقامة بيننا، وهذه الإدارة هى الامتيازات.

«كذلك تعلمون كما ألفت لكم أنه من الضرورى لنا جعل بلادنا ميدانا للمسابقة العلمية والتجارية والصناعية، وهذه المسابقة مترتبة على كثرة وفود الأجانب إلى مصر، المتوقف فى ذاته على ثقتهم باكرام وفادتهم وضمانة طيب الاقامة لهم ولا سبيل إلى ذلك الآن، مع الاعتبارات الاجتماعية التى أشرت إليها، إلا بقاء الامتيازات

«وإنى شديد الثقة بأنه بعد زمان ما سيرى الأجانب أنفسهم ألا حاجة لهم بهذه الامتيازات، بل سوف يجنحون أن ينزلوا عنها متى خالطونا أو عرفونا معرفة تامة بعد نيلنا الاستقلال

«بهذه المناسبة أروى لكم ـ على سبيل الفكاهة ـ أنى قد أطلعت على ورقة مطبوعة مهملة التوقيع، ينصح كاتبها فيها بألا نقبل الامتيازات الأجنبية إلا بطريقة المساومة، ولا نرضى=

= بصمانات حقوق الدائنين بأخذ ورد على طريقة المساومة أيضاً يصحنا أن نجعل أمر استقلالنا ميدانا للمساومات التى لا تليق بصراحة الأحرار! وللناس عدد رؤوسهم آراء!! ويظهر لحسن الحظ أن كاتب هذه الورقة ليس مصريا، وأنه شاعر بأن الرأى العام المصرى ضده، ولذلك كتم اسمه ولم يجرؤ على إظهاره

«عجبا ! كيف يظن ذلك الكاتب بنا أن نسمح لأنفسنا بالخوض فى أمر حقوق ثابتة للغير عندنا، تقضى علينا الذمة باحترامها وتدعونا المصلحة الى تسهيل السبل لتنفيذها؟

«أغرب من ذلك وأدخل فى باب الوهم ـ ولكن من وجه آخر ـ أن من المسرفين على أنفسهم من يكاد يصل سياتنا التى صرحت بها لكم، نية أخرى وهى المساس بحقوق العائلة الحاكمة، عائلة محمد على ذلك الرجل العظيم الذى هو أول عامل لاستقلال مصر فى تاريخها الحديث وأول بناء فى صرح مدنيتها الجديدة! نية لاوجود لها الا فى ألسنة الذين يدعونها رجما بالغيب، أو لوصم حركة الأمة للاستقلال بوصمة انكار الحقوق على أن تعلق الأمة بهذه العائلة الكريمة أظهر من أن يكون محلا للتشكيك

«كلا، فلسوف يعرف هؤلاء أن مصر الحرة ستحترم كل حق لديها، لأنها ستكون باستقلالها مدينة للحق والعدل.

«أرانى قد بلغت بكم غاية ما كنت أريد أن أحدثكم بها، من حيث وجهتنا فى عملنا وخطتنا التى أعلناها الى الدول فلم يبق علىّ إلا أن أردد ثناء الانسانية على الدكتور ولسن، واعترافنا ـ نحن المظلومين ـ بجميله على ما يعانى فى الدفاع عن قضيتنا وأدعوكم بمناسبة هذا اليوم، الذى هو أول يوم لانعقاد مؤتمر السلام، الى أن نظهر إحساساتنا الأكيدة نحو محرر الشعوب بأن أرسل إليه ـ بعد موافقتكم ـ تلغرافا يتضمن آيات ثنائنا عليه، واعتدادنا بفضله على الإنسانية، بالنص الآتى -

«فى اجتماع عقد اليوم حضره كثيرون من أعضاء الجمعية التشريعية وبقية الهيئات النيابية وغيرهم من أعيان البلاد، تقرر بالإجماع أن أرسل لجنابكم تلغرافيا النداء الآتى لمناسبة افتتاح مؤتمر الصلح

«الى رئيس الولايات المتحدة، ذلك الرجل العظيم الذى قاد أمته فى خوضها غمار المعترك الأوربى لمجرد خدمة الإنسانية وتخليص العالم فى المستقبل مما يعانى من أهوال الحرب نرسل آيات الولاء وعبارات الاحترام.

«الى الفيلسوف الكبير والسياسى القدير الذى يتبوأ اليوم أعلى مركز بين قادة الأمم، وبسمو مبادئه آمن رجال السياسة فى جميع الأقطار، نقدم واجب التحية ومنتهى الإعجاب.

«إلى رجل الديمقراطية الكبرى الأمريكية، الذى غادر بلاده لينشر على العالم لواء السلام المقيم، يرفعه العدل الشامل، وتحوطه عصبة الأمم بحمايتها لعرض قضية مصر التى يتسلط عليها الأجنبى تسلطا يأباه أهلها أجمعون

فلتحيى الولايات المتحدة، وليحيى الدكتور ولسن!»

بينى وبين تحقيق هذه النية، إذ منعت ذلك الاجتماع!

ثم تكلمنا فى حرية الصحافة، فاستنكرت خطة تقييدها! وقال: إنها مسألة دقيقة، ويجب الإحتياط فيها.

ثم عاد للكلام فى الأسرار وكتمانها، فرأيته متبرماً كل التبرم من إذاعة رشدى للمذكرة التى وضعها فى نظام مصر، وسلمها إليه بصفة سرية، ووصاه بكتمانها. وقال:

انها مقدَّمة للجنة تكونت منه، ومن رشدى، وآخر لاأتذكره، وأظنه ثروت باشا ـ لمبادلة الآراء فى نظام حكومة مصر. فوضع هذه المذكرة لتكون محلا لمبادلة الآراء والمفاوضة بين أعضاء هذه اللجنة. فليست مشروع قانون، ولا اتفاق، ولا تتضمن غير أفكاره الشخصية، ولا أهمية له [٣٥٠].

قلت : إنها صادرة من رجل ذى مكانة سامية فى عالم القوانين، وذى مقام رفيع فى [ص ١٩٠٧] فى الحكومة، وهو يمثل فيها السلطة الإنكليزية[٣٥١]، والمذكرة تتضمن أهم مشروع متعلق بحياة مصر!.

فقال : إنه ليس مشروعا! والموظف الذى أذاعه لايستحق

(٣٥٠) يقصد السير وليم برونيت بهذه المذكرة «القانون النظامى» الذى سلفت الإشارة إليه والذى كشفه حسين رشدى باشا وحمل عليه.

(٣٥١) يقصد السير وليم برونيت.

أن يكون موظفا[٣٥٢] !.

قلت : إن الخطأ على من يعتبر مثل هذا سرا، ويحرم على رئيس الحكومة أن يتكلم فيه مع ذوى الشأن الذين يمثلون فعلا الأمة!.

قال : لم يكن عليه حرج التكلم فيه مع ثروت باشا!.

قلت : إن هذا الباشا لا يمثل الأمة، ولكن يمثلها سعد زغلول وزملاؤه! والجرى على طريقة الكتمان فى وضع القوانين طريقة معيبة، ومن شأنها أن تحرم الأمة من أفكار أبنائها. ولقد جرت الحكومة فى وضع القانون النظامى[٣٥٣]

---

(٣٥٢) يقصد: حسين رشدى باشا

(٣٥٣) اسم القانون النظامى يطلق على القوانين التى وضعتها سلطة الاحتلال، ويعنى الدستور. وكان أول قانون نظامى صدر فى مصر فى أول مايو ١٨٨٣، واشتركت فى وضعه وزارة شريف باشا الرابعة، ويقضى بإلغاء دستور ١٨٨٢م، وإنشاء مجلس شورى القوانين والجمعية العمومية ومجالس المديريات.

وكان مجلس شورى القوانين يتألف من ثلاثين عضوا، منهم ١٤ معينون، ومنهم الرئيس وأحد الوكيلين، و ١٦ منتخبون. ومدة نيابة الأعضاء المنتخبين ست سنوات، أما مدة نيابة الأعضاء المعينين فدائمة. ويجتمع ست مرات فى السنه، ورأيه استشارى.

أما الجمعية العمومية فتتألف من الوزراء، وأعضاء مجلس شورى القوانين، والسودان فى اوائل عهد الاحتلال).

أما القانون النظامى المقصود فى المتن، فهو القانون النظامى الذى وضعه المستر برونييت واشتمل على إنشاء مجلسين نيابين، الأول مصرى ومهمته استشارية. والثانى مختلط من مصريين وأجانب ويمثل السلطة التشريعية العليا. ولم يصدر سبب قيام ثورة ١٩١٩. =

= (أنظر حاشيتنا السابقة عن السير وليم برونييت، الرافعي: ثورة ١٩١٩)
وقد ورد عليه حسين رشدى باشا بمذكرة تفصيلية، طبعت وأذيعت فى جميع الأوساط، وهى التى احتج عليها برونيت فى حواره مع سعد زغلول الوارد فى المتن، ونصها كالآتى كما أورده عبدالرحمن فهمى فى مذكراته:
مذكرة حسين رشدى باشا
«إن الإنسان ليستغرق فى الذهول كأنه فى حلم عميق ويبهت من الدهشة التى تصدمه عندما يطلع على مشروع الاصلاحات الدستورية الذى قدمه السير وليم برونيت.
«هذا المشروع ـ وما أدراك ما هذا المشروع ـ يتلخص فيما يأتى:
أولاً: مجلس نواب مصرى ولكن استشارى محض - مجلس أعيان له السلطة التشريعية فعلاً ومؤلف من أعضاء رسميين (هم الوزراء المصريون والمستشارون الانكليز ومن فى مرتبتهم من الموظفين الانجليز الآخرين). ثم من أعضاء منتخبين (١٥ أجنبياً و٣٠ مصرياً) ولكن بحيث أن اجتماع الأعضاء الأجانب المنتخبين مع الأعضاء الرسميين تتكون منهم الأغلبية فى مجلس الأعيان» «فترى أن شرذمة من الأجانب (الأعضاء المنتخبين بمجلس الأعيان والمستشارين والموظفين الانكليز الآخرين) مع معاونة ستة أو سبعة من الوزراء ـ غير مصريين، ولكنهم مسئولون أمام الحكومة الانجليزية ـ ترى هذه الشرذمة تقنن لمصر، فهى تسن القوانين لا فيما يتعلق بالأجانب وحدهم، بل فيما يسرى أيضا على المصريين أنفسهم، وحينئذ فلو أن ممثلى الأمة فى مجلس النواب وفى مجلس الأعيان رفضوا المصادقة على مشروع من مشروعات القوانين، فان هذا المشروع يكتسب القوة القانونية رغما عن ذلك ويصبح نافذا فى المصريين، وما ذاك إلا لأن العناصر الأجنبية فى مجلس الأعيان قد تكون قررته بمعاونة بضعة وزراء مصريين غير مسئولين أمام الأمة.
ثانيا: ولايقف الأمر عند هذا الحد فإن مشروع السير وليم برونيت يجيز أيضا فى الأحوال المستعجلة تقديم مشروع القانون إلى مجلس الأعيان مباشرة دون عرضه أولا على مجلس النواب.
«أفهل من الجائز أن يفرض على مصر ـ وهى التى كانت فى أيام سيادة الأتراك الاسمية عليها متمتعة باستقلال ذاتى تام ـ مشروع للاصلاحات الدستورية كهذا المشروع، وذلك فى وقت يدور فيه البحث على اقامة دول مستقلة لأقوام ليس لهم من الخبرة سوى ميزة العنصرية، وقد كانوا بالأمس عبارة عن مجرد ولايات بسيطة يحكمها الأتراك؟ ليت شعرى أيصح عرض ذلك على مصر فى الوقت الذى يجاهر فيه أولو الحل والعقد فى بلاد الحلفاء من أعلى المنابر وعلى رؤوس الأشهاد بما للشعوب الصغيرة من الحق فى حكم نفسها بنفسها والهيمنة على ادارة أقدارها وشئونها، بل بعد أن أهرق عشرة ملايين من رجال الحلفاء دماءهم لفوز مبادئ=

=الحرية والعدل؟

«هذا ولقد دهب السير ولـيم برونيت مذهبا مستنكرا حينمـا يقول فى مذكرته إن حق الشعوب الصغيـرة فى حكم نفسها بنفسها وتولى إدارة شئونهـا هو أمر مقبول بالنسبة للشعـوب التى تتألف من أمة متجانسة، وليس هذا حـال مصر! ولعمرى أن القارئ المصـرى ليتحـول وجهه بازاء مثل هـذا المذهب إلى صحيفـة مرقومـة كلها بعلامات التعجب والاستفهام .

والسير وليم برونيت يؤيد مذهبه هذا بوجود جاليات أجنبية فى مصر، ولكن هل كان فى تدفق السيل الألمانى والسيل النمسوى على فرنسا وانكلترا قبل الحرب ما يمنع توافر التجانس فى كل من هذين البلدين؟ نعم ان الأجانب فى مصر يتمتعون ببعض امتيازات مستـنبطة من معاهدات قديمة وعادات عتيقة يعتـبر بقاؤها اليوم من الأمور المناقضة لروح العصر. ولكن هذه الحال الخاصـة لايمكن الاستناد عليها لزماننا اليوم. ومن حقنا فى حكم أنفسنا وتولى شئوننا بأنفسنا وهو الحق الذى كنا ولانزال نتمتع به قانونا إلى الآن.

«يقول السير وليم برونيت: ولكنكم تحت حمـاية بريطانيا العظمى! فأجيب على ذلك أن حقنا فى سن شرائعنا بأنفسنا لايتنافر مطلقـا مع حماية تكون متلائمة بوجه صـحيح وفكر سليم مع ظروف البـلاد وأحوالـها. إن الحـماية ليس مـعناها الظلم والاستلحاق، ولكن مشروع الإصلاحات الدستورية الذى وضعه السير وليم برونيت يقلب الحماية إلـى ضم مجرد بسيط. ولتأييـد مشروعه يتمـسك بالبلاغ المرسل من الحكومة البـريطانية إلى المرحوم السلطان السـابق ،ولكن يلاحظ أولا أن هذا البلاغ صدر فى وقـت لم تكن فيـه المبادئ العامـة للحرية والعـدل قد بلغت الـشأو الذى وصلت اليه فى طورها الحـالى، ثم أن هذا البلاغ يؤدى على أية حال إلى استـعاد المشروع الذى يجـنح إليه السيـر وليم برونيت، وحسـبنا أن نقرأ هذا البـلاغ، فانه لايتضمن لا من حيث المنطوق ولا من حيث المفهوم انقاصا فى حقوق مصر. والحال أن السير وليم برونيت ينوى إصابتها بنقص من هذا القبيل، اذ أنه يريد أن ينتزع منها حق سن القوانين بنفسها لمسـها، بل إن ذلك البلاغ يؤخذ منه بالعكس أن بريطانيا العظمى تصـدت أن ترفع مصر فـوق المستوى الذى كـانت فيه حـينئذ، وذلك لأنه يتضـمن الإشارة إلى زوال بعض القـيود التى كانت مـفروضة علـى مصر بمقـتضى الفرمـانات العثـمانية. وفى الواقع لايمـكن العقل أن يتصـور كيف أن الحـماية من الوجهة المنطقيـة تقضى بتخفيض شأن مصر، فـإن بريطانيا العظمى لم تجد إلى ذلك العهد ما يدعوها إلى توجيه أى ملام إلى مصر، ولم يحدث بعد ذلك العهد إلا كل ما يوجب الغبطة بها والاسـتقباح منها. فلقد جاءت بريطـانيا العظمى إلى مصر فى عام ١٨٨٢ بدعوة من ولى الأمر حينئذ لقمع فتنة عسكرية، وقابلتها جميع الطبقات الرزينة من السكان مقابلة الصديق لصديقـه، وقام ضباط أركـان حرب المصريون=

= بمؤازرتها فى مهمتها بتقديم المعلومات والخطط إلى هيئة أركان حربها وعندما اشتبكت بريطانيا العظمى فى الحرب مع تركيا بقيت هادئة بل جنحت إلى تمام السكون وذلك بالرغم من اضطراب الضمائر اضطرابا خطيرا من الوجهة الدينية بسبب الخلافة. بل إن مصر تعدت دلك الموقف أيضا فبذلت للجيش البريطانى معاونة من أفضل وجوه المعاونة الفعلية. فجعلت تحت تصرف القائد العام جميع مواردها من مال ومؤونة ووسائل نقل ورجال، فأرسلت إلى فلسطين جيشا للمساعدة المستديمة يبلغ عدده ١٧,٠٠٠ مصرى (فرقة العمال وفرقة الحمالة)، ولقد أوجب استبقاء هذا الجيش بهذا العدد على الدوام استخدام نحو مليون ونصف مليون من رجال مصر ولقد اعترفت هيئة أركان الحرب البريطانية وفى مقدمتها القائد العام اعترافا جاهرت به على رؤوس الأشهاد بالمعاونة التى قامت بها مصر للجيوش البريطانية.

«ولست أريد التوسع فى التعرض للآراء المؤلمة التى أبداها السير وليم برونيت عن المستوى السياسى للبلاد المصرية. ولكن أكتفى بالإشارة فى عرض الحديث إلى الملاحظتين الآتيتين.

أولا: اذا كان المفكرون من أبناء مصر لم يكن لهم نصيب فعلى أكبر فى أعمال اللجنة المؤلفة لتنقيح القوانين بقصد التوصل إلى إلغاء الامتيازات الأجنبية، فإنما ذلك راجع إلى أن السواد الأعظم منها كان يرى فى بقاء النظامات الدولية فى مصر ضمانا ضد مطامع الصم التى يرمى إليها غلاة أنصار التوسع الاستعمارى من رجال الإنجليز كصديقى السير وليم برونيت.

ثانيا: اذا كان أحد النواب قال للسير وليم برونيت إن المجلس الحالى تنقصه الخبرة الفنية الكافية لبحث مشروع قانون عن السفاتج (الكمبيالات) فإنى أسائل السير وليم برونيت كم رجلا من بين المستشارين وغيرهم من الموظفين الإنجليز في مصر الذين يريد أن يوليهم منصب التقنين يستطيع أن يبحث مشروع قانون كهذا بحث خبير ملم بأطراف الموضوع.

ان المجالس النيابية كلها تدرس المسائل الفنية وتفصل فيها بناء على تقرير ذوى الخبرة الفنية. ومجلسنا كان له أيضا أن يستعين بآراء رجال الفن للبت فى مشروع كهذا. ثم إننا لانكر هنا أننا إنما نطلب حق التقنين فيما يختص بنا نحن المصريين. أما القوانين التى كان يجب بحكم الامتيازات الحصول على تصديق الدول عليها لجعلها نافذة فى الأجانب (كما هو الحال بالنسبة لمشروع القانون الخاص بالسفاتج) فإننا نقبل بشأنها نظاما خاصا

«والنظام الدستورى الذى يجب منحه لمصر ينبغى أن يكون فى إجماله.

(أ) «مجلس نيابى ومجلس عال (مجلس أعيان) يؤلف كلاهما من المصريين دون سواهم، ويختار أعضاء مجلس النواب بطريق الانتخاب. وأما أعضاء مجلس

الأعيـان فيـعينهم ولى الأمـر لمدة حيـاتهم من بين الوزراء وكبـار موظفى الحـكومة السابقين.

(ب) «لايصدر قـانون الا بعد تصديق المجلسين عليـه واعتمـاد السلطان له. أما القوانين التى كان تنفيذها فى الأجانب على عهد الامـتيازات يقتضى مصادقة الدول عليها، فهذه القوانين لايسرى إحداها عليـهم إلا بعد قبول بريطانيا العظمى اعتبارها حالـة محل الدول، ويجب ذكـر هذا القـبول فى ديباجـة القانون نفـسه قـبل إيراد نصوصه وأحكامه.

«وما هى الهيئة التى تستشيرها الحكومـة البريطانية لأجل إبداء قبولها أو رفضها؟ إنى أقترح أن يكون ذلك موكولا إلى المحكمة العليا مجتـمعة بهيئة عامة أى بجميع عرفـها ،وبعـد أن ينضم إليها بعـض عناصر أجنبيـة منتخـبة كالمحلفـين بالجلسات التجارية، مثـلا، فهذه الطريقة تشابه الطريقة المتبـعة الآن لسن القوانين المختلطة مع بعض التحسين فيها (المادة ١٢ من القانون المدنى المختلط).

هذا فيـما يتعلق بضـمان مصـالح الجاليات الأجـنبية. وأما الـوسيلة المؤدية إلى ضمان مصالح حاملى قراطيس الديون المصرية، فتكون على الوجه الآتى.

«فى كلا المجلسين لايجـوز البحث فى شئون الدين العـمومى وبصفة عـامة فى جميع التعهدات والالتزامات الناشئة عن اتفاقات دولية.

«وإنى أضيف فى هذا المقام بصفـة عرضية، لأجل استيفاء بيـان الضمانات المالية التى نعرضهـا على دائنينا، أننا لانمانع مطلقا فى قـبول هيئة أو مستـشار مالى تكون موافقته ضرورية·

١ ـ لأجل أية زيادة فى المصـروفات طـالما لم يوجد احـتـياطى عـام يتجـدد مقداره.

٢ ـ لأجل أخذ أى مبلغ من هذا الاحتياطى

٣ ـ لأجل عقد أى قرض.

«ويكون موكولا إلى هذه الهيئة أو المستشار المالى من الجهة الأخرى السهر على دفع مجموع المال المتحصل من الضرائب العقارية إلى صندوق خاص لحين وفاء المبلغ اللازم لتسديد فوائد واستهلاك أصل الدين الممتاز والدين المضمون وكذلك للمحافظة على بقـاء الاحتـياطى الخـاص والرصيـد المخصص لإدارة الحـركة، وهمـا الأمران المخولان الآن لصندوق الدين

(جـ) يكون الوزراء مسـئولين بطريق التضـامن أمام مجلس النواب عن السيـاسة العامـة للحكومة ويكون كل منهم مسـئولا عن كل عمل من أعمـال إدارته يخالف القانون. =

= إن السير وليم بـرونيت يتكلم عن مسئوليـة الحكومة البريطانية أمـام الجاليات الأجنبية وأمام حاملى القراطيس المصرية (*). فهذه المسئولية تغطيها الضمانات التى =تفرضها تغطية كـافية وافية. ولكن هناك مسئولية أخـرى ملقاة على عاتق الحكومة البريطانيـة وقد أغفل السيـر وليم برونيت الكلام عليها: تلك هى مـسئوليتـها أمام الشعب المصرى. إن بريطانيا العظمى ملزمة أدبيـا بأن تضمن للشعب المصرى وجود حكومة قائمة على المبـادئ المقررة فى القانون العام الحديث، فمسـئولية الوزراء أمام نواب الأمة تتـكفل بهذا الالتـزام. فشتـان ما بين هذا وبين مـشروع الإصـلاحات الدستورية الذى وضعـه السير وليم برونيت. نعم إن العناية بمرافق ١٥٠,٠٠٠ فرد هم مـجمـوع الجاليـات الأجنبيـة فى مـصر (٦٢,٩٧٤ يونانـيا ٣٤,٩٢٦ ايطالـيا، ٢٠,٦٥٣ انجليـزيا، ١٤,٨٩١ فـرنسـيا، ٧,٧٠٥ نمسـاويا، ٢,٤١ روسـيـا، ١,٨٤٧ ألمانيا، ١,٩٥٨ من الملل الأخرى) وبمرافق حـاملى قراطيس الدين المصرى لهى من الأمور المحمـودة، وقد أبدينا نحن أنفسنا قبولنا لها وإقـرارنا عليها. ولكن مرافق مصر وحقوق أمة يبلغ عددها اثنى عشر مليونا من النفوس هل هى مما يداس بالأقدام؟ ان مصر من عهد محمد على تتـولى التقنين بنفسها لنفسها. أما الآن وفى الوقت الذى ترتفع فيه مرتبة الشعوب، فبأى تهكم مر مؤلم تسقط مرتبتنا وتنزع منا امتيازات كنا نتمتع بها تحت السيادة التـركية؟ فأى جريمة اجترمناها حتى نضرب بهذا الحكم المحزن؟ وما الـذى نلام عليه، اللهم إلا أننا عاونا بريطانيا العظـمى بقدر ما تسع طاقتنا وبكل وسائلنا فـى الصراع الذى قام به الحلفاء ضد ما حـاولته ألمانيا من بسط سلطتها على العالم طبقا لهذين المبـدأين الجرمانيين الممقوتين المستنكرين اللذين قد تـدهورا الآن تدهورا تاما: (ان القـوة فوق الحق)، و(أن كل شـعب يحق له أن يرغم شعبـا آخر، ولو كان متحضـرا ولكنه أقل منه تقدما أو مفتـرضا بأنه كذلك، على الخنوع لحضـارته). نعم إننا فى ميـدان الحضارة لايبلغ بـنا الجنون إلى الادعاء بأننا بلغنا شأو دولة كبريطـانيا العظمى. الا أنه على الأقل لاتصح المقارنة بيننا وبين بعض البلاد الشرقية الأخرى الموضوعة تحت حماية الدول الأوربية إن مصر بما لها من النظامات السياسـية والإدارية والقضائية تؤلف من زمن بعيد حكومة حـقيقية، بأتم المعانى الحديثة لهذه الكلمة. فهى تأبى تشبيهها ببلاد فى طفولة الحضارة، وترى أن لها الحق الشرعى فى وضع نفسهـا من جميع الوجوه فى الميزان بإزاء دول أخرى كانت خاضعة فيما مضى من الأيام للحكم التركى ثم تمتعت من يوم تحريرها بنظام دستورى شبيه بالنظام الذى نطالب به».

الامضاء

حسين رشدى

(*) أى الدائنين الأجانب للخزينة المصرية.

٢٩٠٢

على هذه الطريقة، حيث حصل التداول فيها والتعليق عليها، والأمة لا تعرف من أمرها شيئاً. وحصر الأمر فى التشريع فى الوزراء خطر، خصوصاً وهم ليسوا أحراراً فى إبداء آرائهم مع مستشاريهم!

قال : كيف ذلك؟ قلت : الحال كذلك! قال : أما معى فلا!

قلت : إنى اتكلم على النظام الموجود الذى شاهدت وتحملت تطبيقه! فقد عرض على مجلس النظار مشروع لشراء الحكومة لموجودات سكك [ص ١٩٠٨] حديد الواحات، وماكنت قرأته : لا أنا ولا محمد سعيد باشا، فطلبت تأجيل النظر فيه حتى ندرسه، فغضب المستشار المالى «هرفى» إذ ذاك، وقال : كيف ؟ وأنا الذى وضعته ودرسته ورأيت أنه صالح لمصر وفيه منفعة لها؟ وتقرر فى هذه الجلسة؟

ثم شكونا لجورست عميد الاحتلال اذا ذاك، فلامنا على ذلك وقال : مادام رئيس النظار متفقاً مع الناظر المختص على أمر، فليس لبقية النظار حق المعارضة فيه! قلت: لم يكن الغرض معارضة، بل فهما! وما أردنا بالفهم معارضة،

ولكن فهم ما نقرره[٣٥٤] ونكون عنه مسئولين!

وطلب منى أن أتفاهم مع المستشار المالى، وأن أفهمه قصدنا، فلم أفعل .

فهذا ما شاهدت وما تحملت!

فقال : إن هذا غير حسن!

وكان الوقت قد آن للانصراف، فقلت : للحديث بقية، قال : ولكن على شرط الكتمان.

قلت: أنت أحق بهذه الدعوة منى، فقد أفشيت حديثا دار بيننا فى بيتك[٣٥٥] ونقلته للوزراء، وهو الحديث الذى جرى عن تحليف الجمعية التشريعية يمين الطاعة للسلطان . . إلخ! . [ص ١٩٠٩] قال : كذلك !

ثم مال إيموس[٣٥٦] بجانبى وقال : أتريد أن تتعلم اللغة الأميريكية؟ قلت : ولكن المصيبة أنها إنكليزية!.

فى ٣ فبراير سنة ١٩١٩

فى يوم ١٤ يناير الماضى، تكلم معى عدلى باشا فى

(٣٥٤) «ما» غير موجودة فى الأصل .

(٣٥٥) وقد تقرأ : « فى بيتي» .

(٣٥٦) ايموس هو مستشار الحقانية بالنيابة.

منزله، وكـان معى لطفـى بيك، فى أن ونجت عرض عليـه وعلى رشدى السفر. وهما فى حيرة بين القبول والرفض.

فـقلت : لا مـوجب للحيـرة، لأن الإذن لكمـا ـ دون الوفد بالسفر لا يمكن قبوله، لعدم فـائدة سفركما وحدكما! والإذن بسفر الفريقين لا يمكن رفضه، والأمر واضح.

واجـتمـعت برشدى فى منزل عـدلى بعد ذلك، وأخـذ يحلل سفرهما دون الوفد، بأنهما يتمكنان من إقناع الحكومة الإنجليزية بـسفر الوفـد، واذا لم تعرض الحكومة الإنـكليزية نظاماً للحماية مقبولاً فإنهما يستعفيان(٣٥٧) .

قلت : أخـشى أن يكون ذلك تسـويفـا، أى خـدعـة وحيلة!

فغضب، وأخذ يقرأ جريدة الأهرام! فانفعلت، وقلت : إنى لم أحضر لأراك تقرأ! وإذن أنصرف!

وفى الصبـاح، اجتمع رشـدى وثروت وعدلى فى بيت الأخير، وقرروا رفض السفر اذا لم يؤذن للوفد، وبلَّغوا ذلك إلى ونجت فى اليـوم نفـسـه ـــ أى فى يوم ١٥ أو ١٦ يناير على ما أتذكر ـــ.

---

(٣٥٧) هذا الكلام يعنى قبول رشدى وعدلى الحماية.

وكـانت(٣٥٨) اللغة التى بلغهـا لى عدلى فى مساء ذلك اليوم إيمانه [ص .١٩١] أنه لا سفر للوزراء دون سفر الوفد، وأن سفر الوفد أصبح فى حكم المقرر، ويمكن لأعضائه أن يعدوا أنفسهم له، وأن ونجت مسافر يوم الاثنين ٢٠(٣٥٩) يناير، ويلح هو بنفسه فى باريس على وجوب سفر الوفد، وله ثقة تامة فى النجاح، وأنه يخبر بنتيجة مسعاه فى ظرف ٤٨ ساعة من تاريخ وصوله إلى باريس، وأنه لكى يكون الإذن بالسفر منتجاً، سيدبر الوسائل لإيجاد محلات(٣٦٠) لأعضاء الوفد .

فبناء على ذلك، رأينا أن نقيم حفلة مساء يوم الاثنين ٢٧ يناير لتكون حفلة وداع، إن ورد إذن السفر، أو خطابية(٣٦١) إن لم تكن كذلك. ولكننا لما وجدنا أن ذلك اليوم قريب جداً ربما لا يصل الخبر قبله من باريز، أجلنا تلك الحفلة إلى يوم الجمعة ٣١ منه، باعتبار أننا نكون تأكدنا فيه من السفر أو عدمه.

(٣٥٨) فى الأصل : فكانت .

(٣٥٩) فى الأصل غير موجودة ولكن اللورد ونجت سافر من القاهرة يوم الاثنين ٢٠ يناير ١٩١٩ إلى بور سعيد، واستقل الباخرة يوم ٢١ منه، وناب عنه فى غيبته السير ملن تشيتام (االرافعى ثورة: ١٩١٩) .

(٣٦٠) أى أماكن اقامة .

(٣٦١) يقصد حفلا يخطب فيه سعد زغلول .

وفى يوم الأربعــاء ٢٩ منه، تقابلت مع رشــدى باشا فى منزله، وعلمت منه أنه لم يرد خبر، واستفهم بالتلفون بشأنه فكان جــوابه[٣٦٢] سلبياً. فـقال : يمكن أن يصل الى آخر الشهر! قلت : كان الموعد قبل ذلك!

ثم استوضح عن المحادثتين اللتين جرتا بينى وبين الأمير كمال الــدين، ثم برونيت؟ فاختصــرتهما له. فقــال : حسناً فعلت .

ثم لما تثاءب ، وهم بالقــيام شاكياً برداً أخــذه وتعبا ألـم به، خــرجنا من الأودة التــى كنا فــيـهــا على أن يدخل هو ليستريح.

[ص ١٩١١].

وبعــد أن خرجت من المنزل، وابــتعــدت قليلا، وقــفت لقضــاء حاجة! وبينمــا أنا كذلك، وإذا به [٣٦٣] مــــارا فى أتومبيل! فتعجبت! وفــهمت أنه يتمارض لكى يهرب منا كما هرب من قبل!.

وقد أخبرت زملائى بما تم، فاستغربوا!

وحضر عدلى فى الساعــة أربعة من بعد ظهر يوم الأحد

(٣٦٢) أى جواب السيرريجنالد ونجت.

(٣٦٣) أى رشدى باشا .

٢ فبراير، ومكث أزيد من ثلاث ساعات، وتقرر بيننا أنهم[٣٦٤] يكتبون غداً ـ الاثنين ـ إلى شيتَم[٣٦٥] كتاباً يبلغونه فيه أنهم لايمكنهم أن يصبروا، فقد نفد صبرهم، ولم يبق لهم إلا أن يُخلو[٣٦٦] نهائيا، وأنهم يعملون عملاً من شأنه أن يفهم الناس أن ليس عندهم نية العودة إلى مراكزهم .كاحتجاج على منعنا من السفر إلى ويلسون[٣٦٧]، أو كتابة للوفد يعلنونه فيها بيأسهم من السفر.

وقال عدلى: إنه يفكر فى ذلك مع رشدى باشا.

فى يوم الاثنين ٣ فبراير، قال عدلى لإسماعيل صدقى: إن رشدى كان تكلم بالتلفون مع «شيتام» يستعجله، فقال له: إنى أرسل تلغراف استعجال. فقال له:

حسن، وإذن يجب إنتظار رد التلغراف ثلاث أيام ـ أى إلى يوم الخميس ٥ منه ـ وحينئذ يكتبان تلك الكتابة ويفكران فى(. . .)[٣٦٨] ذلك العمل.

---

(٣٦٤) أى عدلى ورشدى.
(٣٦٥) «شيتم» هو السير ملن تشيتام Milne Cheetham القائم بعمل المندوب السامى.
(٣٦٦) أى يُخلو مناصبهم نهائياً. أى يصرون على قبول الاستقالة.
(٣٦٧) أى إلى مؤتمر الصلح.
(٣٦٨) كلمة غير مقروءة.

٢٩٠٨

وفى هذا اليوم[٣٦٩] أخبرنى إسماعيل صدقى أنهما انقطعا عن العمل، وأمتنعاً عن إمضاء الأوراق التى عرضت عليهما، ويوم السبت يكتبان تلك الكتابة!

فلم نفهم فصل الكتابة [ص ١٩١٢] عن الانقطاع عن الأعمال بيومين!

ويوم السبت أمس، اجتمعنا فى النادى بعدلى، ثم به مع رشدى، فقال عدلى: إن الكتابة إلى الوفد غير مفيدة[٣٧٠]، ولامعنى لها! والكتابة إلى «ولسن»[٣٧١] هى الأهم والأفيد إن فعلها رشدى، (. . .)[٣٧٢].

فحاولنا أن نفهمه أهميتها، ولكننا لم نقنعه فيما يظهر!

وقلت له: أحب أن لا يكون الغرض حرماننا من الأمرين[٣٧٣]: أحدهما لعذر، والآخر للعجز عنه!

ثم قال رشدى: إنه فى الحقيقة لم يكن تحدد ميعاد معين لوصول خبر عن السفر، وإنما قيل ما يستنتج منه عقلاً تحديد

---

(٣٦٩) أى يوم الخميس.

(٣٧٠) فى الأصل: غير مفيد.

(٣٧١) د. ولسن رئيس الولايات المتحدة، وصاحب شعار حق تقرير المصير.

(٣٧٢) عبارة غير مقروءة

(٣٧٣) أى: عدم السفر، وعدم كتابة الحكومة إلى الوفد.

٢٩٠٩

ميعاد!

ثم استدرك على ذلك بقوله: وقد فات ـ مع ذلك ـ هذا الميعاد! على أنهم(٣٧٤) معذورون فى التأخير، لارتباك الأحوال. وقد صممت على أن أكتب يوم الاثنين كتابة أسرد فيها تاريخ المسئلة، وعزمنا على التمسك بالاستقالة وإصرارنا عليها. وأما فعل أمر آخر وراء ذلك، فإنى أعطى لنفسى الحرية فيه، لأنى أكون حينئذ فرداً من الأفراد. ولا أكتب لولسون، لأنه لا شأن لى فى الكتابة إليه، وإنما أطلب السفر، فإذا مُنعت منه شكوت، ولكن إلى انجلترا!

فقال له عدلى: إن الكتابة لولسن تكون مفيدة، لأنك وإن تكن فرداً من الأفراد؛ إلا أن لهذا الفرد مزية مرتبطة بشخصه [ص ١٩١٣] فالكتابة من هذه الجهة مفيدة.

وأخذ كل منا يبين له فائدة تلك الكتابة. فقال: إنى لاأقبل أن تُملى علىَّ خطتى، وفى يوم الاثنين أتداول مع عدلى باشا فيما أفعل، ويمكنكم أن تتكلموا معه.

ولما ذُكر أمامه كون الناس فهموا من إمضاء الأوراق التى أمضوها، وفيها الأمر بتجديد أجل المحاكم المختلطة،

---

(٣٧٤) أى الحكومة البريطانية.

رجوعهما إلى الوزارة، وسحب الاستعفاء، امتعض، ورمى الناس بعدم الثقة.

وكان فى حديثه معنا قلقاً، يقول لسان حاله: إنكم قد تجاوزتم الحد معى، ولا شأن لكم فيما أفعل. وإن الناس مغفلون.

وأعلن أنه لا يمكن أن يقتنع بغير رأيه، وانصرف.

ومكث عدلى بعده برهة، ثم انصرفنا.

وقد تقرر فى نفوسنا أن الاثنين مخاتلان، وأن كلا منهما لا يريد أن يفعل لأمته شيئاً، ولا أن ينفصل عن وظيفته، ولكن أحدهما خفيف أهوج، والآخر رزين أمكر، الأول لا يستطيع أن يخفى ما بنفسه، والثانى يخفيه. والله مدبر!

[ص ١٩١٤]

فى ١١ فبراير

قدم رشدى أمس عريضة للسلطان يصرفيها على الاستقالة، لأن ونجت تأخر فى إبلاغ قرار حكومته بشأن سفر من يريد السفر من المصريين تأخراً زائدا. وجاء فى هذه العريضة إنه، بناء على وعد ونجت أن يسعى لدى حكومته فى الإذن لهؤلاء بالسفر، قبل رشدى أن يباشر أعمال

الحكومة المستعجلة، وفعلاً أمضى الأوامر التى لها هذه الصفة، وأمضى الأمر الخاص بتجديد أجل المحاكم المختلطة. إن هذه الحالة غير اعتيادية، ومحال الاستمرار عليها(٣٧٥) وقد أعلمنى اسماعيل صدقى باشا بهذا أمس، وأطلعنى عدلى على نص تلك العريضة فى النادى اليوم، ووعد أن يزورنا غدا، ورأيته يتقرب منا، ويحاول أن يجتذبنا إليه.

---

(٣٧٥) كلمة الاستمرار غيرموجودة فى الأصل، ولكنها تؤدى معنى الكلمة غيرالمقروءة فى الأصل. وسعد زغلول هنا يلخص خطاب استقالة حسين رشدى باشا، وقد ورد فيه فى هذا الصدد: «**ياصاحب العظمة السلطانية**: «على أثر كتابى المرفوع إلى سدتكم العلية بتاريخ ٣٠ ديسمبر ١٩١٨، الذى ألححت فيه ذلك الالحاح على عظمتكم بقبول استعفائى، قد كنت رضيت ـ من باب التوفيق ـ بالاتفاق الآتى بيانه. وهو أن صاحب المقام الجليل المندوب السامى ينتهز فرصة سفره إلى لندن، فيشرح شفهياً للحكومة البريطانية أننى، بعد وصول الحالة إلى الحد الذى بلغته، أصبحت لاأكتفى بما عرض على وقتئذ من سفرى أنا وزميلى عدلى باشا إلى لندرة فى النصف الأول من فبراير، وأننى أشترط لسحب استعفائى شرطاً أساسياً وهو. إباحة السفر إلى أوربا لمن يطلبه من المصريين. وكان من ضمن ذلك الاتفاق ورود جواب الحكومة البريطانية بالتلغراف فى بحر مدة مناسبة بعد وصول المندوب السامى إلى انجلترا، وأنه إذا كان هذا الجواب سلبياً فإن عظمتكم تقبلون استعفائى فوراً، وأننى فى أثناء هذه الفترة أباشر بصفة وقتية محضة تسيير الأمور المستعجلة، الأمر الذى دعانى للتوقيع على مرسوم تجديد المحاكم المختلطة منعاً لوقوف سير القضاء.

«على أنه قد مضى عشرة أيام على الأقل بعد الوقت الذى لابد أن يكون المندوب السامى وصل فيه إلى لندرة. ومع ذلك فلم يصلنى جواب ما.

«يستحيل على أن أقبل أى تأخير جديد، وإننى أعتبر فى حل من القيام ولو مؤقتاً بأى عمل، حتى ولو كان مستعجلاً، فأعود إلى التمسك بكتابى المشار إليه المؤرخ فى ٣٠ ديسمبر ١٩١٨، والتمس من عظمتكم بكل إلحاح إنهاء حالة شاذة قد زاد طول العهد عليها.

«وإننى لعظمتكم يا مولاى العبد المخلص والخادم الأمين المطيع».

القاهرة فى ١٠ فبراير ١٩١٩

(حسين رشدي)

طلبت من مظلوم أن استعفى من جمعية الهلال الأحمر، لأنى لا أتحمل الغاية التى يسعى لها أمين يحيى لدى السلطان، ومداخلة عظمته فى مسائلها. وإن عظمته يريد تعيين أمين يحيى لوظيفة القنال.

[ص ١٩١٥]

فى يوم الجمعة ٧ فبراير سنة ١٩١٩ حضرت آخر محاضرة ألقاها بارسفال، المستشار بمحكمة الاستئناف، عن مشروع قانون العقوبات. وكان الحاضرون فى قاعة الجمعية[٣٧٦] كثيراً كثرة استلفتت نظر المحاضر، فسُرَّ بها، وشكر الحاضرين عليها.

وبعد أن ختم محاضرته، أبديت الملاحظة الآتى حاصلها:

«مشروع قانون العقوبات يقلب التشريع الحالى رأساً على عقب دفعة واحدة، وهو خطر كبير، ثم إنه يفرض حماية لا وجود لها قانوناً، لأن المصريين لم يقبَلوها، ولن يقبلوها[٣٧٧]».

---

(٣٧٦) يقصد بالجمعية: «الجمعية السلطانية للاقتصاد والإحصاء والتشريع.

(٣٧٧) نظراً لأهمية هذه المحاضرة نورد نصها كما أورده الرافعى فى كتابه ثورة ١٩١٩ «حضر سعد زغلول الاجتماع يصحبه أعضاء الوفد وكثير من أنصاره، وغصت القاعة بجمع حاشد من المستمعين، وكلهم من رجال القانون والقضاء =

= والمحاماة، وعليـة القوم والطبقة المثقـفة. وكان من بين الحاضرين عـبدالخالق ثروت باشا وزير الحقانية، ومحمد شكرى باشـا وكيلها، والمستر ايموس مستشارها بالنيابة.

وما أن انتهى المسـتر برسيفال من إلقاء محـاضرته، وكان يلقيها بالـفرنسية، حتى وقف سعد زغلول واعتلى منبرا الخطابة، وقال: إن لديه ملحوظات يريد إبداءها، وبما أن المحاضر يفـهم العربية، فإنه سيلقى مـلاحظاته بالعربية، وألقى الخطبة الآتية:

«أيها السادة» :

«أنى أشكر حضرة المحاضر على ما قاله من أنه يريد أن يكون لمصر فى المستقبل شرع خاص. ولكنى أقول لحضرته إن هذا الشرع موجـود فعلاً منذ أمد بعيد ــ إن أمتنا المصرية ليست من قبيل الأقوام الهمج الذين ليست لهم شرائع مقررة. وأيما بلد ما كبلدنا تكون له حـياة عريقة فى الـقوانين والشرائع، فإن من الخطر أن يعـمد إلى تغـيـيـر كلّى فى شرعـه بدون أن تدعو الضـرورة لذلك، أو تهدى إليـه التجـربة والاختيار.

«إن قانون العقوبات المصرى المأخوذ عن القانون الفرنسى، جرى عليه العمل من زمن طويل. فهو جزء من محصولنا القانونى، تشربتـه أفئدة قضاتنا ومحامينا، وسرى فى أخـلاق الأمة سـير الدم فى الجـسد. قـد يكون فى المشـروع الذى تكلم عنه حضـرة المحاضـر بعض نصوص صـالحة فى ذاتهـا، ولكنى لا أرى محـلاً لقلب التشريع الموجـود الآن رأساً على عقب من الأرض! إلى السمـاء ومن السماء إلى الأرض! إن فى ذلك ضرراً عـظيماً بما ألفـه الناس فى هذه البلاد من المـعلومات القانونية. ولكن يظهر أن المراد هو التخلص من النظريات والتقاليد المؤسسة عليها هذه المعلومات.

«لأجل وضع نصوص قـانونية مكان أخرى مـوجودة من قبـل، ينبغى أولاً أن تكون هذه النصوص الجديدة متفقة مع أخلاق البلاد وعـاداتها ومألوفاتها العلمية. ثانياً: أن تقوم الأدلة على ضرورة وضعها، كالإحصائيات وقضاء المحاكم وآراء أهل الفن.

«لست أنكر الفائدة من مناقـشة مشروع جـديد لهذه الجمعـية، ولكنى ألاحظ أن موضوع المناقشة الآن ليس مجرد مذهب علمى فى مسألة بعينها، وإنما هو أعظم من ذلك بكثير، هو أمر يمس حالتنا السياسيـة والاجتماعية مما لايصح أن يتخذ هذا المنبر أداة له (يريد منبر خطابة الجمعية).

فصفق الحاضـرون تصفيقاً حاداً جـملة مرات، وصاحوا عند خروجى فى الشارع بالدعـاء لى جملة مرات، وأثر ذلك فى عالم القضاء والمحاماة تأثيراً حسناً.

ولم يرتح إليه عظمة [ص ١٩١٦] السلطان، وقال إن

«أستميحكم القول بأنى أخـشى كثيراً أن يكون فى بحث هذا الموضوع فى هذه الجمعـية العلمية خروج بها عـما وضعت له. وأن يتخذ ذلك وسـيلة للقول برضا الأمة بهذا التقنين، وأن يسـتغنى به عن مناقشات الجمعية التـشريعية التى هى الأداة التشريعية النظامية فى البلاد.

«أشار حضـرة المحاضر إلى أنه تحول على الجـمعية التشـريعية مشـروع يتضمن تعديلاً فى نصوص القانون الخاصة بالضربات والجـروح، ولم نفعل فيه شيئاً. نعم إن هذا المشروع تحول عن لجنة الحـقانية التى أنا رئيسها، فرأت أنه يلـزمها للاقتناع بضرورة التعديلات المعروضة، بيانات وإحـصاءات طلبت من وزارة الحقانية تقديمها إليها ،وكررت هذا الطلب عدة مرات، حتى انتهى دور انعقاد الجمعية ولم ترد هذه البيانات.

«رأيت أنه من واجـبى أن أبدى لحـضراتكم مـا قـدمت من الملاحظات، ولكن هناك أمر آخر هـو أهم ما يجب التنبيه إليـه: قد تكلم حضرة المحـاضر عن الباب الثانى من المـشروع، وفى هذا الباب مـا يتعلق بحـالة سياسـية لا وجـود لها الآن بمصر. إن بلادنا لها استقلال ذاتى ضمنته معاهدة لندرة سنة ١٨٤٠، واعترفت به جميع المعاهدات الدولية الأخرى. وعبثاً يحاولون الاعتماد على ما حصل من تغيير هذا النظام السياسى أثناء الحرب. إنكم أيهـا السادة تعلمون، وكل علماء القـانون الدولى يقررون،أن الحماية لا تنتج إلا من عقـد بين أمتين تطلب إحداهما أن تكون تحت رعاية الأخرى وتقبل الأخـرى تحمل أعباء هذه الحماية. فهى نتيـجة عقد ذى طرفين: موجب وقابل، ولم يحصل من مصر ولن يحصل منها أصلاً.

«وفى سنة ١٩١٤ أعلنت إنجلترا حمـايتها من تلقاء نفسهـا، بدون أن تطلبها أو =تقبلها الأمـة المصرية، فهى حماية باطلة لاوجود لهـا قانوناً، بل هى ضرورة من ضرورات الحـرب تنتهى بنهايتـها ولا يمكن أن تعيش بعـد الحرب دقيقـة واحدة».

هذا العمل آت من حب الظهور، لا من الميل إلى مصلحة البلاد!

وبلغنى أن عظمته بعد أن كان مرتاحاً إلى خطة الوفد، انتقض عليه، وأخذ يندد به فى كل فرصة!

وقد وقعت تلك الملاحظات عند غيره موقع الإستحسان، وأخذ رجال القانون وجملة منهم يؤيدونها، ويسندونها كأنها صادرة منهم.

فى ١٨ فبراير سنة ١٩١٩

طلب عشرة محامين انكليز أن تكون المرافعة، ووضع القوانين، باللغة الإنكليزية، على المبادئ الانكليزية! وأن يكون بجانب كل قاض وطنى فى القضايا الأهلية قاض إنجليزى! فوضعت رداً عليه، وأرسلته إلى «مصر» و«المقطم» و«الأهرام»، فلم تنشره واحدة منها![٣٧٨].

---

(٣٧٨) مطالب المحامين الإنجليز العشرة ورد سعد زغلول عليها:

أثار عشرة من المحامين الانجليز عاصفة بمصر بمذكرة قدموها إلى لجنة إلغاء الامتيازات، طلبوا فيها مطالب فندها ورد عليها المحامون لدى المحاكم المختلطة بمذكرة طويلة. ثم عالج الموضوع السير وليم برونيت المستشار القضائى وسكرتير لجنة إلغاء الامتيازات. ولكن المحامين العشرة عادوا إلى مطالبهم وتأييدها والإلحاف فى إنفاذها، وقالوا فى مذكرة جديدة قدموها ما ملخصه:

«من الواجب علينا ،رعاية لمصلحة الأمة البريطانية فى مصر وضمانة للمصالح المالية والاقتصادية الانجليزية فيها، أن نذكر للجنة آراءنا بصراحة، فنقول إنه ليس فى الإمكان تحقيق الآراء القانونية الجديدة التى تطلبها اللجنة إلا إذا أصبحت اللغة الانجليزية عاجلاً أو آجلاً لغة المحاكم بصفة نهائية. =

= «ونحن نطلب وضع القوانين الجديدة باللغة الإنجليزية رسمياً، ومن الممكن ترجمتها إلى اللغتين الفرنسية والعربية، ويجب أن تكون اللغة الإنجليزية إجبارية فى الدفاع الشفوى والتحريرى أمام جميع المحاكم عدا التى يجب أن تكون لغتها عربية. ولكن لا تكون اللغة الإنكليزية إجبارية إلا بعد مضى مدة محدودة نقترح أن تتراوح بين خمس وسبع سنين.

«ويجب أن يوضع القانون الأهلى مطابقاً للأصول القانونية الإنجليزية. ونرى أنه من الموافق ادخال نظام القانون الجنائى الإنجليزى فى مصر، وليس لقائل أن يقول إنه ليس لدينا ما يدل على نجاح هذا النظام فيها، إذ الأمر بالعكس.

«ونحن متأكدون أن تطبيق القانون الجنائى الإنكليزى فى مصر يكون حاسماً لكثير من العلل الموجودة فى النظام الحالى، وخصوصاً سوء النظام بين البوليس والنيابة. ولابد أن نتساءل هنا إن كان من الممكن إدخال نظام المحلفين فى المحاكم الجنائية فى مصر أو لا؟ ونظن أن إدخاله لا يجد شيئاً من الصعوبة.

«ولا نستطيع أن نفيض الآن فى كيفية انشاء المحاكم الوطنية الجديدة، ولكننا نقول إنه من الضرورى إيجاد أوربى بجانب الوطنى فى المحاكم للنظر فى المسائل الأهلية.

«وليس من الصعوبة على أعضاء نقابة المحاماة المختلطة إعداد أنفسهم لهذه التغييرات، ولما كانت اللغة الإنكليزية آخذة فى الانتشار بسرعة، فإننا لانظن أن تبدو معارضة من جانب المصريين فى هذه التغييرات، والقانون الإنجليزى معمول به فى الهند وفى السودان».

«نشر هذا فى جريدة الأهرام بعددها الصادر فى ١٦ فبراير ١٩١٩، فما كاد الوفد يطلع عليها حتى بادر رئيسه بإعداد الرد عليه وأرسله إلى بعض الجرائد لنشره، ولكن الرقيب لم يصرح بذلك. ونحن نثبت للقارئ هنا رد سعد باشا

«طلب المحامون الإنجليز العشرة أن تكون المرافعة أمام المحاكم باللغة الإنجليزية، وأن توضع القوانين رسمياً بهذه اللغة، وأن يكون وضعها على المبادئ الإنجليزية، وأن يكون بجانب كل قاض وطنى قاض أجنبى. وزعموا أن المصريين يقبلون هذه المطالب عن طيب خاطر، وأنها لازمة لضمانة المصالح الإنجليزية فى مصر.

«أبدوا هذه الملاحظات ولم يقدّموا على مطلب منها دليلاً بل لم يستأنسوا لها بشىء من المعقول، مخالفين بذلك ما تقتضيه صناعتهم من البرهنة على صحة طلباتهم، وكأنهم يتوهمون أن جنسيتهم كافية لتبرير كل طلب، ومصلحة مواطنيهم تعلل صحة كل رغبة. ولكن فاتهم أن يعلموا أننا فى نهاية زمان القوة وبداية عصر الحق، وأن المصالح متساوية فى وجوب العناية بها، لا فرق بين مصلحة القوى ومصلحة الضعيف، وأن الأمة المصرية لا يمكن أن تترك الغير يتحدث عن ميولها بما يوافق رغبته، ولاأن تغض الطرف عن كل ما يمس مصلحة بنيها.

«إن مصالح الإنجليز فى مصر، كغيرها من مصالح الدول الأجنبية، قديمة ولم يمسها ضرر من=

[ص ١٩١٧]

رأيت أعـمالاً(٣٧٩) لبعض المتهوسين، الذين ينقمون علينا أمام السذج إعلان احترام الإمتيازات وديون الأجانب.

إذ ينشر أمين الرافـعى بياناً بقلمه وتحت اسمـه، يتضمن آراء مصطفى كامل وغـيره من الذين قاموا بحركات سـياسية فى مصـر. فجـمع شيئـاً من أقوال الشـيخ عبده ومـصطفى

= عدم وجود مـا يطلبه هؤلاء المحامون، فمـا الذى حدث الآن حتى تتضـرر تلك المصالح بعدم جعل اللغـة الإنجليزية وحدها هى لـغة القوانين والمرافـعات، وبعدم وضع القـوانين على المبادئ الانجليزية؟ ومن عـدم وجود قاص إنجليـزى بجانب كل قـاض وطنى؟ ألا توجد بمصر مـصالح اخرى تجب رعايتها غير المصالح الإنجليزية؟ أين مصالح الأمة المصرية بتمامها؟ أين مصالح الأمم الأخرى النازلة فيـها؟ هل يريد هؤلاء الحقوقيون أن تداس كل هذه المصـالح تحت أقدام المصالح الإنجليزية؟

«فى أى شرع قـرأوا أن مصلحـة أمة بتمـامهـا، تبلغ زهاء ثلاثة عشـر مليوناً، يضـحى بها لمصلحة بضعة أشخاص أجانب عنها، لهم فـوق هذه المصلحة مصالح فى بلادهم تكفيهم العيش وشر الحاجة لو قنعوا بها؟ فى أى شرع قـرأوا أن القاضى يجب أن يكون أجنبياً عن المتقاضين لا يعرف لغتهم ولا أخلاقـهم؟ وأن المتقاضين هم الذين يجب عليهم أن يتعلموا لغته ليـترافعوا بها ليتمكن من القضاء فيها بالـقانون الذى يعرفه هو وهم يجهلونه؟ أليس من الغريب أن تصدر هذه المطالب من حملة القوانين؟ فما الذى ننتظره من حملة السيف والخنجر؟

«أعـجب من هذه المطالب زعم هؤلاء المحـامين بأن الأمة المصـرية تقـبلها! ـ كـيف يرضى المصريون أن ينقلب شرعهم رأساً على عقب ،ويستـبدل به شرع لا يعرفون مبادئه، ولا يدركون مناحيه، بلغة لا يعرفونها ولن يعرفوها إلا إذا بدلوا بغيرهم؟ كيف يقبلون أن يترافع عنهم من لا يمكنهم أن يشرحوا بلغـتهم وقائع قضيـتهم؟ ويرتاحون إلى أن يقضى فيـهم من يجهل عوائدهم وأخلاقهم وميولهم وتاريخهم؟ أليس هذا الزعم جرأة على الحق لا مثيل لها؟

«إن من يقرن هذه الطلبات الخاصة بالقضاء بمذكرة السير برونيات المستشار المالى والتشريعى، وهى التى رد عليها حضرة صاحب الدولة رشـدى باشا رئيس الوزراء فى مذكرته المشهورة، يرى الكل صادراً عن ميل واحد هو الرغبة فى جعل المصريين غرباء فى بلادهم!

(٣٧٩) قراءة اجتهادية

كامل، وأبى أن ينشر شيئاً من أقوال «الجريدة» و«المؤيد» اللتين كانتا لسان حزبين فى مصر، بعلة أن ذلك يعرضه لسخط إخوانه من أعضاء الحزب الوطنى.

فلم يحسن ذلك فى نظرى، ولا فى نظر كثير من إخوانى، ورأينا أن الأولى العدول عن هذا البيان.

ويؤسفنى جداً تفرق الآراء حيث يجب اتفاقها، وأن تتغلب الأهواء عل المصالح العامة. ويخيل لى أن هذا مرض محلى مصرى، ولكن يقال إن هذا عام فى كل الأقطار!

إن كان الأمر كذلك، فما أضل الإنسان عن طريق الهدى، وما أسوأ صناعة الارشاد.

[ص ١٩١٨]

إذا كان القائمون بالحركات السياسية والانقلابات العمومية هم أول من يخسرون إذا كسبوا، وأول من يصابون إذا خسروا، فما أسفه أحلامهم، وما أقل عقولهم، وما أشد حاجتهم إلى الموعظة والاعتبار؟

فى ١٨ فبراير

إنى أعجب لنفسى ولمن حولى! فنطلب الاستقلال، ونعرض أنفسنا للخطر، ومصالحنا للعطل، وأوقاتنا للضياع

ـ وقـومنا الذين نشتـغل لاستـقلالهم، منهم من يـستهـجن أعمالنا، ويستخف بنبـئنا! ومنهم من يرمينا بالخيانة والتواطؤ مع الأعداء! ومنهم من يتجـسس علينا وينسب إلينا أموراً لم تخطر لنا على بال! ومـنهم المنصرفـون عنا، الغـافلون عمـا نعمل! فما هذا الضلال؟ وما . . .(٣٨٠)

[ص ١٩١٩]

فى يوم ١٨ فبراير سنة ٩١٩

زارنى رشـدى باشا مع ابنتـه الصـغيـرة، ولـم يلبث إلا قليلاً، ولـم يتكلم إلا أقل.

قـال: إنه سأل عظـمة السلطان عن الـنشائع من زواجـه بكريمة عبدالرحيم صبرى؟ فقال: إن شاء الله!

فـسأله عـما إذا كـان أمهـرها باثنى عـشر ألف جنيـه، وأهداها عقداً بستة آلاف؟ فقال: إنشاء الله.

فقال: أجيب بذلك من سأل؟ قال: افعل!

ثـم قال: ولـم يرد لدار الحماية إلى الآن خـبر عن السفر! ثم انصرف.

(٣٨٠) الكلام مقطوع، ولكنه يعبر عن ألم سعد زغلول لما يراه، ولم يكن يدرى أن الثورة تعتـمل فى صدور الشعب، وأن ما يراه هو من عمل الجـاقدين على الوفد من الساسة.

٢٩٢٠

في يوم ٢٠ منه

عرضت على كثير من إخوانى أن يأذنوا لى في أن أنفذ ما يقررونه من إرسال أوراق إلى الخارج بطريقة سرية، ويباح لى أن لا أذيعها فيهم. فامتعض لذلك محمد باشا محمود، وقال غضباً: إن شرفه وشرف الأعضاء يأبى! ذلك فلم يكن منى أن عدلت عن الاقتراح متأسفا.

٢١ فبراير

يقيم اليوم أنجال بطرس باشا احتفالاً بذكرى وفاته، ودعوا الناس لحضوره، وسأذهب إلى حضوره في هذه الساعة ٨,٠٠[٣٨١].

(٣٨١) توجد صفحة غير مرقمة كتبها سعد زغلول بالألمانية يوم ٢١ مارس ١٩١٧، وقد تعذرت ترجمتها لسوء الخط لبعدها عن قواعد الكتابة بالألمانية، وقد كتبها سعد زغلول فى فترة اهتمامه بالتدريب على الكتابة باللغة الألمانية وقد أتبعها بيومية فى ٥ أبريل ١٩١٧، وقد أوردناها فى الجزء السادس من مذكرات سعد زغلول ص١٨١، ويمكن للقارئ الاطلاع عليها.

الكشافات

★ قام بإعداد هذه الكشافات:

د. يواقيم رزق



أولاً: كشاف الأعلام

- ش -

- ص -

- ط -

- ع -

- غ -

- ف -

- ق -

- ن -

- هـ -

- و -

- ى -

ثانياً: كشاف الهيئات

- ق -

- ك -

- ل -

- م -

- ن -

- هـ -

- و -

ثالثاً: كشاف البلاد والأماكن

رابعاً: كشاف الأحداث التاريخية

خامساً: كشاف الدوريـــــات

ملحق رقم (١)
كلمة سعد زغلول
أمام الجمعية التشريعية يوم ١٤ يونية ١٩١٤
فى مناقشة مشروع قانون شركات التعاون الزراعية

حرية تكوين الشركات التعاونية وتسجيل عقودها بواسطة السلطة القضائية

« نحن نبحث الآن فى أمر واحد فقط وهو كيفية تكون شركات التعاون الزراعية . أما كونها كيف تراقب أو كيف تحل فسيأتى هذا فى موضعه

موضوعنا الذى تتناقش فيه الآن والذى أستلفت إليه أنظار حضراتكم هو هذا : كيف تتكون شركات التعاون ؟ هل تتكون بأمر من السلطه الادارية أو بدون أمر من هذه السلطة ؟

ترى الحكومة وجوب أن لا توجد هذه الشركات إلا بأمر إدارى . وترى اللجنة أنها توجد كسائر الشركات التى لا تحتاج فى تكونها إلا إلى العقود ولكن لا يكون وجودها حجة على الغير إلا إذا سجلت عقودها بطريقة خاصة وبحسب شروط خاصة

تقول الحكومة تأييدا لرأيها إن الشركات فى حاجة ضرورية إلى اقتراض المال . وكل شركة محتاجة إلى اقتراض المال لا يمكنها الحصول عليه بفائدة معتدله إلا بواسطتى . ويلزم من كون شركات التعاون فى حاجة إلى وساطتى هذه أن لا توجد إلا باذنى . فلذلك أنا أشترط لوجودها هذا الشرط

مقدمات غير مسلمة ونتيجة باطلة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أما وجه بطلان المقدمة الأولى وهى « أن كل شركة في حاجة إلى اقتراض المال » فان الذى نعلمه أن هناك كثيرا من الشركات مكتفية برؤوس أموالها وما تنتجه رؤوس الأموال هذه من الأرباح بدون حاجة إلى الاقتراض . وهى مسألة بديهية يعرفها الناس جميعا فلا تحتاج إلى دليل

وأما المقدمه الثانية وهى « أن كل شركة تكون محتاجة إلى الاقتراض لا يمكنها الحصول على المال بفائدة معتدلة إلا من طريق الحكومة وتداخلها » فهى مجرد دعوى من الحكومة قد ادعتها ولم تقم الدليل عليها ولا أظنها تستطيع ذلك . ومع ذلك فهى تريد أن تبنى عليها أمرا مهما جدا وهو أن يكون لها الحق فى أن تأذن لهذه الشركات بالوجود . ووجه بطلان هذه المقدمة أن الشركة مادامت قانونية وما دامت حالتها تدعو إلى الاطمئنان فلا يوجد مانع يمنع المصارف من إقراضها المال بتلك الفائدة المعتدلة

وأما بطلان النتيجة فلأنه لا يلزم من كون شركات التعاون تحتاج إلى وساطة الحكومة فى الحصول على المال أن لا توجد إلا باذنها لأنه لا رابطة تربط مسألة الوساطة بمسألة الاذن . إذ من المعلوم أن الشركة موجود معنوى له حقوق وعليه واجبات والموجود المعنوى كالموجود الحقيقى سواء بسواء . فكما أن الشخص الحقيقى لا يحتاج فى وجوده لاذن الحكومة كذلك الشخص

المعنوى لايحتاج فى وجوده إلى هذا الاذن منها . والحكومة لايمكنها أن تقول إن وجود هذه الشركات موقوف على إذنى مادامت محتاجة إلى وساطتى فى الحصول على المال . كما أنه لايمكنها أن تقول إن وجود هذا المولود فى الحياة مثلا متوقف على إذنى مادام محتاجا إلى الغذاء والكساء والرضاعة والتربية

أنا أعترف وكلنا يعترف أن الحكومة مقصدها فى هذا المشروع شريف وأنها لا تريد منه إلا النفع العام للبلاد ولكن الطريق الذى سلكته للوصول إلى هذه المنفعة طريق معوج غير مستقيم

نحن نعترف لها بشرف الغاية فى مشروعها ولكننا نقول إنها لم تحتكر الصواب لنفسها . ولهذا لاينبغى أن تستنكر منا مخالفتنا لها فى رأيها بل إن وقوع الخلف بيننا وبينها فى بعض الشؤون أمر طبيعى لابد من حصوله . لأن وجودنا بجانبها لتستشيرنا فى مشروعاتها قد يؤدى فى كثير من الأحيان إلى اختلاف النظر . فى هذا الاختلاف فائدة لأنه كثيرا ماتتضح به الحقيقة ويثبت وجه الصواب

رأت الحكومة أن تنقذ البلاد من الضيق الذى وقعت فيه بسبب الشدة المالية الحاضرة فوضعت قانون شركات التعاون الزراعية وهو مقصد جميل جدا نشكرها عليه . ولكننا بينما كنا ننتظر منها أن تأتى وتقول لنا إننى أخطأت فى وضع قانون الخمسة الأفدنة الذى سبب هذا الضيق للبلاد وسد على الفلاح الصغير

أبواب العمل لأنى فكرت فيه قبل أن أفكر فى قانون النقابات الزراعية وكان الواجب علىّ أن أفكر فى هذا أولا — بينما كنا ننتظر منها بصفتها حكومة راحمة أن تأتى إلينا وتقول لنا هذا إذا بنا نراها تقول فى أثناء دفاعها عن رأيها فى قانون النقابات تلك الجملة القاسية « إنى لا أريد أن أكلف الأمة بهذا القانون تكليفا. فلها الخيار إن شاءت قبلته وسارت على الأحكام التى وضعتها فيه وإن شاءت تركته وبقيت على الطريقة القديمة »

هذه كلمات لا يصح أن تقال ولا يجوز أن نقبلها من الحكومة بصفتها حكومة . لأن الواجب عليها بصفتها هذه أن تسهل الصعاب التى تقوم فى وجه الأمة لا أن ترضى ببقائها قائمة فى وجهها . خصوصا إذا كانت هذه الصعاب ناشئة منها لأن الصعوبة التى نحن فيها الآن يرجع أغلبها إلى فعل الحكومة بسبب وضعها قانون الخمسة الأفدنة

تقول الحكومة أريد أن أخرجكم من هذا الضيق. ولكنها تقول من جهة أخرى إنى أسن لكم هذا القانون فمن شاء اتبعه ومن لم يشأ فليعد إلى القانون الأول . والقانون الأول صعب وكان الواجب على الحكومة بصفتها حكومة رشيدة تريد نفع الأمة أن تسهل هذا الصعب وأن لا تعاملنا بمثل هذه القسوة

هذا اللسان لا يصح أن يكون لسان الحكومة التى نعهد فيها العدل والرشد والحكمة وليس بجميل منها أن تقول لنا : إما

أن تقبلوا قانونى وإما أن تخضعوا لقانونى الأول

القانون الأول كان يقضى بأن التعاقد حر إنما كنا نتضرر منه لبعض أحكام خاصة فيه . فلما جاءت الحكومة بالقانون الجديد كان أول ما فاجأتنا به أن سلبت تلك الحرية التى كانت فى القانون القديم وقالت لا تنشأ هذه الشركات إلا باذنى. فهى قد ضيقت بذلك على حريتنا وكل تقييد للحرية يجب أن يكون له مبرر وإلا كان ظلما . فما هو المبرر ؟ قالوا إن المبرر هو احتياجكم لنا فى الحصول على المال . فقلنا لهم سهلوا القانون المدنى بوضع أحكام خاصة تسهل تلك الأحكام العامة واطلقوا الحرية فى إنشاء الشركات . وبعد تكوينها فما يحتاج منها لوساطة الحكومة فى الحصول على المال يمكن أن يدخل تحت مراقبتها ومالا يحتاج لذلك يكون حرا بحيث لا تتداخل الحكومة فى أمره

ما الذى يمنعكم من أن يكون القانون مطلقا لحرية التعاقد وأن يقتصر فيه على أن الشركات التى تحتاج للمساعدة المالية من الحكومة هى التى تكون تحت مراقبتها

إننى لا أفهم سببا لتشدد الحكومة فى أن يكون أمر تكوين الشركات بيدها إن شاءت أمرت به وإن لم تشأ منعته

نحن نعتقد أن فى هذا فضلا عن ذلك شفقة على الأهالى لأنهم من بلاد متفرقة . فاذا اشترط فى تكوين الشركات وجوب إذن الحكومة لاستلزم ذلك حضور أعضاء تلك الشركات إلى القاهرة

وترددهم بين نظارتى الزراعة والمالية وهم معرضون لرفض طلبهم وقد لايتحصلون بعد طول تحقيقات الحكومة وأبحاثها على الاذن الذى يطلبونه . وإنى لست فى حاجة لأن أشرح لحضراتكم مايلاقيه الأهالى من العقبات للوصول إلى الحكام الاداريين لأنى لاأريد الطعن عليهم ويكفينى فى ذلك أن أقول إن حضراتكم أبناء البلاد ولكم فيها مصالح تضطركم إلى مخالطة هؤلاء الحكام الاداريين ولا بد أنكم تشعرون شعورا صحيحا بالعقبات التى تعترض الأشخاص الذين لهم علاقات بجهات الادارة .

حضرة الشيخ عبد الجواد عبد الحميد نوار — بغير شك .

سعادة سعد زغلول باشا — قلنا بماذا تبررون عملكم ؟ قالوا لأننا نريد أن نتأكد من أن العقد مطابق للقانون وأن حالة الشركة المالية موجبة للثقة . وأقول أما مايتعلق بالحالة المالية فان الشركة إذا تكونت وأرادت أن تقترض مالا بواسطة الحكومة فيمكن للحكومة فى هذه الحالة أن تطلع على عقد الشركة وأن تبحث إن كانت موضع ثقتها أم لا

تقول الحكومة إنها فى حاجة لأن تحتاط فى إنشاء الشركات حتى لا تنشأ شركة فى جهة تكون فيها شركة أخرى من قبل . والذى أراه أن منع تكوين شركة فى جهة بسبب وجود غيرها يترتب عليه أن يتخذ طلاب تكوين الشركة الثانية الذين لم ينجحوا فى طلبهم طريق المعاكسة للشركة الأولى . ويكون دخول

الحكومة فى هذا الموضوع حجر عثرة فى سبيل انتشار النقابات وهذا ليس فى مصلحتها

يقول سعادة ناظر الزراعة فيما يختص بمطابقة عقد الشركة للقانون إن هذا أمر دقيق جدا لأن نماذج الشركات تختلف اختلافا كثيرا ولأن القانون الموجود هو قانون عام والأحكام الأخرى المتعلقة بالنماذج دقيقة بحيث لا يمكن لعامة الناس أن يفهموها. وأنه لذلك تكون مراقبة جهة الادارة واجبة لتنظر إن كانت الأحكام مطابقة وفى مصلحة الشركة أو ضد مصلحتها. وللرد على هذا أقول: إن مطابقة عقد الشركة لأحكام القانون هى مسألة قضائية لا دخل للادارة فيها. لأن تطبيق أحكام القانون على العقد هو عمل يجب أن يتولاه القاضى

أما الأحكام الأخرى التى أشار إليها سعادة ناظر الزراعة فى كلامه فهى أحكام قانونية تتعلق بالتنفيذ ويجب أن توضع بها لائحة تنفيذية وأن تعرض على الجمعية التشريعية بحكم المادة التاسعة من القانون النظامى ولا يترك أمرها لسعادة ناظر الزراعة يتصرف فيها كيف يشاء. وسواء كان الغرض هو معرفة ما إذا كان عقد الشركة وقانونها مطابقين للقانون الذى نحن بصدده الآن أو للقانون الواجب عمله للتنفيذ فان هذا عمل قضائى ولأجل كونه كذلك رأت اللجنة أن الشركة بعد أن تتكون بطريقة حرة يجب أن تسجل عقد الشركة وقانونها فى المحكمة الجزئية التابعة لها لأجل أن يكون وجودها حجة على الغير. وهنا يظهر

لحضرة ابراهيم بك نصار وموافقيه على رأيه حقيقة العمل الذى قامت به اللجنة

رأت اللجنة أنه عوضا عن أن تضع الشىء فى غير موضعه وبدلا من أن تجعل أمر تكوين الشركات فى اليد الادارية التى لا دخل لها فى الشؤون القانونية أن تضعه فى يد القاضى الجزئى الذى هو أعلم بمسائل القانون. فقالت يجب أن يسجل عقد الشركة أمام المحكمة الجزئية وهذا التسجيل يكون بأمر من القاضى الذى يفحص العقد المذكور ليعرف إن كان مطابقا للقانون الذى نشتغل به الآن وللائحة التنفيذية التى نطلب إيجادها أم لا . فاذا وجده مستوفيا للشرائط القانونية أمر بتسجيله وإلا رفضه . وعلى كل حال فان حكمه لا يكون قطعيا بل يكون قابلا للاستئناف أمام المحاكم الابتدائية

هذه هى الطريقة التى تضمن لنا أن وجود هذه الشركات غير ضار بالنظام العام ولا مفسد للأخلاق العامة . وهى التى تضمن لنا أن عقود الشركات المذكورة تكون موافقة للقانون الذى نشتغل الآن بوضعه . وبناء على هذا فلا معنى لتمسك الحكومة بضرورة الحصول على إذنها لايجاد هذه الشركات

إنها تستشهد على ذلك بأن هذا الاذن كان واجبا فى أوروبا فى زمن من الأزمان . وأنا لم أر فيما اطلعت عليه من القوانين الأوروبية أن وجود هذه الشركات يحتاج إلى إذن من الحكومة إلا فى بعض الشركات التجارية مثل شركات المساهمة فانها هى

التى تحتاج هناك إلى إذن الحكومة بتكوينها وقد تكلمت اللجنة عن السبب فى ذلك فى تقريرها ولا بد أن تكونوا حضراتكم قد اطلعتم عليه فأكتفى بذلك

وبناء على هذا يمكننى أن أقول إن إذن الحكومة بتكوين شركات التعاون الزراعية أمر لم يوجد قط فى البلاد الأجنبية حقيقة فى البلاد الانكليزية تنشأ هذه الشركات باذن ولكن الذى يأذن بانشائها يعتبر شخصا قضائيا لادخل للادارة فى أعماله وهو المسجل . ومع ذلك فحكمه قابل للاستئناف

وقد استمرنا نحن نظامنا الحالى من هذا النظام الانجليزى الذى يقضى بأن الادارة لادخل لها مطلقا فى تكوين الشركات وأن السلطة المختصة بذلك هى سلطة بعيدة عن الادارة بالمرة

إذن فقد تبين لحضراتكم أن قولهم إن هذا القانون اختيارى وإنه مادام اختياريا فلا معنى لأن نتحكم فى رفضه أو فى رفض المادة القاضية بأن يكون وجود الشركة مقتضى إذن من الادارة قول فى غير محله

إن للحكومة الكلمة الأخيرة فى أن تقبل رأينا أو ترفضه ولكن الواجب عليها أن تسمع آراءنا والواجب علينا أن نبدى لها رأينا بحسب ما نعتقد أنه الحق وأن فيه المصلحة الحقيقية

هذا مايجب على الحكومة وهذا مايجب علينا

ليس للحكومة أن تطلب منا أن لانرى إلا رأيها فان هذا

مالا يكون . فرجائى إليكم ياحضرات الأعضاء أن تفطنوا لهذا الأمر وأن تلاحظوا أن الحكومة ماجاءت هنا لتطلب منكم رأيها بل إنما جاءت لتطلب رأيكم فى أعمالها . فلا تعطوها هذا الرأى باعتبار أنه ملك لها بل باعتبار أنه ملك لكم

إن لها رأيا خاصا ونحن لنا رأى خاص كذلك . وهى تريد أن تعرف رغبتنا لأنها لا تستطيع تنفيذ مشروعها إلا بعد أن تسمع هذه الرغبة منا . فيجب علينا أن نبدى رغبتنا الحقيقية لا رغبة الحكومة

ورغبتنا الحقيقية التى نبديها هى أنه يجب أن يكون تكوين الشركات حرا ويجب أن يكون عقدها مسجلا ولكن الذى يجب أن يتولى ذلك هى السلطة القضائية لا السلطة الادارية للأسباب التى بينتها لحضراتكم . وبناء على هذا آمل أن تصادقوا على تعديل اللجنة »

وبعد أن تكلم بعض الأعضاء تقررت الموافقة على تعديل اللجنة .

١٥ يونيه سنة ١٩١٤

وقال بعد أن تكلم بعض الاعضاء فى المادة الرابعة التى نصها بعد تعديل اللجنة « يجوز تكوين شركات التعاون الزراعية برأس مال أو بدون رأس مال . ويكون أعضاء الشركة مسئولين عن تعهداتها بالتضامن المطلق أو المحدود على حسب مايتفقون عليه فى عقدها ولكن التضامن فى الشركات التى تتألف بدون رأس مال لا يكون إلا مطلقا . إنما لا يجوز مداعاة أحد

الشركاء ولا التنفيذ عليه بدين على الشركة إلا بعد ظهور عجزها . ومسئولية العضو القديم أو تركة العضو المتوفى فيما يتعلق بتصفية الأعمال التى حصل التعاقد عليها قبل خروج العضو من الشركة أو قبل وفاته تبقى لمدة خمس سنوات ابتداء من يوم خروج العضو من الشركة أو وفاته . وكل دعوى للشركة أو لأحد مداينيها على عضو من أعضائها تسقط بمضى خمس سنوات من تاريخ انحلالها . ولا يصح التمسك بالحظر المنصوص عنه فى المادة الأولى من القانون نمرة ٤ سنه ١٩١٣ فيما يتعلق بالديون التى للشركة والتى عليها » :

عضوية شركات التعاون

« تكلم سعادة ناظر الزراعة عن أمرين : الأول منهما أن هذا القانون عمل ولا يصح أن يجرح . ولكنه لم يقل لنا لماذا هو يرى لزوم عدم جرح خاطر هذا القانون .

سعادة ناظر الزراعة — أنا قلت . . . .

سعادة سعد زغلول باشا — نعم تكلمت عن أمرين: الأول أن هذا القانون عمل ولا يصح جرحه .-والثانى أن الدول صدقت عليه فلا يصح بعد ذلك أن نخل فيه ونربط —

ففيما يختص بالرد على الفكرة الأولى نقول: كم من قانون وضع ثم ألغى بعد وضعه عندما تبين خطأه . وأنا لا أتعرض لهذا القانون من جهة كونه مفيدا أو غير مفيد لأننا الآن فى موضوع خاص . ولكننى أقول فقط إنه لا يمكن مجاراة سعادة ناظر الزراعة فى فكرته الأولى لأنها ليست صحيحة فى ذاتها ولأنه لم يبين لنا أسبابا يمكن معها قبول مجاراته فيها . فكلامه عنها إذن غير مقبول

أما عن الفكرة الثانية وهى أن لدول صدقت على هذا القانون فان هذا ناشئ عن كون هذا القانون لا يهم تلك الدول كثيرا الآن ملاك

خمسة الأفدنة هم من الوطنيين وليس فيهم من الأجانب إلا عدد قليل جدا . فلا محل إذن لأن تقول لنا الدول الأجنبية إذا أخذنا بتعديل اللجنة لماذا لم ترفعوا هذه الحماية عن الأجانب كما رفعتموها عن الوطنيين ؟

عطوفة رئيس مجلس النظار — سعادتك تنفى شيئا لم يقل به سعادة ناظر الزراعة .

سعادة سعد زغلول باشا — إذا كنتم تستمرون هكذا على مقاطعتى فانى لا أتكلم وها أنا أجلس حتى يستتب النظام

حضرة الشيخ عبد الرحيم الدمرداش — أريد أن أسأل سؤلا .

سعادة سعد زغلول باشا — أنا لم أنته من كلامى وقد جلست حتى أنتهى من مقاطعة عطوفة رئيس مجلس النظار . فهل تريد حضرتك أن تزيد عليها مقاطعة أخرى ؟

حضرة الشيخ عبد الرحيم الدمرداش — إذا جلست سعادتك تقول لا تتكلموا وإذا وقفت تقول لا تتكلموا فلا ندرى متى نتكلم .

سعادة سعد زغلول باشا لا لزوم لمثل هذا يا أستاذ .

حضرة الشيخ عبد الرحيم الدمرداش — أنا ما كنت أقصد مقاطعة ومع كل فانه ما أحد تاعبنا غير سعادتك .

سعادة سعد زغلول باشا — إن كنت حقيقة تعتقد ما تقول فهذا خيال قائم فى ذهنك يا أستاذ لأنى آخر من يتعبكم بل أنا موجه كل عنايتى ومجهوداتى إلى سبيل جلب الراحة إليكم ومع ذلك فلنترك هذا جانبا ولنعد إلى الموضوع . أنا أؤكد لكم والاحصاء شاهد على ما أقول أن الدائنين الأجانب لمن يملكون

خمسة أفدنة فأقل قليلون جدا ولو كانوا كثيرين لما صدقت الدول على هذا القانون بل كانت عارضت فيه أشد المعارضة

ولقد اهتمت الدول بأمر يرشدكم إلى هذا لأن فيه تناقضا غريبا مع ذلك القانون . قالوا إن كل شخص مالك لخمسة أفدنة أو أقل لا يجوز تجريده من ملكه ولكنهم قالوا فى الوقت نفسه إن مالك عشرين فدانا مثلا أو مائة أو أكثر يجرد من جميع ملكه حتى يكون على الثرى . والمحاكم المختلطة التى عرض عليها هذا القانون هى التى لم ترد أن يكون حكمه ساريا على جميع الناس حتى كان يضمن لكل مالك على العموم بقاء خمسة أفدنة فى يده جريا على قواعد العدل والمساواة . فالقانون كما بينت لحضراتكم يجرد مالك أكثر من خمسة أفدنة تجريدا كافيا ولكنه يمنع أن يتعرض أحد لصاحب خمسة أفدنة فأقل وهذا بناء على قرار المحاكم المختلطة وقرار الدول الذى يحتج به علينا الآن

رأت الدول الأجنبية أن الدائنين الكبار هم من رعاياها وأن المدينين لهم هم كبار الملاك فى هذا القطر . فاستثناء خمسة أفدنة لأولئك الملاك قد يضر بهؤلاء الدائنين الأجانب فلم تقبل أن يكون تطبيق القانون عاما على جميع طبقات الناس . ولو أنها رأت أن كثيرا من دائنى ملاك الخمسة الأفدنة هم من رعاياها أيضا ما كانت قبلت القانون مطلقا . حقيقة إن الدول تذرعت لتأييد رأيها هذا بقولها إنها إذا أرادت استثناء خمسة أفدنة للملاك الكبار تحار فى معرفة القاعدة التى يجب أن يجرى عليها هذا

الاستثناء فقالت هل يجب تعيين هذه الخمسة الأفدنة بواسطة خبير مثلا أو بواسطة أخرى ؟ وانتهت من ذلك إلى أن قالت إن من يملك أكثر من خمسة أفدنة لا يستحق حماية هذا القانون .

عطوفة رئيس مجلس النظار — إذا وجدت سعادتك طريقة لحل هذا الاشكال لا نتأخر عن تعديل القانون .

سعادة سعد زغلول باشا — لو استشرتنى عطوفتك لدللتك على طريقة عادلة فى حل هذا الذى تسمونه إشكالا . وهذه الطريقة هى أن يترك لكل مالك ما يساوى ثلاثمائة أو أربعمائة جنيه.

عطوفة رئيس مجلس النظار — وكيف يكون التنفيذ ؟

سعادة سعد زغلول باشا — يكون بواسطة الخبراء .

عطوفة رئيس مجلس النظار — سعادتك تعرف أن هذه نقطة دقيقة جدا وأنها ليست سهلة الحل . ومع كل فالطريق مفتوح أمام سعادتك لتقديم هذه الرغبة .

سعادة سعد زغلول باشا — لازلت أقول إن المقاطعة ليست من مزايا المناقشة . وأرجو أن لا تقاطعنى عطوفتك لأن المقاطعة مضيعة للفكر وللفائدة المرجوة من المناقشات .

عطوفة رئيس مجلس النظار — انا أقاطع لأن سعادتك تكلمت طويلا فى شىء لا أرى له لزوما .

سعادة سعد زغلول باشا — أقول إن المقاطعة تضايقنى جدا.

سعادة قليني فهمى باشا — هذا استعلام من عطوفة رئيس مجلس النظار.

سعادة سعد زغلول باشا — هل رأيت أن تدافع فى هذه النقطة أيضا ؟

سعادة قليني فهمي باشا — أنا لاأدافع وإنما أقول إنه استعلام .

سعادة سعد زغلول باشا — لك أن تقول ماتشاء فاني رأيت أن لاأتأثر اليوم قط وكل ماأطلبه أن تتركونا نتكلم فى الموضوع

قلنا إن المحاكم المختلطة التى يحتج بقرارها علينا الآن لم تصدق على هذا القانون إلا لأن رعاياها ليس لهم شأن فيه . وأنا أؤكد لكم أن تعديل اللجنة هذا لو عرض على المحاكم المختلطة لكانت أول مسارعة للتصديق عليه . فالاحتجاج بتلك المحاكم لافائدة منه الآن وهو لايمنعنا مطلقا من الأخذ بتعديل اللجنة . وإنه لكما قال زميلى حضرة حسين هلال بك لو أن هذا التعديل لم يدخل على المشروع لكان من المستحيل على شركات التعاون هذه أن تنتشر الانتشار المرغوب لكم وللأمة . وليس ذلك فقط لأن من يملكون أكثر من خمسة أفدنة يمتنعون إذن عن الاشتراك فى هذه النقابات ولكن لأن نفس ملاك الخمسة الأفدنة يمتنعون عن ذلك فانه لاتكون لهم فائدة فى هذا الاشتراك . لأن الأساس الوحيد لقوام هذه الشركات وتأليفها هى الثقة بها فاذا كان أعضاء هذه النقابات هم أولئك الذين لاتقبل أطيانهم الحجز فان النقابة لاتكون محل ائتمان الغير وثقته بل إن نفس أعضاء النقابة لاتكون لهم فى أنفسهم ثقة يتبادلونها بين بعضهم البعض

أنا شخصيا لم أكن مكتفيا بهذا التعديل بل كنت أريد قبل تنفيذ قانون النقابات الزراعية أن يلغى قانون الخمسة الأفدنة

بحذافيره ولـكن هذا له وقت آخر وربما عيتم يوما إلى النظر فيه .

أما فيما يختص بالتعديل المنظور الآن فانى أرى أن توافقوا فيه على رأى اللجنة »

وبعد أن تـكلم بعض الأعضاء تقررت الموافقة على تعديل اللجنة ماعدا الفقرة الأخيرة فقد تقرر رفضها .

وقال بعد أن تكلم بعض الاعضاء فى المادة الثامنة عشرة التى نصها بعد تعديل اللجنة « إذا اتخذت إحدى الشركات نظامها وسيلة للاشتغال بالسياسة أو بالمضاربات أو لغرض آخر خارج عما هو منصوص عليه فى المادة الأولى فللقاضى الجزئى أن يحكم بحلها بعد سماع أقوال النيابة بناء على طلبها وطلب أحد الشركاء . وينظر فى هذه القضايا بطريق الاستعجال ويجوز استئناف الاحـكام الصادرة فيها فى ظرف عشرة أيام من تاريخ إعلانها . والحكم الصادر بحل إحدى الشركات وتصفيها ينشر بمعرفة النيابة العمومية فى الجرائد الرسمية بمجرد صيرورته نهائيا . ومن ابتداء تاريخ النشر لا يكون للشركة وجود إلا فيما يتعلق بأعمال التصفية . وكل عمل من الأعمال الجديدة تباشره الشركة بعد ذلك يكون باطلا بطلانا مطلقا وذلك مع عدم الاخلال بما للأشخاص الذين لحق بهم ضرر من الحق فى مطالبة من قام بهذه الأعمال دون سواه بالتعويضات أمام المحاكم . ولا يجوز لأى عضو فى شركة حكم بحلها أن يكون عضوا فى شركة أخرى من شركات التعاون الزراعية إلا بعد إخلاء مسئوليته من تعهدات الشركة المنحلة » :

حل الشركات التعاونية

« إن أهم مسألة فى موضوع النقابات الزراعية ليست هى تكوين النقابات وليست هى مراقبة النقابات ولـكن المسألة المهمة جدا هى مسألة حل النقابات

وحل النقابات لخروجها عن غرض من لأغراض المعينة فى المادة الأولى ليس هو بيت القصيد ولا أهمية له مطلقا عند الحكومة

ولا عندنا ولكن الأهمية كل الأهمية هو الحل للاشتغال بالسياسة.
هذا هو الأمر الذى يهم الحكومة ويهمنا . وما تشددت الحكومة فى أن تجعل لنفسها حق الحل للمسائل العادية التى تخرج بالنقابات عن أغراضها.ولكنها تشددت وحفظت لنفسها هذا الحق خصوصا للاشتغال بالسياسة

لذلك أرى أن الاقتراح المقدم لحضراتكم ليس من شأنه أن يحل الاشكال بيننا وبين الحكومة . وليس الغرض منه التوفيق بيننا وبينها بل هو طريقة خصوصية لتنفيذ رغبة الحكومة ليس إلا

نعم إن من يسمعه لأول مرة يرى أن ظاهره توفيق بيننا وبين الحكومة ولكنه فى الحقيقة أعطى الحكومة ما تطلبه

لو كان طلب الحكومة عادلا كما تقول لكنت وكان زملائى أو المسارعين للتصديق عليه . ولكنا على عكس رأى الحكومة نرى أن حفظ هذا الحق لها وجعله فى يد السلطة الادارية لا يتفق مطلقا مع القصد الشريف من وضع هذا المشروع ولا مع مصلحة الشركات نفسها

إنى أؤكد لحضراتكم وكما سمعت من كثيرين أنه إذا كان للحكومة حق حل الشركات بالطريقة التى تعرضها عليكم لا يكون للماليين ثقة بالشركات مطلقا لبقرضوها أموالهم

إن الشركة التى يكون حلها بأمر إدارى يصدره ناظر من النظار بناء على ما يبدو له أو يبلغ إليه يكون وجودها غير مأمون.

ولا يصح مطلقا لمصرف ولا لرجل مالى أن يضع أمواله تحت تصرف ذلك الأمر

أراد سعادة ناظر الزراعة أن يبين هذا الحق للحكومة فقال إننا نريد أن نجعله فى يد أكبر سلطة فى البلاد وكفى بها ضمانا لأن هذه السلطة نفسها هى التى عملت على خلق النقابات وهى التى تريد الخير والبركة لها فلا يتصور بحال من الأحوال أنها تريد بها سوءا . ما كنت أود أن تصل بنا الحكومة إلى هذا الحد ولا أن تحرجنا هذا الاحراج . ولكن مقام التشريع مقام حر يجب أن ينطلق فيه اللسان بما فى الصدور رغم كل إحراج . حقيقة إن مجلس النظار سلطة عليا ولكن لادارة شؤون الأمة لا لادارة شؤون القضاء . أما السلطة التى يلجأ المظلوم إليها والتى ميزان العدالة فى يدها فهى المحكمة لا مجلس النظار

إن مجلس النظار يدير بحسن سياسته أمور الأمة السياسية والادارية . ولكن المحاكم هى التى توزع العدل بين الناس . فاذا قلنا إن هذا الأمر لا يصح أن يعطى لمجلس النظار لا نكون بخسناه حقه . ولكن نكون أعطينا الشىء لمن هو أهل له وخصيص به . لأنى إذا ظلمت لا ألتجئ لمجلس النظار بل ألتجئ إلى المحاكم لأن كشف ظلامتى من خصائصها

ماهى المسألة التى نريد أن نحلها الآن بتشريعنا ؟ هى مسألة حل الشركة لاستعمالها نظامها لغرض سياسى أو لغرض آخر خارج عن الأغراض المبينة فى المادة الأولى أى حلها إذا خالفت القانون

الذى نشتغل بوضعه الآن . وهى مسأله قضائية قانونية والسير فيها يكون بتطبيق الوقائع على القانون ثم الحكم بنتيجة هذا التطبيق . وهذا عمل قضائى صرف لادخل للسياسة فيه ويجب أن يشتغل به القاضى لامجلس النظار ولا نظارة الداخلية

مجلس النظار لايصح أن يكون محكمة لأنه بأصل طبيعته لايصح أن يكون كذلك . فهو مجلس تشريعى من جهة . إدارى من جهة ثانية . سياسى من جهة ثالثة . ولكنه ليس بمحكمة . وأنا لا أبغى أن أحاكم إليه بهذه الصفة بل أمام قاض جزئى معين بمعرفة مجلس النظار وتقديمه وتأخيره وعزله ونقله معلق بيد هذا المجلس . أريد أن أحاكم أمام هذا القاضى الصغير فى شرفى وعرضى ومالى خير لى من أن أحاكم أمام ذلك المجلس الكبير لا لأنى لا أثق بهذا المجلس الكبير وقد يجمع رجالا فضلاء كما هو جامع الآن وكان بعضهم قضاة . ولكن لأنى أخشاهم بصفتهم سياسيين وإداريين . أخشاهم وأخشى أحكامهم ولا حرج على مطلقا فى ذلك لأن صفاتهم السياسية والادارية تتغلب عليهم بصفة كونهم قضاة وربما منعتهم من إقامة العدل كما ينبغى

إنى كنت قاضيا وكنت وزيرا والآن أنا عضو بينكم وأحس من نفسى أن شعورى كان يختلف باختلاف مركزى

كان لى فى كل مركز شعور خاص . ومع ذلك كنت حسن النية فى كل المراكز التى شغلتها . كما ينطق بينكم الآن سعادة الوزير بحسن

نية ويقول إنه يعدل بينكم إذا فصل فى أمركم ولا يحيد عن الحق قيد شعرة

كنت كما قلت لكم فى كل مركزلى رأى . ولكن هذا تأثير الوسط

إخوانى . عملت وأنا وزير أمراً لو عرض على الآن لكنت أو المنتقدين عليه والمعارضين فيه بكل قواى . عملته لظروف بررتها فى ذلك الوقت أمام نفسى كما يبرر إخوانى أعمالهم الآن . وكنت حسن النية كما أنهم حسنو النية . ولكن لو عرض على مثل هذا الأمر الآن أراه خطأ جداً وأتألم له غاية التألم . فلا يهولنكم أشخاص الوزراء ولا الفضل الذى تعرفونه فيهم . فان مراكزهم تتغلب عليهم وربما تغلبت على الفائدة التى يريدون ضمانتها

من هو ذلك الخصم الذى يخاصم النقابة ؟ سلسلة طويلة جداً لا تنتهى إلى الوزير إلا بعد حلقات كثيرة تبتدئ من العمدة إلى معاون البوليس ثم إلى مأمور المركز ثم لوكيل المديرية ثم لسكرتير الناظر إلى أن تنتهى إلى الناظر . كل هؤلاء أخشام . أخشام كما تخشونهم أنتم . وتخشونهم لأنكم جربتم كثيراً أعمالهم . وإنى لا أريد أن أندد بهم لأن لى فيهم أصدقاء كثيرين . ولكن الحق يقال : إنهم كثيراً مايعملون أعمالا ويرفعونها إلى الجهات العليا وتكون هذه الأعمال ليست بصحيحة . كلكم جربتم ذلك سواء أردتم أن تصرحوا به أو لم تريدوا ولكنى ألزمت نفسى أن أصرح به نيابة عنكم

امامنا مثل وهو قانون المطبوعات . فانى كنت معارضا أولا فيه وفى إصداره ثم اشتركت بعد ذلك فى إصداره ثم ندمت على هذا الاشتراك . ولكن وقتما اشتركت فى إصداره كنت مقتنعا بأنى لاحظت ظروفا يجب على ملاحظتها وشاهدت بعينى تطبيق هذا القانون واشتركت أيضا فى تطبيقه

هذا الاشتراك فى مجلس النظار هو الذى يخيفنى من أحكامه بصفة كونه محكمة تحل وتربط فى النقابات . ولا أجد أن فى ذلك المجلس ضمانة فيما يختص باجراء العدل وأحكامه . لأنه إذا جاء ناظر الداخلية وقال لاخوانه إن نقابة كذا تشتغل بالسياسة ولا يمكن أن أضمن الأمن العام فى تلك الجهة مادامت النقابة قائمة .فلا يمكن لأى وزير أن يناقشة بل يقول ـ كما قلت أنا أيضا ـ حيث أن ناظر الداخلية يرى أن بقاء هذه النقابة مهدد للأمن العام فيجب أن نصدق على حلها

يجب على كل وزير أن يفعل ذلك وإن لم يفعل لا يكون سياسيا ولا قائما بوظيفته كما ينبغى لأنه يجب عليه بحكم وظيفته أن يعتمد على قول زميله . وقد يكون زميله مخطئا أو وجدت لديه ظروف ألجأته لما يقول . وقد يكون صادقا . ولكن أعضاء المجلس مادام زميلهم يعلنهم بهذا الاعلان وهو أنه لا يضمن الأمن العام مادامت النقابة قائمة لا يمكنهم أن ينازعوه فى ذلك مطلقا

ليس فى العالم أجمع قانون يقضى بأن مجلس النظار يحل الشركة حتى فى الجزائر وتونس . ردا على سعادة ناظر الزراعة بأن هناك

القضاة أجانب . وهل قضاتنا الوطنيون غير أهل للثقة ؟

عطوفة رئيس مجلس النظار — القضاة هناك من جنس المحتلين

سعادة سعد زغلول باشا — حينئذ لأن القضاة أجانب يرضى بهم الاحتلال . « حيث أننا تمشينا إلى هذه الجهة . فنحن عندنا أيضا قضاة أجانب. فبدلا من أن يرفع استئناف حكم القاضى الجزئى إلى المحكمة الكلية يرفع إلى محكمة الاستئناف وفيها قضاة أجانب إنى أرضى بحكم قاض أجنبي ولا أرضى بحكم مجلس النظار. لأن القاضي بصفته قاضيا فهو عادل . هذا هو شعورى . فإن كانت الحكومة تريد إرضاء لظروف خاصة أن تجعل أمر حل الشركات بيد محكمة الاستئناف لأن بها قضاة أجانب فأنا أول القائلين به . وفقط عوضا عن أن نقول برفع الاستئناف أمام المحكمة الابتدائية ونقول يرفع أمام محكمة الاستئناف. وإنى أرضى أيضا بأكثر من ذلك وهو أن تكون أغلبية القضاة أجانب. ولكن لا أرضى بمحكمة عرفية

نظروا إلى هذا الأمر الذى أعرضه عليكم . هناك شركات مختلفة الأنواع مؤلفة بمقتضى القانون المدنى والتجارى . هل لا يجوز أن تشتغل هذه الشركات بالسياسة ؟ نعم . يجوز ذلك. ولكن هل يصح أن تحلها الحكومة ؟ لا . المحاكم وحدها التى تحلها . المادة ٤٤٦ من القانون المدنى تقول : « يجوز للمحاكم أن تفسخ الشركة بطلب أحد الشركاء لعدم وفاء شريك آخر بما تعهد به أو لوقوع منازعة قوية بين الشركاء تمنع جريان أشغال الشركة . أو لأى سبب قوى غير ذلك »

وعلى ذلك إذا لم ينص قانون النقابات على السلطة التى لها أن تحلها . كان الحل بيد المحاكم لا بيد غيرها طبقا لنص القانون العام . فاللجنة بما عملت إنما طبقت مبدأ عاما فى القانون المدنى . ولكن الحكومة تريد أن تخرجنا من ذلك القانون العام إلى استثناء خاص . وتشكل لنا محكمة مخصوصة تسمى مجلس النظار . لماذا هذا الاستثناء ؟ المحاكم يمكنها أن تلغى أى شركة من الشركات لسبب قوى . وهذا أمر مهم يرد به على سعادة ناظر الزراعة فيما قال من أن المحاكم تحكم فى أمور معينة . هنا لا يوجد أمر معين بل قيل فى القانون « نظرا لسبب قوى غير ذلك » . فمهما كان السبب . سواء كان لاشتغالها بالسياسة أو لخروجها عن أغراضها يمكن إلغاؤها . مشروع الحكومة استثناء من القانون العام . وكل استثناء يجب أن يكون له مبرر . فما هو المبرر عندكم ؟ لا شىء إلا أن مجلس النظار هيئة سياسية . هذا صحيح . ولكنه يدير الأمور السياسية ولا يطبقها على القانون . فلا يمكن أن نقبل مطلقا هذا الاستثناء . ناشدتكم الله إخوانى . عندنا محاكم كثيرة للاستثناء ونحن نئن من هذا الاستثناء . فلماذا نريد أن نزيد على الاستثناء إستثناء آخر ؟ لماذا نريد ذلك ونشكل محكمة تحكم سرا ومن وراء حجاب بناء على بلاغات سرية ليس للحكومة مراقبة عليها أصلا . تحكم بدون سماع دفاع متهم . تحكم باعدام ثروة قد تكون طائلة ينتفع بها أشخاص كثيرون . هل يليق ذلك ونحن فى هذا القرن وبازاء حكومة لنا أمل فيها وفى فضلها وعدلها ونقرر محكمة استثنائية تحكم فى أهم أمورنا تحت

الظلام ومن وراء حجاب وبدون سماع دفاع وبناء على تبليغات سرية ؟ هذا مالا نقبله مطلقا وفينا شعور بحقوقنا وبما يجب علينا لأنفسنا ولأبنائنا وأحفادنا من بعدنا . وأكرر بأن هذا ليس عدم ثقة في مجلس النظار ولكنه إعطاء لكل ذي حق حقه وهو من سلطة ليس هذا من اختصاصها إلى سلطة هذا من أخص خصائصها ومن أوجب واجباتها

حضرات النظار . ليس لنا ميل مطلقا أن تشتغل هذه الشركات بالسياسة بل بالعكس نريد أن تكون أبعد ما يكون عن السياسة وأحوالها . لأنها ستتألف من أناس هادئين . ستتألف من الطبقة التي لا تشتغل بهذه الأمور عادة وليس من المنظور أن تشتغل بالسياسة كما ذكرتم في المذكرة الايضاحية . وإن هذه الفكرة نفسها هي شاغل من الشواغل . ولقد كنت أحب أن لا تطرح هذه المسألة مطلقا على الجمعية لأنها إلفات للذهن إلى مالا يلتفت إليه

التعديل الذي تقدم من بعض حضرات الأعضاء فيه عبارة مبهمة وهي « إذا اشتغلت النقابات بالسياسة اشتغالا يضر بالأمن العام » ولكنا في اللجنة لم نقل « اشتغالا يضر بالأمن العام » بل أطلقنا العبارة إطلاقا وقلنا « إذا اشتغلت بالأمور السياسية » . فنحن نريد أن لا تشتغل النقابات بالسياسة بأي حال من الأحوال سواء كانت سياسة مباحة أو ممنوعة

السياسة المضرة بالامن العام لها قانون ينفذه القضاة وعليها عقوبات فى القانون وأمرها مسلم للقضاء .

وأما السياسة التى لاضرر منها فهى مباحة ولكن هذه الاباحة هى للناس فقط . إنما الشركات فلا يصح أن تشتغل بالسياسة مباحها وممنوعها

هذا ماقلناه . والأمر الذى رأت الحكومة أن لاتذكره فى قانونها ذكرناه نحن تطمينا وبيانا لها . لأن الجمعية لاتريد أن تشتغل هذه الشركات بالسياسة فاذا مالت إلى الاشتغال بها حقت عليها كلمة الحل. ولكن من يحلها ؟ قلنا القاضى هو الذى يحلها لأن لنا ثقة فيه من جهة مركزه . لأن كونه قاضيا يؤثر علينا كما سبق وقلت ذلك

رب أمر السياسى فى مركزه بصفه بأنه ثورى ولكنه لو كان قاضيا مانظر إليه هذا النظر

ورب فكرة أرى وأنا فى مركزى السياسى أنها سياسة ولكنى أنزعج من هذا الوصف وأنا فى مركز القضاء . وإنكم تشعرون بذلك وتحسون به فلا أزيدكم به علما

ماذا يكون موقف الشركة إذا تخيل الناظر أن الأمر الذى عرض عليه هو أمر ثورى وقضى على الشركة بالحل والأمر على عكس ذلك ؟

أرانى قد عبرت عما يمكن أن يكون خالج أفكاركم وخالج أفكار اللجنة وأرى أن الموضوع ليس بالهين فيما يتعلق بما تطلبه الحكومة

ولذا أرجو أن تصدقوا على تعديل اللجنة . وإن شئتم أن يكون استئناف قرار الحل أمام محكمة الاستئناف كان ذلك خير وأفضل »

ثم قال بعد أن تكلم بعض الأعضاء .

«أريد أن أقول كلمة بصفتي رئيسا للجنة التي درست هذا المشروع

قال سعادة ناظر الزراعة لحضراتكم إن المسألة التى نحن بصددها ليست مسألة قضائية ولا مسألة فصل وحكم وإنما هى مسألة احتياطات تحفظية قد يتخذها مجلس النظار لدرء خطر ربما يهدد الأمن العام . وأنا أقول لسعادته إن الخطر كل الخطر فى مثل هذا القول

فانه لو تركت المسألة وشأنها كما كانت عليه من قبل لبقى الأمر متعلقا بالقانون المدنى الذى تلوت عليكم منه نص المادة الخاصة بذلك وكان بلا شك أمرا قضائيا . فان هذه المادة تجيز حل الشركات على العموم عند وجود سبب قوى يقتضى حلها وتجعل الفصل فى ذلك موكولا إلى القاضى دون سواه . أما ما يقوله سعادته فانه يسلب السلطة القضائية حقها ويعطيه لسلطة أخرى غيرها

يقول سعادة ناظر الزراعة إنها مسائل إدارية . فمن أين لك ياسعادة الناظر أنها كذلك ؟ أنت تسميها بهذا الاسم ولكن طبيعتها لا تتفق مع هذا الوصف فانها مسائل قانونية محضة تتولى المحاكم الفصل فيها بعد استيفاء إجراءات خاصة . وفى إخراجها عن طبيعتها وسلب هذه الصفة منها الخطر الذى نريد أن نتقيه

يقول سعادة الناظر إن مجلس النظار مكلف بحفظ الأمن العام . ونحن نقول إن هذا غير حقيقى . لأن المكلف بحفظ الأمن فى الحكومة سلطتان . سلطة لمنع وقوع الجرائم وسلطة لتأثر الجرائم وتتبعها بعد وقوعها . فالسلطة الأولى هى سلطة البوليس تحت رياسة ناظر الداخلية ... ...

عطوفة رئيس مجلس النظار — إذن فالمرجع هو مجلس النظار .

سعادة سعد زغلول باشا — أما السلطة الثانية المكلفة بتأثر الجرائم والمعاقبة عليها فهى النيابة العمومية

أما قول عطوفة رئيس مجلس النظار إن المرجع هو مجلس النظار فانى أقول ردا عليه : نعم إن السلطة المكلفة بحفظ الأمن العام وهى البوليس تابعة لمجلس النظار . ولكن معنى هذه التبعية أن ذلك المجلس بصفته هذه يشرع الشرائع الكلية ويصدر القرارات العامة لهذه السلطة ولغيرها . فليس إذن من اختصاصه بصفته المذكورة أن يحافظ على الأمن العام بصورة تفصيلية أو أن يتداخل فى جزئياته

مجلس النظار هو السلطة التنفيذية وليس هو السلطة الخاصة بمراقبة الأمور الجزئية

أما كونه قد يتخذ اجراءات وقرارات عامة فيما يتعلق بالمحافظة على الأمن العام وأمثال ذلك مما لسنا بصدد بيانه الآن فلا يستلزم

هذا أن يكون من اختصاصه إصدار قرارات فى مسائل جزئية تتعلق بالأمن العام

يقول سعادة ناظر الزراعة تأييدا لنظريته إن هدم العزب التى هى مأوى للأشقياء هو من اختصاصات مجلس النظار. ويريد بذلك أن يجعل من اختصاصه أيضا قياسا على هذا مسألة حل شركات النقابات الزراعية لأنها أيضا مسألة متعلقة بالأمن العام. وإنى أقول ردا على هذا إن مسألة هدم العزب بحسب رأيى لا يجوز أن تكون أيضا من اختصاصه

على أن هذه الجزئية لا يصح أن تكون قياسا لغيرها لأنها مسألة استثنائية .

عطوفة رئيس مجلس النظار — ولكنك كنت فى الوزارة ياسعادة الباشا عند الموافقة عليها .

سعادة سعد زغلول باشا — أنا لا أنكر أنى كنت فى الوزارة ولكن لم أكن رئيسا للنظار بل كنت فردا منهم . ومع ذلك فانى قلت فيما سبق إنه كثيرا مايعمل الوزير وهو فى وزارته عملا يعتقد بحسن نية وبتأثير الظروف عليه أنه صواب ولا يكون كذلك

إنا كثيرا مانصف بعض أعمالكم ياحضرات النظار بأنها ليست فى مصلحة الأمة ومع ذلك فنحن نعتقد أنكم إنما تعملونها بحسن نية وإخلاص لاعتقادكم أنها فى مصلحتها . وربما لو كنتم فى مركزنا الآن فى الجمعية لنظرتم إليها بالعين التى ننظر بها إليها وكنتم من رأينا فيها وربما لو كنا معكم فى مركزكم لكان رأينا فيها مثل رأيكم . فالمسألة

إذن مسألة إحساس يتغير بتغير المراكز والظروف .

أعود فأقول إن السلطة التى لمجلس النظار فى هدم العزب ليست هى إلا سلطة استثنائية فلا يقاس عليها . ولو كان لى التصرف المطلق فى الوزارة لما تركتها فى يد مجلس النظار .

حضرة عبد اللطيف الصوفانى بك — ومع ذلك فلا يصدر مجلس النظار قراره بالهدم إلا بعد قرار مجلس المديرية .

عطوفة رئيس مجلس النظار — يصدر مجلس النظار قراره سواء صادق مجلس المديرية أو لم يصادق .

حضرة عبد اللطيف الصوفانى بك — ولكن يسبق ذلك إجراءات يعملها مجلس المديرية .

سعادة سعد زغلول باشا — الذى أقوله وأصر عليه هو أن مجلس النظار لا يصح أن يكون محكمة يفصل فى المسائل القضائية مثل المسألة التى نحن بصددها الآن . أما قول سعادة ناظر الزراعة إنها مسألة إدارية فهذا هو كل ما أخشاه لأن المسائل الادارية يفصل فيها بلا دفاع فى جلسة سرية من شأنها أن تكون من وراء ستار بمجرد تقرير يقدم من المدير أو المأمور

يقول سعادة ناظر الزراعة : لم هذا التهويل كله فى أمر لا يخرج عن كونه حل شركة ؟ ونحن لا ندرى لماذا يستهين سعادته بحل شركة قد يجوز أن تكون ذات رأس مال كبير يؤثر حلها فى آلاف من الناس ويجوز أن تكون شركة سعيدة فى أعمالها ناجحة نجاحا تاما . فمن الفظاعة مفاجأتها بالحل الذى يجوز أن يكون سببه أن بين أعضائها سعد زغلول مثلا وأضرابه .

عطوفة رئيس مجلس النظار — لا ياباشا .

سعادة سعد زغلول باشا — أنا لا أوجه القول إلى شخصك المقدس عندى ياعطوفة الرئيس . إنما أقول إننى وأنت فى مركزك السياسى هذا وبصفتك رئيسا للنظار لا أقبل أن أتقاضى أمامك فى مبلغ بسيط لا تزيد قيمته على خمسة قروش ولكننى وأنت فى مركز القضاء أقبل أن أتقاضى أمامك ولو أدى ذلك إلى صدور الحكم بالاعدام

هذه هى نقطة الخلاف بينى وبينكم فقط

أعطى المشروع لناظر المالية حق حل شركات التعاون إذا استعملت نظامها لغرض خارج عن المنصوص عنه فى المادة الأولى . فقلنا إننا نوافق كل الموافقة على جواز حل الشركات بناء على هذا السبب إذ لا يجوز لها مطلقا وهى لم توجد إلا لغرض خاص أن تخرج عنه . فان هى خرجت عنه واشتغلت بأمر آخر سواه فقد خالفت الحكمة فى وجودها

قلنا ذلك ولكن ماهو الأمر الذى إذا اشتغلت به النقابة يترتب عليه الحل ؟

هذا الأمر عبرت عنه الحكومة بحسب فكرها (وهى حرة فى التعبير) أنه الاشتغال بالسياسة . فان قلنا لها ماهو العمل السياسى الذى تخافين منه وبأية صورة تكيفينه وعند أى حد تقفين فيه ؟ لا نسمع لها جوابا

الاشتغال بالسياسة فى أصله ليس من شأنه تكدير الأمن

العام . فلو وصل إلى درجة يكون فيها مكدرا للا من العام لدخل تحت حكم القانون العام . والبحث فى المسائل من جهة كونها مطابقة لحكم القانون أو مخالفة له هو بلا شك من المسائل القانونية التى يرجع فيها إلى المحاكم والتى هى من اختصاص القضاء

فان كانت الحكومة تقول إن هذا البحث مما يعجز القاضى عن النظر فيه فلتضرب لنا مثلا واحدا على وجود نوع من الاشتغال بالسياسة المكدرة للأمن العام لا يدخل تحت نظر القاضى

يجب أنكم إذا قلتم قولا أن تجعلوه مقترنا بالحجة مشفوعا بالبرهان وإلا فانا لا نقبل دعوى مبنية على مجرد الوهم والخيال . أما حجتنا نحن التى ندلى بها فهى أن النقابات متى عملت عملا جنائيا فالمحاكم كفيلة بتأديب الجانى ومعاقبة المجرم

يقولون إن مجلس النظار أكثر دراية بالأمور السياسية وأعلم بها من ذلك القاضى المتخرج من مدرسة الحقوق لأنه عاش بعيدا عن السياسة ولا يفهم منها شيئا. ولكن اسمحوا لى حضراتكم أن أصرح لكم بأن هذا القول لا يقصد به تقرير الحقيقة وليس الغرض منه إلا تبرير المبدأ الذى يراد وضعه فى هذا القانون وهو أن يكون حل الشركات بواسطة السلطة الادارية بدل السلطة القضائية

إن أردتم أن تعتبروا ذلك حجة علينا فافصحوا لنا عن رغبتكم وقولوا لنا ماهى تلك الأمور السياسية التى ترون أن القاضى الجزئى المتخرج من مدرسة الحقوق لا يستطيع النظر فيها ؟

حقيقة إن تلميذ مدرسة الحقوق ممنوع عن أن يشتغل بالسياسة وأن يتظاهر ببغض الحكومة وأن يشترك فى أية مظاهرة ضدها وعن أى أمر يتعلق بذلك وهو أمر محمود بالنسبة إليه . ولكن هل ينتج هذا أن ذلك التلميذ الذى أصبح فيما بعد قاضيا إذا طلب منه النظر فى حل نقابة بسبب أنها تشتغل بشأن من الشؤون السياسية الممنوعة ككونها تمد بعض الصحف بالمال لتحملها على معارضة الحكومة فى قوانينها أو أمثال ذلك من الأسباب وأراد النظر فى هذه الدعوى يعجز عن فهمها وفهم أسبابها ؟

لا أظن أحدا يسلم بذلك

ليس قاضى المحكمة الأهلية وحده الذى يفهم هذا الموضوع بل قاضى محكمة الخط أيضا يستطيع أن يفهمه

فيجدر بمن يعارضوننا فى الرأى أن لا يبالغوا فى هذه المسألة كل المبالغة وأن يعلموا أننا إن أصررنا على هذا الطلب (طلب أن يكون الحل بواسطة المحاكم) فانا لا نريد بذلك إلا أن يعطى القضاة حقوقهم وأن تتمتع بالضمانات القانونية أمامهم

يقول حضرة مصطفى بكير افندى إننى أريد بعملى التأثير على فئة مخصوصة لكى تنضم إلى وتنقاد لزعامتى

هذه الفكرة ياحضرة العضو المحترم يسهل على اللسان مع الأسف ترديدها وقد تطوف ببعض الأذهان . ولكنى أقرر لك أنها فكرة غير صحيحة وأنى بعيد عنها كل البعد . وها أنا موجود معك ومع غيرك فى هذه الجمعية منذ زمن طويل فقل لى متى رجوتك

مرة أن تنضم إلى رأيي ومتى حاولت التأثير عليك لأجعلك تحت زعامتي ؟

لا أظنك تقول ذلك

إنك إن شئت أن تعرف حقيقتي فاعلم أنني رجل قد وضعت تحت تصرف أمتي عقلي واختباري وبياني فأن استفادت الأمة من عملي فذلك ما يجعلني سعيدا وإلا فهو واجب قد أخذته على نفسي فأنا أقوم به لأريح ضميري . أما الذي يسرني ويشرفني فهو أن أكون خادما لكم لا زعيما »

وقال بعد أن تكلم عطوفة رئيس مجلس النظار :

« يقول عطوفة رئيس النظار « إن الحكومة لا تتنازل عن رأيها بحال من الأحوال »ولعمري إنها كلمة كبيرة جدا لا يستهان بها

إننا أتينا هنا لنتناقش مع الحكومة فيما تعرضه علينا من المشاريع . فاما أن أقنعناها برأينا وإما أن أقنعتنا برأيها ثم لها بعد ذلك الكلمة الأخيرة في كل شيء . فما كان لها أن تأتي إلينا في أثناء المناقشة وتقول لنا إني أعلنكم بأني لا أتنازل عن رأيي مهما قلتم ومهما عارضتم لأن معنى هذا أنها تقول لنا لا تتناقشوا ولا تتكلموا

ليكن هذا رأيها وليكن هذا ما عزمت عليه فليس من شأننا البحث في ذلك ولا النظر فيه . إنما الذي نبحث فيه ونشتغل به ونسعى إليه هو أنا لا نقاسم الحكومة المسئولية في أمر نعلم أنه مضر بمصلحة الأمة

ليس موضوعنا النظر فيما إذا كان يمكن للحكومة أن

تتنازل أو لا تتنازل بل موضوعنا هو هل نقاسمها المسئولية
هذا المشروع الضار بنا أم لا ؟

تقول الحكومة إنى لا أتنازل عن رأيى . فلتقل كما تشاء
قولها هذا لا يمنعنا من أن نقول لها نفذى مشروعك كما ش
وتمسكى به كما أردت فهذا حقك الذى خولك إياه القانون ولـ
لا تنتظرى منا أن نشترك معك فى هذه المسئولية فاعملى
وعليك وحدك مسئولية ما فعلت

أما كونها تقول لنا إنى ما دمت لا أريد التنازل عن
وما دامت لا فائدة لكم من المناقشة والمعارضة فاعطونى
رأيكم ليكون رأيا لى فهذا ما لا يكون

حقيقة نحن لسنا بأوصياء على الأمة بل وكلاء عنها كما ين
عطوفة رئيس مجلس النظار . ولكننا وكلاء أمناء فيجب علينا
نؤدى لأمتنا الأمانة كما أخذناها منها

فاذن يمكننا أن نقول بكل صراحة وجرأة وبالرغم عن
الحكومة على عدم الاحتفال بقولنا إن هذا المشروع الذى جـ
به الحكومة لتسهل به الصعاب القائمة فى وجه الأمة من القا
المدنى لم يسهلها بل زادها صعوبة عما كانت عليه من قبل

هذا هو رأينا فى المشروع لا نزال نبديه حتى بعد تصـ
عطوفة رئيس النظار بما صرح به . وبكل احترام لشخص عطـ
أقول له إنه ما كان يليق بالحكومة أن تحرجنا وتوقفنا بين حـا

ضارتين بنا. فتقول لنا إن هذا المشروع اختيارى لا إلزامى فاما أن تأخذوا به وإما أن تبقوا على ما أنتم عليه

ليس بمثل هذا اللسان تنطق الحكومات وليس بمثل هذا الخطاب تخاطب الحكومة العادلة الرحيمة أمتها الضعيفة المسكينة

إن الحكومة مسئولة عنا وعن تسهيل الصعاب القائمة فى وجوهنا فليس فى استطاعتنا أن تتركنا وشأننا. ونحن لانزال نؤمل فيها ذلك ولا نزال نقول لها إن رغمتنا ورغبة أمتنا التى أنابتنا عنها هنا أن تزيل من أمامنا هذه العقبة القائمة فى هذا المشروع

ناشدتك الله وذمتك وعدلك ياعطوفة الرئيس. لماذا حفظت الحكومة لنفسها الحق فى القانون النظامى أن تنفذ ماتشاء من المشاريع بدون توقف على تصديق الجمعية التشريعية عليها ؟ أليس ذلك لأنها تتوقع أن نخالفها الجمعية أحيانا فيما تعرضه عليها وتبدى فيه رأيا غير رأيها ؟ وما دام الأمر كذلك وما دام القانون النظامى لايقيدها برأينا. فأى غرابة تجدها فى ان تسمع منا رأيا مخالفا لرأيها وأى ضرر عليها فى سماعه ما دامت تستطيع بعد أن تسمعه أن لا تعمل به. إنها حفظت لنفسها كل شىء فلتتركنا على الأقل نتمتع بابداء رأينا ولا تغلبنا على هـذه البقية الباقية لنا فان هذا لا يضرها بل ربما ينفعها ولها بعد ذلك الرأى الأخير

إن ثقتنا بها تجعلنا نؤمـل فيها أن تسلك فى مناقشتنا طريق الاقناع بالحجة والبرهان حتى إذا تنازلنا لها عن رأينا نكون متنازلين

٢٩٧٠

عنــه بطيب خاطر وارتياح نفس لا أن تلزمنا بما لها من القوة والسيطرة أن نسلم لها آراءنا مقهورين مغلوبين »

من أهم الأعمال العلمية المنشورة للمؤلف

١ - تطور الحركة الوطنية فى مصر (١٩١٨ - ١٩٣٦) (القاهرة : دار الكاتب العربى ١٩٦٨) .

٢ - تطور الحركة الوطنية فى مصر (١٩٣٧ - ١٩٤٨) - مجلدات . (بيروت : دار الوطن العربى ١٩٧٣) .

٣ - الصراع الاجتماعى والسياسى فى مصر من ثورة يوليو إلى أزمة مارس ١٩٥٤ . (القاهرة : مكتبة مدبولى ١٩٧٥) .

٤ - عبد الناصر وأزمة مارس . (القاهرة : دار روز اليوسف ١٩٧٦) .

٥ - الجيش المصرى فى السياسة (١٨٨٢ - ١٩٣٦) (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٧) .

٦ - صراع الطبقات فى مصر (١٨٣٧ - ١٩٥٢) . (بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ١٩٧٨) .

٧ - الصراع بين الوفد والعرش (١٩٣٦ - ١٩٣٩) . (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر ١٩٧٩) .

٨ - الفكر الثورى فى مصر ، قبل ثورة ٢٣ يوليو . (القاهرة: مكتبة مدبولى ١٩٨١) .

٩ - المواجهة المصرية الاسرائيلية فى البحر الأحمر (١٩٤٩ - ١٩٧٩) (القاهرة : دار روز اليوسف ١٩٨٢) .

١٠ - الاخوان المسلمون والتنظيم السرى . (القاهرة : دار روز اليوسف يناير ١٩٨٣) .

١١ - الصراع بين العرب وأوروبا ، من ظهور الاسلام إلى انتهاء الحروب الصليبية . (القاهرة : دار المعارف ١٩٨٣) .

١٢ - حرب أكتوبر فى محكمة التاريخ . (القاهرة : مكتبة مدبولى ١٩٨٤).

١٣ - مذكرات السياسيين ، الزعماء فى مصر . (القاهرة : دار الوطن العربى ١٩٨٤) .

١٤ - تحطيم الآلهة ، حرب يونيو ١٩٦٧ . (جزءان) (القاهرة : مكتبة مدبولى ١٩٨٤) .

١٥ - الغزوة الاستعمارية للعالم العربى ؛ وحركات المقاومة . (القاهرة : دار المعارف) .

١٦ - مصر فى عصر السادات (الجزء الأول) (القاهرة : مكتبة مدبولى ١٩٨٦) .

١٧ - مذكرات سعد زغلول ، تحقيق ، الجزء الأول (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٧) .

١٨ - مصطفى كامل فى محكمة التاريخ . (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب) .

١٩ - أكذوبة الاستعمار المصرى للسودان . (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سلسلة تاريخ المصريين رقم ١٣ سنة ١٩٨٨) .

٢٠ - مذكرات سعد زغلول ، تحقيق ، الجزء الثانى . (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٨) .

٢١ - مذكرات سعد زغلول ، تحقيق ، الجزء الثالث . (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٩) .

٢٢ - مصر فى عصر السادات ، الجزء الثانى . (القاهرة : مكتبة مدبولى ١٩٨٩) .

٢٣ - مذكرات سعد زغلول ، تحقيق ، الجزء الرابع . (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٠) .

٢٤ - الاجتياح العراقى للكويت فى الميزان التاريخى (القاهرة : الزهراء - ١٩٩٠) .

٢٥ - حرب الخليج فى محكمة التاريخ . (القاهرة : الزهراء- ١٩٩٠) .

٢٦ - العلاقات المصرية الاسرائيلية (١٩٤٨ - ١٩٧٩) (القاهرة : سلسلة تاريخ المصريين ٤٩ سنة ١٩٩١) .

٢٧ - مذكرات سعد زغلول ، تحقيق ، الجزء الخامس . (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٢) .

٢٨ - الصراع الاجتماعى والسياسى فى عصر مبارك . (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٣) .

٢٩ - تاريخ الاسكندرية فى العصر الحديث . (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٣) .

٣٠ - تاريخ مصر والمزورون . (القاهرة : الزهراء - ١٩٩٣) .

٣١ - أوهام هيكل وحقائق حرب الخليج. (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٣).

٣٢ - قصة بناء المواطنة الخليجية. (القاهرة : مركز المنار للنشر والدراسات الاعلامية ١٩٩٣).

٣٣ - الصراع الاجتماعى والسياسى فى عصر مبارك، الجزء الثانى (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٣).

٣٤ - الإخوان المسلمون والتنظيم السرى، الطبعة الثانية (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٣).

٣٥ – مذكرات سعد زغلول، تحقيق، الجزء السادس (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٣).

٣٦ – الصراع الاجتماعى والسياسى فى عصر مبارك، الجزء الثالث (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٤)

٣٧ – الصراع الاجتماعى والسياسى فى عصر مبارك، الجزء الرابع، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٤).

٣٨ – الصراع الاجتماعى والسياسى فى عصر مبارك، الجزء الخامس، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٥).

٣٩ – جماعات التكفير فى مصر (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٥).

٤٠ – مصر قبل عبدالناصر (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٥).

٤١ – أوراق فى تاريخ مصر (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٥).

٤٢ – هيكل والكهف الناصري (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٥).

٤٣ – مصر في عصر مبارك «الجزء السادس» (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٥).

٤٤ – مصر في عصر مبارك «الجزء السابع» (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٥).

٤٥ – رحلات مؤرخ (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٦).

٤٦ – مذكرات سعد زغلول، تحقيق، الجزء السابع (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٦).

مع آخرين :

١ - مصر والحرب العالمية الثانية ، مع الدكتور جمال الدين المسدى والدكتور يونان لبيب رزق (القاهرة : مؤسسة الأهرام ١٩٧٨) .

٢ - تاريخ أوروبا فى عصر الرأسمالية ، مع الدكتور يونان لبيب رزق ود . رءوف عباس . (القاهرة : دار الثقافة العربية ١٩٨٢) .

٣ - تاريخ أوروبا فى عصر الامبريالية ، مع الدكتور يونان لبيب رزق ود. رءوف عباس . (القاهرة : دار الثقافة العربية ١٩٨٢).

كتب مترجمة :

١ - تاريخ النهب الاستعمارى لمصر ، (١٧٩٨ - ١٨٨٢) تأليف جون مارلو . (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٦)



الفهرس

- إقبال سعد زغلول على دراسة علم الحساب.
- نقد سعد زغلول لشخصية سعيد زغلول.
- سعد يعرض أرض دمنهور للبيع.
- خطاب عبدالعزيز فهمى إلى المستر برونييت باسم نقابة المحامين رداً على امتناع النقابة عن انتداب عضو عنها فى لجنة إلغاء الامتيازات.
- سعد يحاسب نفسه لعجزه عن إدراك ما يدرسه صبيان المكاتب، ويتهم نفسه بالجهل.
- سعد زغلول ينقد كتاب «أسرار البلاغة» لعبدالقاهر الجرجانى.
- مقابلة يوسف نحاس لسعد زغلول.
- سعد زغلول يتحدث عن الموت.
- سعد زغلول يتحدث عن هزيمة الألمان فى الميدان الغربى.
- سعد يعدل عن بيع أرض دمنهور.
- حسين رشدى باشا يعرض على سعد زغلول رئاسة الهلال الأحمر، وسعد يرفض لخضوعها للسلطة البريطانية.
- صدور أمر حكمدار القاهرة بمنع لعب الورق فى نوادى القمار.
- سعد زغلول ينزل فى بيت محمد محمود باشا بالإسكندرية.
- قضية الشيخ عبدالرحيم الدمرداش.
- السلطان فؤاد يعرض على سعد رئاسة الهلال الأحمر، وسعد يعتذر.
- حديث عبدالعزيز فهمى عن لجنة إلغاء الامتيازات.
- محاولة معاون الإدارة وعمدة دسونس الإستيلاء بالقوة على تبن من أرض سعد زغلول.
- سعد يعلن ارتياحه لأنه خال من الديون، ويأسف لتهاونه فى حفظ إيرادات الأعوام السابقة.
- متابعة سعد زغلول لقضية وزير داخلية فرنسا ما لقى أمام مجلس الشيوخ بتهمة التخابر مع العدو فى جريدة «الطان».
- أمر قائد الجيوش البريطانية بإضافة جهة أبى قير إلى ملك جلالة ملك إنجلترا، رداً على معارضة الأمير عمر طوسون استعمال أراضيه بها لحاجة الجيش الإنجليزى.
- سعد يرفض ختان أولاد شقيقته رتيبة فى بيته.
- ضبط زوجة إسماعيل صدقى باشا زوجها متلبساً بالخيانة فى غرفتها مع نزيلة فى بيتها.

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب



رقم الايداع بدار الكتب ١٩٩٦/٢٠١١

I.S B N 977-01-4704-4





مطابع الهيئة المصرية العامة للك